بيت العنكبوت

الموساد

وثائق إسرائيلية
سرية للغاية

اعترافات قادة المخابرات الإسرائيلية لصحفى مصرى

يحيى غانم

تقديم
سعد الدين وهبة

دار الاعتصام

بحر الكتب
bahr.alktob

إهداء إلي روح أبي ومعلمي
أ. محمد أحمد خليل

أتمني أن تصل رسالتي إليك
هذه الكلمات عند شعوري بفقداني لك
فقررت أن انشر مكتبتك أنا وأصدقائي المقربين
لتصبح صدقة جارية علي روحك

إبنتك التي تفتقدك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ ۝ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝

بيت العنكبوت

اعترافات قادة المخابرات الإسرائيلية لصحفى مصرى

يحيى غانم

تقديم
سعد الدين وهبة

دار الاعتصام

بحر الكتب
bahr.alktob

الإهداء

إلى من وهبانى الحياة ..

•• إلى أول من بثا فى داخلى حب المعرفة .. والبحث ..

•• إلى والدتى أطال الله فى عمرها وبارك فيها

•• وإلى والدى رحمه الله وأجزل له المثوبة إلى أن ألقاه إن شاء الله ..

•• وإلى زوجتى التى أسعدتنى بالأمانى .. وسهرت معى الليالى ..

•• وأخيرًا .. إلى ولدى سيف الدين .. عسى أن يكون بإذن الله دائماً سيفاً فى الحق وبالحق يدفع به ويدافع عنه .. ويبحث به عن الحقيقة..

« المؤلف »

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

« خذوا الحكمة لا يضركم من أى وعاء خرجت »

[حديث شريف]

حكمة لإنديرا غاندى

« هناك نوعان من الناس ..

الأول : وهو من يقوم بالعمل ..

الثانى : وهو من يأخذ الفضل على هذا العمل ..

احرص على أن تكون من النوع الأول .. فالمنافسة تكون أقل !! »

مقولة لرئيسة وزراء الهند الراحلة إنديرا غاندى

بحر الكتب
bahr.alktob

تقديم

بقلم الكاتب الكبير سعد الدين وهبه

هذا الكتاب مثير !!..

ووجه الإثارة فيه ليس مغامرات « يحيى غانم » الصحفية .. ولكن فى الشخصيات التى تحدث إليها ، ولما ورد فى أقوالهم من أمور مثيرة .. ولا شك فى أن كتاباً كهذا يتضمن أحاديث صحفية مع عدد من كبار القادة السابقين فى أجهزة المخابرات الإسرائيلية ، سوف يحوى الكثير من الأسرار التى تلقى الضوء على العديد من الأحداث التى مرت فى تاريخ المنطقة .

لا شك فى أن اختيار المؤلف لشخصيات مثل :

« شوموئيل توليدانو » .. ذو الباع الطويل فى عالم المخابرات ، حيث التحق بالمخابرات الإسرائيلية من قبل قيام إسرائيل بانضمامه إلى مخابرات عصابات « الهاجناه » .. وذلك قبل أن ينضم إلى « الموساد » فيما بعد تأسيسها .. أيضاً فإن الرجل عمل فيما بعد مستشاراً للشؤون العربية لرؤساء الوزراء فى إسرائيل بدءا من ليفى أشكول وحتى رابين مروراً بجولدا مائير !!..

« ايتسر هارئيل » .. الذى ظل رئيساً للموساد لمدة ١٥ عاماً متصلة ..

« سيمون فيزنتال » الذى يطلق عليه « صائد الجواسيس » .. وقصصه المثيرة عن تعقب النازيين وارتباط ذلك بأنشطة التجسس على بعض الدول العربية !!..

بحر الكتب
bahr.alktob

« يهشوفاط هركابى » .. مدير المخابرات العسكرية الأسبق !!..

نقول : إن اختيار المؤلف لهذه الشخصيات أتاح الفرصة للكشف عن المزيد من الأسرار التى اكتسبت هى الأخرى بعداً بسبب طبيعة هذه الشخصيات الإسرائيلية الفاعلة .

تحدثت هذه الشخصيات عن دورها فى تاريخ قيام إسرائيل ، كما تعرضوا إلى جهودهم وحربهم الخفية وغير الخفية ضد مصر وغيرها من الدول العربية .. تحدثوا عن نجاحات حققتها أجهزة مخابراتهم فى زرع عملاء لهم بالدول العربية .. كما تحدثوا عن هزائم لحقت بهم فى هذا المجال .. وهو الأمر الذى كان يعنى بالضرورة انتصارات لنا .. ولا أرى أن أسوق أمثلة على ما سبق .. فالكتاب يحوى الكثير .

* * *

وبعد فإن لنا بعض الملاحظات وهى :

•• أولاً : أنه مع تحفظنا الشديد على رحلات المؤلف إلى إسرائيل .. إلا أنه قد يَفْفِزْ له ذلك الهدف من وراء هذه الرحلات .

•• ثانياً : أن الأقوال والاعترافات التى أدلى بها القادة السابقون فى المخابرات الإسرائيلية يجب أن تؤخذ بحذر شديد ، حيث أنهم يتحدثون إلى « صحفى مصرى » فى جو يخيم عليه ما يدَّعون مع غيرهم أنه سلام .. الذى إذا لم يكن قد تحقق بصفة نهائية فهو فى طريقه إلى التحقيق .. وقد أوضح المؤلف فى الخاتمة ضرورة مثل هذا الحذر ، كما يوضح نماذج عملية لذلك .

بحر الكتب
bahr.alktob

• • ثالثاً : تختلف نظرة الإنسان كثيراً عندما ينظر إلى أفعاله من بعيد بعدما يغادر المنصب الكبير ؛ فالبعض يرفض أن يعترف وأن يرى الأخطاء التى أقدم عليها .. إلا أن البعض الآخر يعترف بأخطائه .. يساعده فى ذلك بُعْدُه عن المنصب الكبير .. وبالرغم من ذلك يتوجب الحذر فى كلتا الحالتين .

* * *

ونعود فنقول : إنه بالرغم من تلك الملاحظات ، فأنت فى مواجهة كتاب يقدم لك الكثير والمثير حتى ولو كانت من خلال أقوال واعترافات « أبطال وهميون » ..

سعد الدين وهبه

القاهرة فى ١٩٩٦/٥/٨ م .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

مقدمة المؤلف

السير على ألغام صحفية

منذ عام ونصف العام تقريباً لم يكن يدور بخلدى أننى سوف أخوض فى ذلك الموضوع الذى يتناول هذا العالم الغامض للعمل السرى للمخابرات .. وخاصة إذا ما كانت « المخابرات الإسرائيلية » .

فى تلك الفترة كنت عائداً من ميدان الحرب فى « دولة اليوسنة والهرسك » للمرة الثالثة على التوالى ، وكنت ما أزال أعانى من الآثار النفسية التى حُفرت فى داخلى من جراء الفظائع التى رأيتها هناك ، وخاصة أننى كنت موجوداً هناك خلال أشد مراحل الحرب ضراوة .

وبالرغم من أننى كنت فى ذلك الصباح أعانى من مشاعر الملل .. إلا أننى لم أتردد فى الترحيب بهذه الإيجابية التى أظهرها ذلك « **الشيخ الإسرائيلى** » للحديث معى فى موضوع هو أقل إثارة بكثير من موضوع الكتاب .. فهناك قاعدة ذهبية أضعها دائماً نصب عينىّ ، وهى ألا أهمل أو أعرض عن أى مصدر يبدى استعداداً للحديث .. أى حديث .. خيراً كان أو طرفة أو معلومة !! .

وبالفعل تأكدتُ لى صحة هذه القاعدة الذهبية بعد دقائق من الجلوس إلى هذا الشيخ .. حيث فوجئت بموضوع فى غاية الإثارة والخطورة يتكشف أمامى .. وبالرغم من ذلك لم يَدُرْ فى ذهنى أن هذا الموضوع سيكون مجرد بداية فقط تبعتها مراحل أخرى من العمل حملتنى إلى كل من إسرائيل والنمسا (!!) .

بحر الكتب
bahr.alktob

فبعد كل محطة كنت أدخلها للتزود بمزيد من المعلومات من إحدى الشخصيات التى لها صلة بهذا العمل السرى كنت أفاجأ بمحطة أخرى تلوح لى من بُعْدٍ وتحتوى على مزيد من المعلومات التى تستحق عناء السعى للوصول إليها .

وبالطبع فإن البحث والتقصى وراء مثل هذه المعلومات من مصادرها الحية ليس بالعمل الهين ولا السهل الميسور .. وذلك لعدة أسباب أذكر منها الآتى على سبيل المثال وليس الحصر :

أولاً : أن نوعية الشخصيات التى تحمل هذه المعلومات ليست بالشخصيات العادية .. ناهيك عن كونها مصادر فى منتهى الصعوبة الوصول إليها بسبب حساسية المناصب [المخابراتية - الأمنية] التى كانت تشغلها لفترات طويلة .. تلك المناصب التى جعلتها تحمل معلومات وأسرار فى منتهى الخطورة .

ثانياً : أن هذه الشخصيات كلها كانت خارج الحدود .. وبالتالى فإن اللقاءات كان يجب أن تتم داخل بلادها .. حيث رفضت هذه المصادر منذ البداية إجراء المقابلات عبر الهاتف أو جهاز الفاكس .. هذا الأمر حتم الانتقال إلى هذه المصادر الخاصة جداً فى مواطنها .. وذلك فيما عدا اللقاء الأول الذى تم فى القاهرة تحت سفح الأهرامات فى « فندق مينا هاوس » .. هذه الانتقالات التى تكلف جهداً وعناء ونفقات كثيرة .. فعلى سبيل المثال ومن أجل ترتيب لقاء مع أحد هذه الشخصيات موضوع الكتاب كان علىّ أن أسافر إلى العاصمة النمساوية « فيينا » مرتين فى غضون عام واحد !

ثالثاً : من القواعد الثابتة والهامة لإجراء لقاءات صحفية ناجحة ومثمرة أنه يجب عليك أن تدرس شخصية المصدر الذى تخطط لمقابلته جيداً .. الأمر الذى يعنى أن تقرأ عنه جيداً .. وبكثافة .. وعن كل مناحى حياته .

بحر الكتب
bahr.alktob

ولكن .. إذا كان الأمر هنا يتعلق بشخصيات كانت مسئولة لفترات طويلة عن عمل سرى مخابراتى فإن جمع هذه المعلومات يصبح أمراً بالغ الصعوبة .

رابعاً : عملية استقاء المعلومات من المصدر – أياً كان هذا المصدر – وخاصة إذا كانت علاقاتك الإنسانية مع المصدر حديثة هى عملية معقدة وصعبة تُدَرَّسُ فى كليات ومعاهد الصحافة .. فما بالك إذا كانت هذه الشخصيات من كبار رجال المخابرات الذين تُدَرَّسُ أعمالهم فى معاهد المخابرات فى العالم (!؟) .

خامساً : من المعروف أن المصدر – أياً كان – يشعر فى العادة بالتوتر من توجيه الأسئلة إليه .. وخاصة إذا ما وضع أمامه « جهاز تسجيل » فما بالك بشخصيات اعتادت أن تَسْتَجْوِبَ فقط دون أن تُسْتَجْوَبَ هى نفسها (!؟) شخصيات اعتادت أن تستجوب الآخرين وهى تضع أجهزة التسجيل لهم – سواء كانت ظاهرة أو خفية – فما بالك إذا كانت أجهزة التسجيل تلك موضوعة أمامهم هم (!؟) .

سادساً : وبافتراض نجاحك فى كل تلك المراحل السابقة ، وبأنك جلست بالفعل أمام أحدهم وأمام فمه جهاز التسجيل فإن عملية استنطاقه للمعلومات تبقى مشكلة أخرى .. وخاصة إذا ما كنت تسعى إلى معلومات بعينها تريدها أنت .. وليست مجرد أى معلومات يرغب هو فى أن يستوفيها لك .. تلك النقطة بالذات تعتبر الأهم فى كل ما سبق .. حيث أنك إذا فشلت فى هذا فسوف تتحول الجلسة إلى مجرد لقاء « علاقات عامة » .

سابعاً : عنصر الزمن .. حيث أن معظم المصادر التى كانت أهدافاً لى ، دخلت فى نهاية السبعينيات من العمر .. فإذا ما علمنا أن هذه اللقاءات تستغرق فى الإعداد لها شهوراً طويلة .. وإذا ما علمنا أنه على سبيل المثال

بحر الكتب
bahr.alktob

فإن أحد هذه الشخصيات الهامة بالنسبة إلى الكتاب قد توفى صاحبها بعد لقائنا الأول وقبل شهور قليلة من موعد لقائنا الثانى .. عند ذلك يمكن أن تعرف أهمية عنصر الزمن فى هذا الصدد .

لكل هذا ولأسباب أخرى كان لابد من ترتيبات معينة وطويلة قبل أن تتوافر المعلومات التى - أنت عزيزى القارئ - بصدد الحصول عليها أثناء قراءتك لهذا الكتاب ..

وقد يتساءل البعض حول السبب الذى دفعنى لكى أضع هذا الكتاب فى شكل حوارات صحفية بالذات فيماعدا مواضع قليلة منه .. والحقيقة أن الدافع وراء ذلك كان تصورى بأن هذا سيكون أقرب للواقع منه لسرد قد يتصور القارئ معه أن الكاتب قد تدخل فيه بآراء شخصية وميول وهوى وليس للسعى وراء الحقيقة .. إن أغلب الكتب التى وضعت فى هذا المجال كانت إما فى شكل قصصى اختلط فيها قليل من الواقع مع كثير من الخيال .. أو جاءت مترجمة عن أعمال لكُتّاب غربيين وشرقيين كانت لهم - وهذا حقهم - دوافع « وطنية » من خلال عيونهم هم .. كل ذلك جعلنى أنحاز إلى شكل الحوارات كما تمت بالحرف .. فيماعدا بعض الشروح والتعليقات التى تعمدت أن تكون منسوبة إلى الكاتب بشكل واضح .

.. ولكن السؤال الهام الذى يجب أن يطرح هنا هو :

ما هو الهدف من هذا العمل ؟

الحقيقة ولكى أكون صادقاً يجب أن أعترف بأن أهداف هذا الكتاب لم تتشكل دفعة واحدة قبل أن أبدأ رحلة « **جمع المعلومات** » كما أن الهدف الأول من هذا الكتاب قد قفز إلى ذهنى بعد أن عُدْتُ إلى المنزل عقب اللقاء الأول لى مع الذئب الأمنى « **شوموئيل توليدانو** » قيادى الموساد السابق .

بحر الكتب
bahr.alktob

فبعد أن جلست إلى نفسى أراجع المعلومات التى حصلت عليها من هذا « الرجل » ، تذكرت موضوعاً كنت قد انكببت على إنجازه فى فترة سابقة .. إلا أنه لم ير النور .. وهو الذى نستفتح به هذا الكتاب كمقدمة تمهيدية توضح الهدف الأول من نشر الكتاب .. المقدمة التمهيدية تتعلق بحملة تضليل ضد مصر .. تحديداً ضد الرئيس الراحل « **أنور السادات** » حملة شنها جهاز مخابرات أجنبى عتيد بهدف إحداث تأثيرات معينة على عملية اتخاذه قرارات مصيرية فى تاريخ مصر والشرق الأوسط .

وبالفعل .. وطبقاً للمعلومات التى حصلت عليها من خلال الوثائق ومن خلال المصادر الحية فإن هذه الحملة أسفرت عن تغييرات جوهرية فى تاريخ ومستقبل مصر والشرق الأوسط كله .. سواء كان ذلك على الصعيد الاقتصادى أو السياسى .. لقد كانت الحملة ناجحة بشكل مبهر للقائمين عليها لدرجة أن آثارها هى التى أفرزت لنا الواقع الحالى فى الساحة العربية حالياً على المستويين : السياسى .. والاقتصادى .. عندئذ شعرت بمدى أهمية النظر من خلال عيون الآخرين (!!)

بعد ذلك بفترة تعرضت لحادث فى إسرائيل كان يمكن فى ظروف عادية أن يمر مرور الكرام .. إلا أنه فى تلك الأجواء النفسية كان له أثر كبير فى استحضار وإيضاح بقية أهداف الكتاب .. كان ذلك يوم الأربعاء الموافق الثانى عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٩٤ م .. عندما كنت فى الطريق إلى دار المسرح الكبير فى مدينة حيفا لحضور عرض فنى .. أمام دار المسرح فوجئت بأكثر من ١٦ من الشبان اليهود ممن يضعون « الطاقية » اليهودية التقليدية على مؤخرات رؤوسهم كناية عن تدينهم وهم يسدون مدخل المسرح حتى قام أحدهم بدفعى بعنف فى صدرى بعيداً عن المدخل لكى يدور الحوار التالى مع أحدهم واسمه « مردخاى » ويعمل طبيباً ممارساً عاماً ..

وقد بدأ « مردخاى » حديثاً بالعبرية لم أفهم منه شيئاً حيث كان يعتقد

بحر الكتب
bahr.alktob

أننى إما أن أكون من اليهود .. أو من العرب المقيمين فى داخل إسرائيل .. الأمر الذى دفعنى لكى أرد عليه بالعربية ، فتحول هو إلى الحديث بالإنجليزية لكى يسألنى :

•• من أى دولة عربية قدمت ؟

○ أنا مصرى .

•• ولماذا قدمت إلى هنا ؟

○ قدمت لعمل صحفى .. وإذا كان ذلك لا يعجبك فإنى أستطيع أن أرحل فى التو واللحظة .. ففى النهاية أنا لم آت إلى هنا بغرض الاستمتاع !!

•• بالعكس .. إنها فرصة جيدة أن نتحدث إلى صحفى عربى لكى يصل صوتنا إلى الشعوب العربية ، بعيداً عن أى مزايدات من جانب الساسة لدينا .

○ وماذا لديك ترغب فى توصيله ؟

•• أريد أن أقول للشعوب العربية : إنه إذا ما كانوا يريدون سلاماً حقيقياً فعليهم أن يقبلوا به بدون شروط !

○ وما هى تلك الشروط التى تتخيل أن العرب يضعونها مقابل السلام ؟

•• عليكم أنتم العرب أن تفهموا أننا نحن الذين نعطى السلام لكم .. وليس العكس .. وبالتالى فليس لكم أن تطالبوا بعودة الجولان وبقيام دولة فلسطينية !! .

○ وهل تعتقد أنه يمكن بمثل هذه الطريقة وهذا المنطق أن يقبل أى شخص – ليس بالضرورة أن يكون عربياً – بمثل هذا السلام الكسيح الذى تتحدث عنه !؟

بحر الكتب
bahr.alktob

•• أنتم لستم بحالة تسمح لكم بأن تطلبوا سلاماً – بالتفصيل – أنتم أضعف من أن تفعلوا ذلك .. وإذا كان لديكم قول آخر فأتوا به ونحن مستعدون لكم !! .

○ إنه تهديد بالحرب .. إنها شريعة الغاب إذن !؟

•• بالفعل هو ذاك .. إنكم لم تأتونا بالسلام إلا بعد أن انهار « حليفكم الرئيسى » ممثلاً فى « الاتحاد السوفييتى » السابق ، وبعد أن ثبت لكم أنكم ستكونون الطرف الخاسر فى أى مواجهة عسكرية .. أنتم أضعف من أن تقفوا أمامنا .. ناهيك عن فرض شروط لتحقيق هذا السلام !! .

○ ولكن ما تقوله ليس سوى إصرار على اغتصاب حقوق الغير عن طريق الاحتلال ؟!

•• دعنا نكون صرحاء : ما الفرق بين « الجولان المحتلة » وبين « مدينة حيفا » التى نقف على أرضها الآن .. وماذا تختلف « مدينة الخليل » بالضفة الغربية عن « مدينة عكا » التى أخذناها بالحرب فى عام ١٩٤٨ م لا شىء .. ليس هناك أى فرق .. وبناء على ذلك فإنكم أنتم العرب يمكنكم أن تأتوا بعد عام أو عامين وتطالبوا باستعادة عكا وحيفا ويافا اعتماداً على سابقة استعادة الجولان والضفة الغربية .. وفى النهاية الجميع يعلمون أن هذه البقعة برمتها كانت تحت سيطرتكم أنتم العرب .. كلا إذا ما أردتم أن تثبتوا لنا صدق نواياكم تجاه السلام فعليكم أن تنسوا هذه الأراضى المحتلة ، ويكفى ما بحوزتكم من أراض شاسعة لا تستطيعون استغلالها بشكل جيد !!

○ ولكنك بهذا الكلام الذى هو أقرب إلى الجنون تحكم على المنطقة بالدخول فى حرب شعواء .. وهنا أستطيع أن أؤكد لك أننا إذا لم نسترد نحن العرب هذه الأراضى فإنكم لن تكسبوها أيضاً أنتم اليهود ..

•• أنتم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً .. وإلا كنتم قد فعلتموه منذ سنوات طويلة .

بحر الكتب
bahr.alktob

قال مردخاى هذه العبارة قبل أن يبدأ فى استخدام يديه فى دفعى فى صدرى مرة أخرى .. وكاد الموقف أن يتحول بجنون هذا الإسرائيلى الأهوج إلى معركة على قارعة (شارع هاناسى) فى وسط مدينة حيفا .. ووسط هذه المعمعة فوجئت بمن يجذبنى جذباً خفيفاً فنظرت لكى أجد صبياً بادرنى بالحديث بالإنجليزية الركيكة قائلاً :

لا تلق بالاً لهؤلاء المجانين .. ليس هناك سلام بدون تنازلات .. الجولان يجب أن تعود إلى سوريا .. والضفة والقدس إلى الفلسطينيين حتى نستطيع أن نعيش فى سلام .

اندهشت من وجود مثل هذا الصبى فى مثل هذا المجتمع .. وخاصة أنه كان يحمل لافتة كتب عليها بالعبرية عبارة « شالوم أخشاب » أى حركة السلام الآن .. فسألته :

○ ما اسمك ؟

●● ناثان ..

○ عمرك ؟

●● ١١ عاماً !

○ ألا ترى أنك أصغر يا ناثان من أن تقف فى مثل هذا الجمع .. بل وأن ترمى من هم فى عمر والديك بالجنون ؟!

●● بالطبع لا .. هذا هو رأيي وأنا حر فيه كما هم أحرار يعبرون عن أى أفكار جنونية يمكن أن تدمر دولة إسرائيل .. وبالإضافة إلى ذلك فإننى أعبر عن الحركة السياسية التى أنتمى إليها وهى « حركة السلام الآن » والتى ينتمى إليها والداى أيضاً !!

○ وأين والديك .. هل هما معك لكى أتحدث إليهما ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

●● كلا .. فهما يجوبان منطقة أخرى مع بعض أعضاء الحركة للإعلان عن التأييد للمفاوضات مع سوريا وإعادة الجولان إليها .

فى تلك اللحظة اختلطت المشاعر بداخلى تجاه هذا الصبى الذى لم يغادر بعد طور الطفولة والذى أبى إلا أن يشارك أبويه من دعاة السلام حملتهم فى تحديد مصير إسرائيل .. إلا أن الأهم من ذلك هو بعض الملاحظات التى ساعدت فى صياغة أحد الأهداف الرئيسية لهذا الكتاب .. ومن بين هذه الملاحظات :

أولاً : أن هذا الصبى الإسرائيلى ليس نموذجاً فريداً بالنسبة لمجتمعه .. حيث إنه من الطبيعى جداً فى المجتمع الإسرائيلى أن يشارك الصبية فى الحياة السياسية بشكل – وإن كان محدوداً – إلا أنه يؤهلهم إلى قيادة هذا المجتمع فى المستقبل .

ثانياً : أن هذا الصبى – وغيره من أقرانه – يمكنه أن يقف فى مثل هذه المظاهرة ، وأن يقول رأيه السياسى دون خشية من أن يتعرض له ضابط أو شرطى بالأذى ، أو حتى يتعرض له بعض من المتظاهرين الآخرين ممن يخالفونه فى الرأى حتى وإن كان هذا الرأى غريباً عن مبادئهم ومعتقداتهم .

ثالثاً : إنه من أجل ذلك يمكن أن نعرف لماذا هذه الديناميكية السياسية التى يتميز بها المجتمع الإسرائيلى ، والتى تمكنه من الفرز الجيد لقيادات سياسية شابة واعية متمرسة ووطنية فى مقابل هذا الجدب السياسى الفادح الذى نعانى نحن منه فى الدول العربية .

رابعاً : أيضاً وبناء على ما تقدم فإننى أحسست برعب قاتل تجاه مستقبلنا نحن العرب فى حالة استمرار هذا العقم السياسى الفادح .. الأمر الذى سيؤدى بنا إلى مرحلة يكون فيها السياسيون فى العالم العربى كالديناصورات المنقرضة .

بحر الكتب
bahr.alktob

خامساً : أن الرعب الحقيقى الذى يجب أن يلازمنا ونشعر به فى الدول العربية ليس بسبب الترسانة النووية الإسرائيلية - وإن كان علينا أن نستعد لها وأن نحسب لها ألف حساب - وإنما الرعب يجب أن يكون مصدره هو ذلك الجيل الصاعد من سياسى المستقبل فى إسرائيل .. يجب أن نعترف بأن هذه الدولة وبنظامها الديمقراطى الحقيقى قد انتصرت علينا مرة أخرى فى معركة إعداد المواطن .. سواء فى الوقت الحاضر أو ذخيرة المستقبل متمثلة فى الأطفال .. يحدث ذلك فى الوقت الذى تمحى فيه شخصيات وحريات الرجال .. وليس مجرد الأطفال فى العالم العربى .. أو العالم الثالث الذى نحن جزء منه .

وبناء على كل ما تقدم فقد أمكننى الخروج بثلاثة أهداف رئيسية أرجو أن يوفقنى الله - عز وجل - لكى أستوفيها .. وهى :

الهدف الأول :

وقد قفز إلى ذهنى عندما وضعت المعلومات التى حصلت عليها من السيد «توليدانو» بجانب المعلومات التى توافرت لى من قبل حول هذه العملية المخابراتية للتضليل والتأثير على الرئيس الراحل «**أنور السادات**» .

كان الهدف هو ضرورة محاولة الرؤية بشكل عام ، ومحاولة الرؤية للآخر بشكل خاص من خلال عيون الآخرين .. أو بالتعبير الإنجليزى : (أن تلبس حذاء الطرف الآخر) الأمر الذى يتطلب منك أن تسعى إلى البحث عن المعلومات التى تهمك وتؤثر عليك ، وأن تدققها بدلاً من أن تكون مجرد هدف لها تؤثر فيك فقط .. وبالطبع فإن مثل هذا الهدف ليس سهل التحقيق .. وخاصة إذا ما وضعنا فى الاعتبار أسباب الصعوبة التى ذكرناها من قبل وغيرها من اعتبارات أخرى .

بحر الكتب
bahr.alktob

الهدف الثانى :

وقد ظهر فى مرحلة لاحقة وتمثل فى محاولة الكشف عن الحجم الحقيقى لخصم عتيد على كفاءة عالية .. إلا أنه ليس خارقاً بالنسبة لطبيعة هذا العمل .. وذلك من خلال شهادات المسئولين الكبار فى هذا الجهاز السرى الخطير .

الهدف الثالث :

محاولة النظر إلى الذات من خلال عيون « الآخر » ففى كثير من الأحيان يكون تقييم هذا الآخر لك لا يقل أهمية عن تقييمك أنت لذاتك .. سواء كان الأمر يتعلق بالجوانب الإيجابية ، أو يتعلق بالجوانب السلبية لك .

مع هذه الأهداف الثلاثة .. بالإضافة إلى الخطوات التى خطوناها لتذليل الصعوبات التى ذكرناها من قبل بدأنا العمل فى جمع المعلومات ، مع اتخاذ إجراءات معينة أوردناها فى الخاتمة لتأمين وصول معلومة هى أقرب ما تكون إلى الحقيقة والواقع .

أرجو من الله العلى القدير أن يكون قد وفقنى فى الإفادة من هذا الجهد ولو بقدر يسير .

والله المستعان .. وهو من وراء القصد .

يحيى غانم

القاهرة فى ١٤١٦/٩/٢٧ هـ

الموافق ١٩٩٦/٢/١٦ م

بحر الكتب
bahr.alktob

مقدمة لجزء تمهيدى

التضليل والتزوير الدولى

لا شك فى أن عملية « التزوير » تعد من أخطر وسائل التضليل السياسى والإعلامى .. وتكمن خطورة التزوير ويتحدد مداه بمدى إتقانه وقربه من مطابقة الواقع .. بالإضافة إلى « الوسط » أو الوسيلة الإعلامية التى تستخدم لزرع التزوير ومدى ملاءمتها لطبيعة القضية المراد التعامل معها .. والتزوير فى هذا المقام يشتمل على : صور .. وثائق .. رسائل .. مذكرات ... إلخ .

وعادة فإن التزوير يستهدف فى المقام الأول التضليل الموجه ضد أشخاص بعينهم .. كما أنه يكون أكثر فاعلية .. وذلك بهدف إرهابهم عن القيام بشىء ما ، أو لتلطيخ سمعتهم بهدف تحييدهم وإحباطهم بالنسبة لقطاعات من المجتمع .. أو للمجتمع كله .. أو لعدد من الدول .. أو لقضية معينة .

وتعتبر إدارتا « الإجراءات الناشطة » التابعتان لجهازى المخابرات السوفيتية الـ « كى . جى . بى » سابقاً والروسية حالياً ، والمخابرات التشيكية سابقاً من أفضل اللاعبين الرئيسيين على الساحة الدولية فى هذا المجال بالنسبة للكتلة الشرقية .. أما على الجانب الآخر من الكرة الأرضية فتقف الولايات المتحدة كلاعب رئيسى بلا منازع – فيما عدا فرنسا – إذا ما أردنا أن نكون منصفين .

بحر الكتب
bahr.alktob

أما الموساد الإسرائيلى فهو ينفرد بالملعب فى الجنوب .. وذلك بالرغم من تأكيدات عدد كبير من الخبراء بأن (الموساد الإسرائيلى) فاق بكثير العديد من الدول التى سبقته فى هذا المضمار .. خاصة إذا كان قد توافر لديه عدد كبير من الخبراء الأوروبيين اليهود المتميزين فى هذا المجال الذين وضعوا أنفسهم فى خدمة إسرائيل .

ولعل الوثيقة المزورة التى نجحت (إدارة الإجراءات النشطة) – وهى الإدارة المختصة بالتزوير وإعداد عمليات التضليل – فى المخابرات التشيكية فى إعدادها عام ١٩٦٦م والتى حملت عنوان : « إدارة احتياجات مخابرات الجيش الأمريكى على المدى القصير » ، والتى كانت ممهورة بتوقيع الجنرال (تشارلز دينهولم) مساعد رئيس أركان الجيش الأمريكى لشئون المخابرات .. هذه الوثيقة تعد من أبرز ما أنتجته هذه الإدارة التشيكية من تزوير مضلل فى هذا المقام .

لقد كانت هناك شكوكاً كثيرة وشائعات قوية حول حقيقة انتماءات (الجنرال محمد أوفقير) مدير جهاز المخابرات المغربى فى النصف الأول من الستينيات .. إلا أنه لم تتوفر الأدلة على ذلك حتى قررت المخابرات التشيكية بعد موافقة (المخابرات الأم) فى موسكو توفير الدليل عن طريق التزوير .

وقد كان الدليل عبارة عن وثيقة أمريكية مزورة صادرة من مكتب الجنرال الأمريكى وتحمل فى ثناياها عبارات بضرورة محاولة تجنيد (الجنرال أوفقير) ليعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية .

وبسرعة هائلة امتلأت الصحف العربية بصور وأنباء عن تلك الوثيقة فى نفس العام وعلى مدار شهور .. وكان الأمر بداية النهاية للرجل !!

ويضع خبراء التضليل قواعد محددة لشكل وأسلوب التزوير فى مثل هذه الحالات .

فإذا كانت هناك شائعات تدور حول شخصية معينة فإن التزوير

بحر الكتب
bahr.alktob

لا يجوز أن يكون صريحاً .. وإنما يفهم منه بشكل غير مباشر ما يؤكد الشائعات .. أما إذا لم تكن هناك شائعات .. فيجب أن تكون الوثيقة صريحة ومباشرة فى الاتهامات !

وبالطبع فإن هناك استثناءات لهذه القواعد وإن كانت قليلة .. حسب الشخص أو القضية المراد التضليل بشأنها .

ولعله من المناسب هنا أن نتعرض لنموذج لإحدى هذه الحملات التزويرية المضللة – التى يكشف عنها لأول مرة – والتى أدت إلى تحول خطير فى مسار مصر والشرق الأوسط بأسره .

تلك الحملة لم تخرج أنباؤها عن دائرة الرئيس المصرى الراحل « أنور السادات » ودائرة ضيقة من المحيطين به .. بالإضافة إلى الرئيس الأمريكى الأسبق « جيمى كارتر » وكبار معاونيه .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

الجزء التمهيدى

حملة تضليل مخابراتية ضد السادات ..

لتغيير مستقبل مصر والشرق الأوسط !

بحر الكتب
bahr.alktob

منذ عام ١٩٧٦م وحتى عام ١٩٨٠م تم رصد ١٦ وثيقة مزيفة استهدفت تخريب العلاقات المصرية الأمريكية بصفة عامة والعلاقات الخاصة بين الرئيسين : السادات وكارتر .. وذلك على حسب الوصف الأمريكى لأهداف هذا التزوير .

استهدفت الوثائق « المزورة » تقديم وجهة نظر رسمية أمريكية فى (السادات ونظام حكمه فى مصر) تشكك فى قدرة الزعامة المصرية فى الداخل والخارج واستعدادات أمريكية لقلب السادات ونظامه كحليف أمريكى فى المنطقة .

كانت البداية فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٦ م وجاءت فى شكل خطاب ألقاه مساعد وزير الخزانة الأمريكى إيدوين يو Edwin Yeo فى اجتماع مغلق لنادى ديترويت الاقتصادى فى ٢٤ مارس ١٩٧٦ م .. وقد تم نشر الخطاب فى نسخ محدودة العدد من مجلة « الاقتصاديات الأمريكية » والتى تم توزيعها بواسطة فرع وكالة الإعلام الأمريكية فى العاصمة اليونانية أثينا .

وسوف نعرض لأهم فقرة فى الخطاب وهى[1] :(... وعلى أية حال فإن رأينا يتمثل فى أن الحكومة المصرية الحالية عاجزة عن إزالة جميع العراقيل التى تعترض طريق الاستثمار الخاص ، والسوق الحر ، والاستثمار الأجنبى .. إن الحكومة المصرية تتمتع بقدرات ضئيلة للغاية ، وتوجد داخل مصر قوى تستطيع أن تغير الحكومة .. وبالرغم من أن القيادة الحالية تعهدت لنا بأن تزيل جميع العراقيل التى تعترض طريق السوق الحر فإننى لا أعقد أملاً على هذه التعهدات) .

وكان تعليق أحد الحضور من كبار المستثمرين الأمريكيين على هذا الجزء من خطاب المسئول الأمريكى أثناء الاجتماع المغلق كما يلى :

بحر الكتب
bahr.alktob

(.. أنا أومن بأن الوضع فى مصر مثلما صوره السيد مساعد الوزير .. وإذا كان ذلك حقيقياً فإن الحل الوحيد الذى أراه هو تغيير الحكومة والنظام برمته .. إلا أن ذلك لا يقع على عاتق رجال المال والأعمال والصناعة .. بل يقع فى دائرة كل من جورج بوش مدير عام المخابرات المركزية ، وهنرى كيسنجر اللذان يجب عليهما القيام بهذا العمل .. وبذلك فقط يمكننا كرجال أعمال أن نقتحم مصر ...) .

مساعد وزير الخزانة :

(... لا أعتقد بأن هناك ما يمكن أن أضيفه بعد ذلك .. حيث أن النتيجة التى وصلنا لها واضحة تماماً ...) .

وقد تم إرسال عدد من نسخ (مجلة الاقتصاديات الأمريكية) المنشور فيها ما دار فى هذا الاجتماع المغلق إلى عدد من الدوريات اليسارية فى منطقة الشرق الأوسط مع خطاب يقول بأن شخصاً مجهولاً قام بتسريب نص ما دار فى الاجتماع المغلق إلى المجلة المذكورة مصحوباً بالوثائق، ولم يكشف عن هذا المصدر كما هى العادة فى كثير من الأحيان فى مجال الصحافة .

فى شهر أبريل ١٩٧٧ م تلقت السفارة المصرية فى روما مظروفاً بداخله صور ضوئية من خطابات تضمنت تعليقات على لسان مساعد وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت (سايروس فانس) .

الملاحظات تم نقلها من تقرير سرى قدم للرئيس كارتر وتضمن حصيلة ملاحظات ومراقبات هامة على زعماء الشرق الأوسط بما فى ذلك السادات .. وهذا جانب منه :

(.. إن مصر تتمتع بالصدارة فيما يتعلق بأهميتها فى المنطقة .. إلا أن ذلك لا ينطبق على السادات الذى لديه أفكار ومعتقدات حول ما يجب على الولايات المتحدة أن تفعله بالنسبة لمصر .. تلك الأفكار غير الواقعية

بحر الكتب
bahr.alktob

التى تصل فى بعض الأحيان إلى حد السخف .. إن استقرار السادات ليس مؤكداً بسبب وضع مصر الاقتصادى ، ومن الضرورى أن نرى إذا ما كان سيستمر صالحاً ليكون شريكاً مناسباً لنا .. لقد حذرنا مسئول عربى من أن نبالغ فى الثقة فى السادات حيث أنه يعتقد أن سقوط السادات سيؤدى إلى مضاعفات .. !!

● ملحوظة : هناك احتمال بأن يكون المسئول العربى قد قام بشىء فى هذا المضمار بدون علمنا .. !

وقد حمل المظروف الذى وصل إلى عدد من الجهات من بينها السفارة المصرية فى إيطاليا خطاباً من الراسل تضمن الآتى :

(... لقد أتيحت لى الفرصة للاطلاع على هذا التقرير الذى شارك فيه مساعد وزير الخارجية « فانس » بنفسه والذى يتضمن انطباعاته وآراءه بما فى ذلك إشارات عن السياسة الأمريكية وتكتيكاتها فى هذا الجزء من العالم العربى .. وحيث أننى أعتبر ذلك مؤامرة فإننى أسعى للنشر والكشف عن هذه المؤامرة بدون أن أضطر للكشف عن شخصيتى حيث أن ذلك يعرض حياتى إلى خطر جسيم ..) .

وكما حدث فى خطاب نائب وزير الخزانة المزعوم ، فإن ملاحظات تقرير وزير الخارجية « فانس » – فيما بعد – دفعت السادات فوراً لكى يقدم طلباً رسمياً لتوضيح من واشنطن حول صحة هذه المعلومات .

فى الفترة ما بين مارس ١٩٧٧ وحتى يناير ١٩٨٠ م ظهرت ثلاث وثائق « مزورة » فى القاهرة تحمل اسم السفير الأمريكى لدى مصر فى ذلك الوقت « هيرمان أيلتس » تلك الوثائق التى صورت السفير على أنه أهم شخصية أمريكية تلعب دوراً فى المؤامرة ضد النظام فى مصر [٢] .

بحر الكتب
bahr.alktob

الوثيقة الأولى :

وكانت عبارة عن خطاب يحمل توقيع السفير «أيلتس» ومؤرخ فى ١٤ يونيو ١٩٧٦ م ومرسل لسفير المسئول العربى ، وكان الهدف الظاهر منه هو عزل السادات وإحراجه فى العالم العربى .. وهذا نصه :

(.. باعتبارها أقوى دولة غربية ، فإن الولايات المتحدة لديها مسئولية رئيسية فى الحفاظ على الاستقرار والسلام فى الشرق الأوسط .. وفى هذا الصدد فإن أى اضطراب فى ميزان القوى فى المنطقة يعد خطيراً من وجهة نظر الولايات المتحدة .. فإن نوايا الرئيس السادات فى استخدام الوضع غير المستقر فى السودان للحصول على قدر من الهيمنة والنفوذ هناك يمكن أن يؤدى إلى آثار غير متوقعة . وكما كان لى الشرف فى إيفادكم من قبل بأن مصالح دولتينا فى السودان يمكن أن يتم تأمينها بشكل جيد بواسطة تأسيس حكومة ديمقراطية هناك تضم شخصيات لها نفوذ وتتمتع بثقتنا ...) .

وللإمعان فى توسيع هوة الخلاف المصرى العربى تم إرسال نسخة من هذا الخطاب إلى سفارة السودان فى بيروت فى مارس ١٩٧٧ م بالإضافة إلى الحكومة المصرية [٣] .

الوثيقة الثانية :

وكانت عبارة عن « مذكرة عمليات » بتاريخ ١٩٧٧/٣/٢٨ م ومرسلة من السفير (أيلتس) إلى وزارة الخارجية بواشنطن وجاء فيها :

(.. لقد ناقشت المشكلة عدة مرات وبشكل مسهب مع السيد / فيز مدير محطة المخابرات المركزية فى القاهرة الذى شاركنى نفس الرأى .. إن النقائص فى أسلوب زعامة السادات تم شرحها بالتفصيل وبشكل جيد فى دراسة الشخصية التى أعدها الصديق السيد / فيز .. بعد قراءتى للدراسة أصبحت أكثر اقتناعاً بأن السادات يحتمل ألا يكون أفضل شخص لتنفيذ خططنا فى مصر والشرق الأوسط ...) .

بحر الكتب
bahr.alktob

ومرة ثالثة تقدمت مصر بطلب لأمريكا لتقديم تفسير رسمى فى هذا الشأن .

الوثيقة الثالثة [٤] :

تلك التى حملت توقيع السفير (أيلتس) والتى نشرت صحيفة البعث السورية جزءا ضئيلاً منها فى شهر أكتوبر ١٩٧٧ م وكانت عبارة عن تقرير مقدم من (أيلتس) إلى الأدميرال (ستانسفيلد تيرنر) مدير المخابرات المركزية حول سياسة أمريكا الخارجية فى الشرق الأوسط وتقييماً لها .. وهذا جزء من التقرير :

(.. إن شخصية السادات مازالت تشكل مشكلة كبيرة ومصدراً للقلق .. إن السادات يتمتع بشخصية مزدوجة .. الأولى وهى عاطفية دائماً ما تكون على استعداد لتقديم المساعدة والعون .. أما الشخصية الثانية فهى تتمثل فى السكون والعزلة وتقلب المزاج والتفكير أكثر من اللازم .. إن السؤال المطروح الآن هو :

ما هو المدى الذى يمكن للرجل أن يواصل دعم سياساتنا ودفعها للأمام ؟

إذا لم يستطع السادات تحقيق ذلك فى المستقبل .. وإذا لم يستطع تجنيد قوى جديدة لتحقيق هذه الأهداف .. وإذا ما أصبحت شخصية السادات حجر عثرة من وجهة نظر بعض الزعماء العرب الآخرين بالنسبة لتحقيق أهدافنا وأغراضنا .. فى تلك الحالة فإنه يجب علينا أن نتخلص من السادات .. نتخلص منه وبدون تردد .. فى تلك الحالة يجب علينا أن نستبدله برئيس آخر فى أسرع وقت ممكن بشرط أن يتفق معنا فى آرائنا ويخدم مصالحنا ...) .

بحر الكتب
bahr.alktob

وقد أرفق بالتقرير خطاب من الراسل موقعاً بالشكل التالى : صديق أمريكى فى المخابرات المركزية الأمريكية لا يقبل الخدع المقززة التى تتم باسم الحرية والإنسانية ! (٥) .

وكما نرى فإن التقرير يصف السادات بأنه وسيط غير كفء ، كما أنه مصدر إزعاج .. بالإضافة إلى تمتعه بشخصية اكتئابية شيزوفرونية مزدوجة .

فى شهر أغسطس ١٩٧٧ م تلقت سفارة مصر فى بلجراد صورة من حديث أدلى به نائب الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت (وولتر مونديل) للصحفى الأمريكى الشهير (كارل دوجلاس) .. كانت هناك علامات بأنها مرسلة من سفارة أمريكا فى إيران التى كانت تحت حكم الشاه فى ذلك الوقت .. كان الحديث يحمل إشارات قوية إلى أن دولة عربية وإيران وأمريكا يتآمرون للإطاحة بالسادات .

وقد تم إرفاق ذلك كله بصورة لنائب الرئيس الأمريكى أثناء الحوار – الذى لم ينشر فى أى صحيفة أمريكية – مع الصحفى المذكور !!

ومن بعض ما جاء فى الحوار المزعوم ننقل الآتى :

(.. لا أعتقد أن أياً من السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلى مناحم بيجن يصلحان لإقامة سلام دائم بين بلديهما .. خاصة وأن الأخير مصاب بمرض خطير ، كما أن السادات يكرس كل طاقاته فيما يتعلق بمخاوفه الداخلية .. وأعتقد أن السادات لن يستطيع أن يقف طويلاً فى وجه المعارضة الداخلية .. الأمر الذى يمثل سبباً قوياً لتغيرات حادة متوقعة فى سلوك الدولتين .. وإذا ما وقعت تغيرات جوهرية فى شخصيتى رئيسا الدولتين فإننا سوف نرحب بذلك كمقدمة لاتباع سياسات واقعية لتسوية خلافاتهما بشكل سلمى ...) .

وفى محاولة لضرب المعارضة الإسلامية وخاصة تلك المتمثلة فى (الإخوان المسلمين) تلقت مجلة الدعوة لسان حال جماعة الإخوان

بحر الكتب
bahr.alktob

المسلمين فى شهر فبراير عام ١٩٧٩م صورة مرسلة من مجهول من الأردن لتقرير أعده باحث سياسى أمريكى بارز فى شئون الشرق الأوسط وهو البرفيسور (ريتشارد ميتشيل) ومقدم إلى مدير إدارة الخدمة السرية فى المخابرات المركزية .. وفى تقريره حدد البروفيسور الأمريكى الوسائل التى يمكن من خلالها ضرب أعضاء المنظمات الإسلامية المعارضة لاتفاقية كامب ديفيد ببعضهم البعض .. حيث أن (جماعة الإخوان المسلمين) كانت ضمن قائمة ضَمَّتْ عدداً من الجماعات المستهدفة لحملة تحييد المعارضة للاتفاقية .

وبالرغم من المعارضة الشديدة والاحتجاج القوى من جانب السفارة الأمريكية فى مصر التى لم تكذب التقرير واحتجاج الباحث الأمريكى البارز فإن المجلة نشرت جانباً من التقرير فى شهر فبراير ١٩٧٩ م .

تقرير آخر يحمل عنوان « فائق السرية » أرسلت صورة ضوئية منه من السفارة الأمريكية فى إيران أثناء فترة حكم الشاه فى ٦ أبريل عام ١٩٧٧م إلى عدد من الجهات من بينها سفارة مصر فى بلجراد .

وقد اقتصرت الصورة على بث جانب ومقاطع متناثرة من تقرير أعده مدير محطة المخابرات المركزية فى طهران ومرسل إلى المركز الرئيسى فى لانجلى فى فرجينيا .. وهذا نصه :

(.. خلال اتحادثات مع الجنرال « ميسيرى » وذلك بالإشارة إلى المعلومات الأخيرة الخاصة ببدء مشروع مكثف للإطاحة بالسادات فإن الآراء تدور حول أن الوقت قد حان لإزاحته .. على السادات إما أن يزاح عن منصبه بتدبير انقلاب أو بطريقة أخرى .. « إنهم » يرون أن ذلك هو الخيار الوحيد ، مع الوضع فى الاعتبار تلك المصالح المشتركة فى المنطقة .. الجنرال « ميسيرى » يقول : إن الأمير ..... [نحتفظ باسم الأمير العربى نظراً لحساسية الموضوع] يتفق مع هذا الرأى تماماً .. « قرارهم » النهائى قد حدده السيد « مروان » فى تقريره المؤرخ فى شهر مارس ١٩٧٧م حول الموقف المصرى وموقف الرئيس السادات .. بالنظر إلى الخطوط الإرشادية المحددة لى مع

بحر الكتب
bahr.alktob

حساسية الموضوع ودقته البالغة فقد بذلت جهدى كى لا ألتزم بشىء محدد .. الجنرال «ميسيرى» طلب منا أن نبلغ السيد «فيز» مدير محطة المخابرات المركزية فى القاهرة والسيد رازمارا ..) .

ويتضح أن «الوثيقة المزعومة» تحاول أن تشيع أن هناك موامرة (أمريكية - إيرانية) للإطاحة بالسادات ، وقد قدم الرئيس السادات طلباً رسمياً إلى واشنطن لتوضيح هذا الأمر .. ومن جانبه قدم الرئيس كارتر ما قبله السادات كدليل على عدم صحة هذه المعلومات المتضمنة فى تلك الوثائق !! [٦] .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة فى كل مرة تقدمت فيها القيادة المصرية بطلب للتوضيح كانت ترد بأن الأمر لا يعدو أن يكون نشاطات زائدة من جانب (إدارة الإجراءات الناشطة) فى المخابرات السوفيتية الـ « **كى . جى . بى** » إلا أنها لم تقدم دليلاً عملياً حاسماً يفضح تلك الممارسات السوفيتية المزعومة .

أيضاً فإن القيادة المصرية ولأسباب غير معلومة لم تحرص على التمسك بالحصول على هذه الأدلة التى تدين الاتحاد السوفيتى والمبرئة للولايات المتحدة !

فى الوقت نفسه لم تقدم الولايات المتحدة تفسيراً مقنعاً لكيفية حصول (إدارة الإجراءات الناشطة السوفيتية) على الورق الأصلى الذى يحمل شعارات بعض الإدارات السرية جداً فى المخابرات الأمريكية والتى كتبت عليها بعض هذه التقارير !

لم تقدم الولايات المتحدة تفسيراً مقنعاً لكيفية تزوير المخابرات السوفيتية أختاماً وشعارات من الصعب جداً تزويرها بشكل يطابق الأصل ، ناهيك عن توقيعات كبار المسئولين الأمريكيين فى المخابرات المركزية التى كانت مقنعة جداً .. حيث أنه لم تتح لنا الفرصة لجلب خبير فى مضاهاة الخطوط لفحص أصول هذه التقارير .

الواضح للقارئ المدقق فى محتوى هذه الوثائق والمتابع للأحداث التى

بحر الكتب
bahr.alktob

واكبت تلك الفترة أن الأمريكيين حرصوا على مجرد نفى التهمة عن أنفسهم ، وإن لم يحرصوا على إثبات براءتهم بشكل قاطع .. الأمر الذى هو فى غاية السهولة إذا ما أرادوا .. ولكن السؤال الأهم هو لماذا ؟!

لقد كانت منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة تشهد فوراناً داخلياً فى ذلك الوقت وخاصة فى مصر التى كانت قد قطعت شوطاً على الطريق الأمريكى على الصعيدين الاقتصادى (السوق الحر) ، والسياسى (السلام المنفرد مع إسرائيل) .

إلا أنه - ولتصلب موقف إسرائيل تدعمها فى ذلك الولايات المتحدة - وجد السادات نفسه يقف فى مفترق طرق .. وهو إما أن يعود إلى التجمع العربى على الصعيد السياسى ، وإلى السياسات الاقتصادية المعتمدة على الذات .. وإما أن يستكمل الطريق بمفرده وبمعزل عن العرب وعن الشعب بكل ما يحمله ذلك الخيار من مخاطر تهدد نظام الحكم بل وتهدد حياته .

وطبقاً لخبراء بارزين فى هذا المجال ، والذين اضطلعوا بمثل هذه الحملات من قبل فإن السادات وقف متردداً فى هذا المفترق الخطير .. فبالرغم من تأكيدات الأمريكيين بأن تلك الوثائق والتضليل انطلقت من موسكو فإنه طبقاً لهؤلاء الخبراء فإن تلك الوثائق السرية من المحتمل جداً أن تكون قد انطلقت من جانب الأمريكيين أنفسهم .

وبالطبع فإن صانع القرار الأمريكى - فى حالة صحة الافتراض الأخير - لم يكن يفكر بشكل جدى أو على الأقل حاسم فى قلب نظام حكم السادات .. وإنما كان الهدف هو إعطاء السادات هذا الشعور الكاذب بأن تردده أوشك أن يفرغ صبر الولايات المتحدة عليه ، وبأنه إذا لم ينصع لها فإنه بذلك لا يعرض نظامه للخطر فقط .. وإنما يعرض حياته شخصياً للموت .

وكما أورد هؤلاء الخبراء فإن الرسالة الأمريكية كانت ستأتى بنتائج

بحر الكتب
bahr.alktob

عكسية إذا انطلقت من واشنطن مباشرة إلى القاهرة .. ولذا كان القرار بإرسال تلك الرسائل التهديدية عن طريق غير مباشر من خلال تسريب تلك الوثائق إلى مناطق بعيدة عن كل من القاهرة وواشنطن لكى تصل بعد دورة محسوبة فى هدفها النهائى إلى القيادة المصرية التى تثور ثائرتها فى البداية وتطلب تفسيراً يؤدى إلى اتهام السوفييت بالتزوير بدون محاولة قطع ذلك على وجه اليقين للقيادة المصرية .. والهدف هو إيجاد حالة من الشك الذى لا يرقى إلى مستوى اليقين فى نوايا الولايات المتحدة تجاه القيادة المصرية فى حالة عدم استجابتها لسياسات واشنطن .. وطبقاً لقواعد اللعبة فى رأى أحد الدبلوماسيين الغربيين الذى طلب عدم الكشف عن اسمه فإن الموقف فى مثل هذه الحالات يكون كالآتى :

(.. هناك العديد من القيادات والزعامات وخاصة فى الشرق الأوسط التى يكون رد فعلها تجاه التهديد المباشر حتى وإن جاء من قوى عظمى يكون عكسياً .. ولذا فإن المتبع فى مثل هذه الأحوال إبلاغ التهديدات من خلال رسائل غير مباشرة لا تستفز الكرامة لدى القيادات وتدفعها فى نفس الوقت للتفكير فى حياتها فى ظلال من الشك فى الصديق والحليف قبل العدو والخصم .. !) .

نعم .. هناك احتمالات - حتى وإن كانت تخالف مصالح الأطراف الضالعة فى هذه العملية - فى أن جهاز المخابرات السوفيتية « **كى . جى . بى** » كان يقف وراء هذه العملية فى محاولة منه لاستعداء السادات على الولايات المتحدة ودفعه بعيداً عن أحضانها .. وبالتالى عن عملية السلام مع إسرائيل وسياسات السوق التى كانت أمريكا تدفع مصر إليها ، وعن فتح أسواقها للاستثمارات الأمريكية .. إلا أن ذلك لا ينفى احتمالات قوية ومنطقية بأن تكون المخابرات المركزية الأمريكية كانت وراء ذلك كله لحسم تردد السادات .

هذه الاحتمالات غير المؤكدة هى التى كثيراً ما تنتهى به بعض عمليات المخابرات المعقدة ، والتى تترك فى النهاية - حتى بعد أن نعلم

بحر الكتب
bahr.alktob

بوجود مثل هذه العملية وبعض تفاصيلها – واقعاً يقبع فى منطقة رمادية ضبابية ليس من الصعب أن تميز فيها العربة التى تقبل عليك بسرعة كبيرة .. وإنما تكمن الصعوبة فى تمييز هوية قائدها .. إنها دائرة الشك .. !

وبعد .. فقد قفزت هذه العملية فى ذهنى وأنا أراجع المعلومات التى حصلت عليها فى اللقاء الأول مع السيد / **توليدانو** القيادى السابق فى (جهاز الموساد) الأمر الذى دفعنى إلى محاولة الاستمرار فى متابعة البحث والتقصى والتدقيق لتقديم معلومات فى هذا الشأن هى أقرب ما تكون إلى الحقيقة .. دفعنى ذلك إلى محاولة النظر فى هذه القضايا من خلال عيون « الآخر » .. ومحاولة تقييم الذات من خلال عيون هذا « الآخر » ..

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

الجـــزء الأول

لقـاء مع جاسـوس !

إذا كنت مصرياً .. لعشقت عبد الناصر (!!)

« مدير المخابرات الحربية الإسرائيلى الأسبق فى مقابلة مع المؤلف »

بحر الكتب
bahr.alktob

مقدمة

كان ذلك يوماً من أيام شتاء القاهرة الجميل .. عندما جلست فى المقعد الخلفى لسيارة الأجرة أراقب المطر المبكر بالنسبة إلى مثل هذا الوقت من العام [الثانى من شهر نوفمبر] أراقب هذا المطر وهو يجرى على زجاج السيارة آخذاً شكل ثعابين صغيرة اتخذت من الفتحات الضيقة التى فى جسم السيارة أوكاراً لكى تبيت بياتها الشتوى ، متقية بذلك برد ذلك الشتاء المبكر الذى هبط على مصر .

عند الصباح كنت أتوجه إلى فندق (مينا هاوس) ذلك الفندق الذى يقبع تحت سفح هضبة الأهرام لكى أقوم بتغطية مؤتمر (عربى - إسرائيلى) تحت رعاية أمريكية لبحث مستقبل مدينة القدس المحتلة .. المؤتمر لم يكن يعقد بشكل رسمى ، كما أن المؤتمرين حرصوا على الاحتفاظ بتفاصيل أعمال المؤتمر فى سرية تامة ، توقعت قبل أن أصل إلى الفندق أن السبب فى تلك السرية حساسية القضية لجميع الأطراف .

وبالنسبة لأى صحفى يعمل فى المجال السياسى فإن هذا النوع من التغطيات الصحفية يعد الأفضل له .. حيث أنه يتيح له فرصة أكبر لتحقيق انفراد صحفى .. على عكس تلك الأحداث العامة العادية التى يحتشد وراءها جموع من الصحفيين والتى تسفر فى النهاية عن خبر أو تحقيق عادى مكرر فى جميع الصحف .. بحيث يكون من الصعب رصد أى اختلاف بينهم سوى حجم الحرف بين صحيفة وأخرى .. وبالرغم من ذلك فإننى لم أكن أشعر فى ذلك الصباح بأى قدر من الإثارة .. وربما كان السبب فى ذلك تلك الجرعات العالية من الإثارة التى تعاطيتها قبل هذا اليوم ولمدة شهور طويلة قضيتها فى تغطية حرب البوسنة .. لم أكن أدرى وأنا أقترب

بحر الكتب
bahr.alktob

من أحد أصدقائى وهو دبلوماسى أجنبى كان مشاركاً فى تنظيم المؤتمر .. لم أكن أدرى أننى على وشك إجراء واحدة من أكثر مقابلاتى الصحفية إثارة (!!) .

اتفقت مع المصدر الدبلوماسى على موعد اللقاء بعد جلسة العمل الأولى ، كما أعطانى فكرة وجيزة عن جدول الأعمال ، وعن الشخصيات المشاركة فى المؤتمر .. وقد ركزت بالطبع على الفلسطينيين والإسرائيليين .. امتدت الجلسة على غير المتوقع إلى ما يزيد على ساعتين مما أصابنى بالملل ، فوجدتنى أروح جيئة وذهاباً فى ذلك الدهليز ذى الديكورات البديعة الذى يتوسطه باب قاعة الاجتماعات .. لحظات من الملل ثم فتح باب القاعة لكى يخرج منه رجل ذو ملامح أوروبية تشير إلى عمر جاوز الستين ، فاقتربت منه سائلاً إياه عن أسباب تأخر الاجتماع .. وذلك بعد أن عرّفته بصفتى الصحفية ، فقال لى : لقد أوشكنا على الانتهاء .. وذلك قبل أن يتوقف ليسألنى : ولكن .. ألا تدرى أن تلك الاجتماعات ليست للنشر ؟! قلت له : هذه هى مشكلتى .. ولكن هل لى أن أتشرف بمعرفتك ؟ تفرس فىّ الرجل برهة قبل أن يقول لى إن اسمه (شوموئيل توليدانو) وأنه زعيم أكبر « جماعة ضغط سياسية » فى إسرائيل ، وهى تضم كبار ضباط جيش الاحتياط والمتقاعدين والذين يصل عددهم إلى أكثر من ألف ضابط .

غمغمت بصوت منخفض - فوجئت بأنه قد سمعه - قائلاً : وبالطبع أنت ضابط مثلهم !! ابتسم الرجل وهو يسألنى : هل لديك مانع فى ذلك ؟! قلت : سيان .. أعتقد أن الجميع لديكم خَدَمَ فى الجيش أو لا يزال .. المهم أنك لن تتكلم ؟! قال : إن ذلك يعتمد على ما ترغب فى معرفته !! وأحسست بأن الرجل يرغب فى الحديث .. سواء عن جماعة الضغط التى يتزعمها ، أو عن الاجتماعات .. فبادرته : متى ؟ وأين ؟ قال : سوف أنتظرك فى الساعة السادسة مساء اليوم أمام مكتب الاستقبال .. وذلك قبل أن يختفى داخل دورة المياه .

فى الساعة السادسة بالضبط ذهبت فوجدته منتظراً ، فاضطررت للاعتذار

بحر الكتب
bahr.alktob

مؤكداً له بأن ساعتى تشير إلى السادسة تماماً ، إلا أنه طمأننى قائلاً : لا تنزعج إنها مجرد عادة قديمة لم أتخلص منها بعد وهى أن أحضر مبكراً عن موعدى .. ابتسمت متعجباً ، فابتسم هو الآخر مردداً : مجرد عادة ..

جلسنا وقد اصطفت أمامى أدوات القهوة .. أما هو فقد اكتفى بشرب النبيذ وهو يشرح لى نظام جماعات الضغط السياسية فى إسرائيل ، وكيفية عملها بالمقارنة مع نظيراتها فى الولايات المتحدة .. جعل الرجل يتحدث بدون أن أقاطعه حتى انتهزت فرصة انهماكه بصب كأس من النبيذ فقلت له :

●● إنه إذا كان الموضوع بهذه الأهمية والجدية بالنسبة لجمهور القراء المصريين فمن الأنسب أن نُعَرِّفَ بك وبتاريخك للقراء .

تفرس الرجل فى وجهى بحدة لم تتناسب مع ما لاح لى كشبح ابتسامة على وجهه ثم قال : هل تعتقد ذلك ؟ تشاغلت عنه وعن الإجابة عليه بتغيير شريط التسجيل .. بعد فترة سعال قصيرة بدأ الحديث عن نفسه ولسانه يتثاقل بفعل الخمر قائلاً :

● أنا (شوموئيل توليدانو) .. ولدت عام ١٩٢٩ م فى منطقة الرملة بالقرب من تل أبيب وذلك قبل قيام دولة إسرائيل .. أصولى ينم عنها اسمى .. فأنا أنحدر من عائلة يهودية كانت تقطن منذ مئات السنين فى مدينة طليطلة فى الأندلس تحت حكم الخلافة الإسلامية وذلك قبل أن نفر من اضطهاد الملكة إيزابيلا القشتالية التى أسقطت دولة الخلافة الإسلامية فى الأندلس لكى تتفرق العائلة فى العديد من البلدان من بينها فلسطين .. حيث ولدت أنا .

●● تاريخ حافل للأسرة .. ولكن ماذا عن تاريخك الشخصى أنت ؟ هكذا كان سؤالى التالى .. ماذا كنت تعمل قبل تزعمك لجماعة الضغط العسكرية تلك ؟

● ضابطاً فى المخابرات الإسرائيلية .. نعم .. كنت ضابطاً فى الموساد ..

بحر الكتب
bahr.alktob

قالها الرجل ببساطة شديدة قبيل أن يلقى بكأس آخر من النبيذ فى جوفه لكى يبادرنى بسؤاله :

● **أما زلت ترغب فى استكمال الحديث ؟!**

.. وساد صمت من جانبى ومن جانبه لمدة ثوان ..

لقد أخذنى الرجل على غرة .. وبالنسبة لمن لم ير فى حياته ضابطاً للمخابرات يصرح بشكل مباشر بأنه ضابط للمخابرات .. ناهيك عن كونه ضابطاً فى جهاز مخابرات دولة كانت فى حالة حرب معنا حتى وقت قريب نسبياً .. إضافة إلى كونه « جهاز الموساد » بالتحديد لما كان له من تأثير نفسى سلبى لنا نحن العرب ، بالنسبة لكل ذلك فإن رد الفعل الذى ظهر على وجهى استلزم مجهوداً كبيراً !!

وبدلاً من أن أؤكد له أن تاريخه الشخصى لن يدفعنى لأى سبب من الأسباب لكيلا أستكمل معه حوارى بادرته بسؤال عن التاريخ الذى التحق فيه بخدمة الموساد ؟

ضحك الرجل طويلاً قبل أن يقول إنه يظن فى بعض الأوقات أنه ولد ضابطاً فى المخابرات .. ولكى يكون ضابطاً فى الموساد بالتحديد ، ثم استطرد قائلاً : لقد التحقت فى الخدمة كضابط إسرائيلى للمخابرات قبل قيام دولة إسرائيل بعامين تقريباً .. أى عام ١٩٤٦ م ، وكنت فى ذلك الوقت مراهقاً فى سن الـ ١٧ ، ولعلى بذلك أعد أصغر ضابط مخابرات فى تاريخ مثل هذه الأجهزة فى العالم .

ولكن ذلك غريب .. حيث إنه من المعروف أن جهاز الموساد لم يتأسس رسمياً إلا بعد قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م ، وتحديداً فى عام ١٩٥٢ م .. هكذا سألت توليدانو ؟

بادرنى الرجل قائلاً :

أنا دقيق فى تعبيراتى .. حيث قلت إننى عملت ضابطاً فى المخابرات ..

بحر الكتب
bahr.alktob

وليس فى الموساد الذى لم يكن قد ولد فى ذلك الحين .. فى ذلك الوقت كنت أعمل ضابطاً فى مخابرات (قوات الهاجاناه) التى كانت الفصيل الأكبر فى جيش إسرائيل فيما بعد .

وأحسست بأن هذه ربما تكون فرصة نادرة لكى يقترب الرأى العام - فى العالم العربى - من هذا الجانب الغامض فى ذلك (العالم السرى) الذى يحتل دوائر عديدة ومتداخلة تكسوها ظلال رمادية اللون أحياناً ، وتتبلد أحياناً أخرى حتى تتحول إلى السواد البهيم !!

كانت عقارب الساعة تتسارع فى تلك اللحظات لكى تقارب العاشرة مساء .. حيث كان موعد عشاء تعارف بين أعضاء وفود المؤتمر ، فاتفقنا على أن يكون هناك لقاء ثابت يومى على مدار الأيام الأربعة التى سيستغرقها المؤتمر فى وقت راحة الوفود ، والتى تصل طوال يوم العمل إلى سبع ساعات متفرقة .. لم أكن أدرى أن الأمر سيتطلب فيما بعد زيارة إلى إسرائيل لاستكمال ما بدأ تحت سفح الأهرامات ..

* * *

●● كونك ضابطاً بارزاً فى الموساد لفترة زادت على ربع قرن .. كيف تشعر بعد كل ما فعلته فى الحرب ضدنا ؟

● الآن أحس بمشاعر لا يمكن وصفها ، وخاصة عندما أحضر لمصر فى سلام .. مصر التى نجح جيشها فى قتل أشقائى فى حرب ١٩٤٨ م ، وفى كل مرة أحضر فيها إلى مصر أعيش فى هذا الحلم الجميل !

●● خلال سنوات طويلة من العمل كضابط موساد ، ثم كأحد قيادات المخابرات الإسرائيلية .. عملت وحاربت ضد العرب .. ألم يَدُرْ - طوال هذه الفترة - فى ذهنك السلام معهم كهدف نهائى ؟

● دعنى أقسم حياتى إلى جزءين :

الجزء الأول : خلال تلك الفترة التى بدأت العمل فيها وأنا صغير السن بالجيش ، ثم فى الموساد .. فى تلك الفترة لم تكن لى أى علاقة

بحر الكتب
bahr.alktob

بالسلام .. وإنما العكس تماماً .. حيث كنت أحاربكم بهدف تدميركم .. فقد كنتم ألد أعدائى على الصعيدين الخاص والعام .

[قالها الرجل وعيناه تلمعان بشدة وكأنه باستعادته لتلك الذكريات البعيدة كان يجتر فترة شبابه] .

الجزء الثانى : بعد أن تركت الخدمة فى الموساد .. عملت مستشاراً لرؤساء الوزراء : ليڤى أشكول ، جولدا مائير ، وأخيراً إسحاق رابين للشئون العربية .. وذلك فى خلال فترة رئاسته الأولى فى عام ١٩٧٦م وكان العرب وقتئذ خلف الخط الأخضر – أى فى الأراضى المحتلة – وهى مسئوليتى المباشرة .. ثم عضواً فى الكنيست .. ثم الآن أتزعم أكبر جماعة ضغط تجمع كبار العسكريين الاحتياط والمتقاعدين ، كما أحاضر فى الجامعات بالداخل والخارج .. خلال تلك الفترة بدأت علاقتى بالسلام .. وكما قلت من قبل فإن الجزء الأول من حياتى قضيته محاولاً تدمير العرب بكل الوسائل .. أما الجزء الثانى والحالى فأنا أفعل ما بوسعى لجمع شمل الطرفين ! .

●● دعنا نتحدث بداية عن تاريخك ضدنا .. كيف ومتى كانت بدايتك فى الموساد ؟

● انخرطت فى العمل العسكرى وأنا صغير جداً فى السن .. حيث لم أكن قد تجاوزت الـ ١٧ من العمر .. بدأت كضابط فى قوات الهاجاناه ، وكما يعلم الجميع كانت هناك ثلاث جماعات يهودية مسلحة فى تلك الأيام وهى : (الهاجاناه) ، (شتيرن إيتسل) ، (أرجون زفاى) .. بعد فترة ألقت السلطات البريطانية القبض علىّ وبقيت فترة معتقلاً قبل أن يطلق سراحى فى عام ١٩٤٦م .. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت ضابطاً فى مخابرات الهاجاناه ، وقد أوكل إلىّ اختصاص العرب !!

●● ماذا تعنى بأنك تخصصت فى العرب ؟

● كنا نتوقع نشوب الحرب مع الدول العربية ، وكنا واثقين من أن

بحر الكتب
bahr.alktob

الجيش المصرى سيدخل فلسطين مع بقية الجيوش العربية .. كنا فى ذلك الوقت بحاجة ماسة لجمع المعلومات عن الجيوش العربية مثل : أى الجيوش ستتدخل ؟ .. ومتى ؟ .. وعن أى طريق ؟ .. إلخ .. معلومات كهذه كنا نجلبها من الخارج .. كنا نعلم أيضاً أن العرب الفلسطينيين سيحاربون من خلال جماعات المقاومة التى يرأسها زعماء أمثال : « الشيخ أمين الحسينى » و « عز الدين القسام » .. كنا نرغب فى الحصول على معلومات من داخل القرى والمدن العربية مثل : هل يقوم الفلسطينيون بتكديس السلاح ، وما هى نوعيات هذه الأسلحة ؟ .. هل سيهاجمون تل أبيب أم لا ؟ .. هل سيهاجمون الكيبوتسيم – المزارع الجماعية – ؟ من هنا بدأنا فى تشكيل جهاز مخابرات الهاجاناه قبل حرب ١٩٤٨ م بثلاث سنوات والذى كان فيما بعد نواة مخابرات الجيش الإسرائيلى ، وأطلقنا عليه اسم « شطريت يدعوت » .

كنا فى تلك الأيام نركز جُلَّ اهتمامنا على مسألة دخول الجيش المصرى فى الحرب وذلك لقوة الجيش المصرى الفائقة ، وبالمقارنة مع بقية الجيوش العربية ، كما كنا نركز على موقف العرب داخل فلسطين .. كنا نعمل كجماعات سرية تحت الأرض بعيداً عن أنظار السلطات البريطانية .

● ● كيف أمكنكم – وأنتم ما زلتم مجرد جماعات وعصابات سرية – القيام بمهام جلب معلومات وخاصة من الخارج ؟

● دعنا فى هذا المقام نُقَسِّمُ المعلومات إلى :

أولاً : المعلومات من الداخل : كنا على سبيل المثال نريد معرفة موعد رحيل القوات البريطانية عن مدينة يافا وذلك حتى نستطيع السيطرة على أقسام الشرطة ومراكز إدارة الجيش هناك .. فى هذا النموذج بالتحديد قمت أنا شخصياً بتجنيد شبكة دعارة ضمت عدداً من الفتيات اليهوديات فى المدينة اللائى قمن باستدراج الجنود والضباط الإنجليز خلال « أحاديث

بحر الكتب
bahr.alktob

الوسادة » لكى يعرفن موعد رحيلهم من مواقعهم ومن فلسطين ككل ، ثم إبلاغنا بذلك ! .. أيضاً قمت بتجنيد عدد من العملاء العرب داخل بعض القرى العربية لإبلاغى بمثل هذه المعلومات .. وبالنسبة لتمويل نفقات هذه الأنشطة فإن (قوات الهاجاناه) كانت جزءا من « الوكالة اليهودية » التى كانت قوية التمويل بفضل تبرعات أثرياء اليهود .. فعلى سبيل المثال كنت أتلقى راتباً كضابط مخابرات متفرغ يعمل ليل نهار .. وبالطبع لم نكن فى ذلك الوقت نعرف ما هو الثراء .. ولكن فى نهاية الأمر كانت هناك تنظيمات وكوادر وظيفية يتفرغ لها عاملون يتقاضون مرتبات ثابتة .

●● كنت تقوم بتشغيل شبكة دعارة بنفسك ؟!

[ضحك الرجل ضحكة خفيفة وهو يقول] :

●● لا تنزعج هكذا .. فلست ضابط المخابرات الوحيد فى هذا العالم الذى مارس هذا العمل كوسيلة لجلب المعلومات .. سواء اتخذ هذا الجنس شكل علاقة عاطفية فردية بين مندوبة لى من ناحية وأحد الأشخاص المستهدفين من ناحية أخرى .. أو اتخذ شكل شبكة دعارة تضم مندوبات تعملن تحت ساتر العهر ! ولكننى لم أقتصر فى عملى هذا على جلب المعلومات من خلال الدعارة فقط فقد كانت هناك وسائلى الأخرى التى اعتمدت عليها شخصياً فى الحصول على المعلومات .. مثل قيامى بالتصنت على المكالمات التليفونية عن طريق الأسلاك الهوائية للهواتف ، حتى إننى فى فترة متقدمة كنت أستمع إلى جميع المكالمات التليفونية بين القادة البريطانيين وبين الزعماء العرب بالداخل أمثال الحاج أمين الحسينى !!

ثانياً – المعلومات من الخارج : كان لدينا عملاء يهود وأيضاً من العرب ممن كنا نرسلهم كجواسيس إلى الدول العربية وعلى رأسها مصر ، والعراق ، والأردن ، ودول أخرى لجمع المعلومات وإبلاغنا بها .. وكانت معظمها تدور حول مشاعر الرأى العام والاستعدادات بشكل عام .

بحر الكتب
bahr.alktob

●● هل كنتم تحصلون على معلومات قيمة من الخارج .. وما هى نوعيتها بالتحديد ؟

● الحقيقة أنه كانت لدينا معلومات هائلة عن الداخل فى فلسطين، فى حين كنا نعانى نقصاً شديداً فى المعلومات عن الخارج وبصفة خاصة عن مصر واستعداداتها لدخول فلسطين .. تلك المعلومات التى كنا فى حاجة ماسة إليها وخاصة فى الشهور التى صاحبت خروج البريطانيين وإعلاننا قيام دولة إسرائيل .. وهى بالتحديد الشهور الأربعة الأولى من عام ١٩٤٨ م .

●● وكيف كان وضعكم عندما تدخلت الجيوش العربية ؟

● فى الشهور التى سبقت خروج البريطانيين كنا قد أسفرنا عن وجهنا ولم نعد نعمل كمنظمات سرية .. ونجحنا فى تشكيل نواة جيش إسرائيل .. كانت فرصة كسب الحرب من وجهة نظرنا هى ٥٠٪ بالرغم من فارق القوة البشرية .. حيث أننا كنا نقاتل بيأس .. كنا نعرف ما نريد ونرغب فى البقاء .

●● وماذا عن دور الدروز فى مساعدتكم خلال الحرب ؟

● نسبة كبيرة منهم حاربوا ضدنا فى ١٩٤٨م .. إلا أنهم أصبحوا جزءا منا فيما بعد ودخلوا الجيش الإسرائيلى وحاربوا معنا ! .

●● ما هو أول منصب قيادى لك فى الموساد ؟

● كنت رئيساً لوحدة تعقب ومطاردة النازيين والعثور على الهاربين منهم فى مختلف أنحاء العالم .. كنت أتعقبهم حتى أعثر عليهم، ثم أسلم القضية برمتها إلى جهة أخرى .

●● أكنت تسلمها إلى فرق الاغتيالات مثلاً ؟!

● ليس كذلك .. !!

●● ما هى أشهر قضايا النازية التى توليتها ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● نازيون مثل : مارتن بورمان .. أحد كبار مسئولى المخابرات النازية ، ودى جريل البلجيكى ، والبولندى سكوف .. وغيرهم كثيرون .

●● هل توليت الإشراف على قضية أدولف أيخمان ؟

● كلا .. فقد توليت الإدارة بعد هذه القضية .. لقد كان نشاطنا مرهوناً بوقت محدد ، حيث كنا نعتقد بأهمية إرضاء مشاعر اليهود بمعاقبة هؤلاء الناس ولإظهار أن مثل هذه الممارسات ستتصدى لها دولة إسرائيل فى المستقبل .. الهدف إذن لم يكن العثور على كل النازيين الذين شاركوا فى مثل هذه الممارسات حيث أنه من المستحيل بكل المقاييس تحقيق ذلك .. وخاصة أنه مع مرور الوقت فإن هؤلاء النازيين يتقدم بهم العمر مثل (مارتن بورمان) الذى يتجاوز الـ ٨٠ الآن إذا ما كان حياً .

●● كم عاماً قضيتها مسئولاً عن وحدة تعقب النازيين ؟

● ثلاث سنوات من ١٩٦٢ - ١٩٦٥ م .

●● ما هى المهام والمناصب الأخرى التى توليتها فى الموساد ؟

● توليت فى فترة .. مسئولية إدارة جلب وتهجير وتهريب اليهود من دول العالم الذين كانوا ممنوعين من مغادرتها .. فى تلك الفترة أشرفت على بعض العمليات الكبرى لنقل اليهود ومنها عملية « ياخيم » ومعناها بالعربية « استعد للرحيل » وهى العملية التى قمت خلالها بإخراج اليهود من المغرب .. والعديد ممن أحضرتهم من خلال هذه العملية من المغرب يشغلون الآن مناصب هامة ورفيعة فى إسرائيل مثل : النائب البرلمانى البارز (موشيه ماعوز) .

[قالها الرجل وقد انتفخت أوداجه تيهاً وفخراً]

●● هل تعاونتم مع أى دولة سواء فى المنطقة أو خارجها لتنفيذ هذه العملية ؟

● كلا .. لقد قام بها الموساد وحده بالتعاون مع منظمات يهودية

بحر الكتب
bahr.alktob

أخرى .. وقد قبض على البعض من هؤلاء اليهود الهاربين ، كما غرق آخرون بلغ عددهم ٣٥ .. حيث كان المحيط هائجاً أثناء تنفيذ العملية ، كما كانت الزوارق التى كنا نستخدمها فى النقل صغيرة للغاية .. وقد تم دفن الموتى فى المغرب ، وفى شهر نوفمبر عام ١٩٩٣م حصلنا على إذن من الملك الحسن الثانى حيث نقلنا رفاتهم من المغرب وتم تشييعها فى جنازة عامة ودفنت الرفات فى إسرائيل .

●● ما هى المواقع الأخرى داخل الموساد التى توليتها أيضاً ؟

● إدارة الخدمة السرية داخل الدول العربية ، وهى الإدارة المسئولة عن اختيار وتجنيد وزرع العملاء والمندوبين .. أى هى الإدارة الحقيقية للتجسس داخل الموساد وأى جهاز مخابرات آخر !!

* * *

●● كيف كان يتم العمل فى مثل هذه الإدارة ؟

● بالنسبة لعمل إدارة إجلاء اليهود فإن الحديث عنها يعنى الحديث عن عمليات تمت ولن تتم فى المستقبل .. حيث لم يبق فى الدول العربية سوى بضع مئات من اليهود .. ولكن بالنسبة لعمل (إدارة العمل السرى) أى الإدارة المسئولة عن تشغيل عملاء إسرائيل فى الدول العربية فإن ذلك يعنى الحديث عن ماض يمكن من خلاله بكل سهولة الكشف عن الحاضر والمستقبل !!

●● دعنا نطرح السؤال بشكل مختلف وأكثر تحديداً .. هل تأثر النشاط التجسسى المتبادل بيننا وبينكم بعد السلام عن قبله .. وذلك باعتبار أن السلام عامل متغير ؟

● لتأخذ نموذج مصر ، وأنا أستطيع أن أتكلم عن علم بالنسبة لما حدث فى إسرائيل فى هذا الصدد وفى تلك الفترة .. فبعد ثلاثة أسابيع بالضبط من توقيع اتفاقية كامب ديفيد ، صدرت الأوامر لجميع إدارات المخابرات وضباطها لدينا : توقفوا .. مصر لم تعد دولة هدف منذ الآن !! وأتوقع أن نفس الشىء حدث من جانب جهاز مخابراتكم .. فلماذا

بحر الكتب
bahr.alktob

إضاعة مثل هذه الأموال الضخمة فى حين أن لديكم ولدينا مشاكل فى مناطق أخرى أولى بهذا الجهد المخابراتى ؟! أيضاً فإنه من الناحية المعنوية لا يصح اختراق دولة عقدنا معها اتفاقية سلام .. والأمر فى ذلك مع مصر مثله مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الصديقة ! .

●● ولكن هذا القول ليس دقيقاً بالمرة .. فأنتم جندتم وتجندون العملاء داخل الدول الصديقة أيضاً .. ومثال ذلك جاسوسكم الأمريكى (جوناثان جى بولارد) الذى جندتموه للعمل لصالحكم فى مخابرات البحرية الأمريكية ؟!

● بولارد لم يكن يتجسس على الولايات المتحدة لصالحنا كما يعتقد الغالبية !!

●● على من كان يتجسس إذن ؟

● فى عملنا هذا هناك أكثر من وسيلة لإدارة وتنفيذ عملية تجسس ناجحة ومن بينها استخدام منطقة معينة فى دولة معينة لكى نخترق دولة ثالثة .. فمثلاً يمكننى استخدام فرنسا لاختراق إيران أو العراق .. إنها لعبة أخرى مختلفة تماماً لا ألعب فيها ضد فرنسا أو أمريكا وإنما ضد دولة أخرى تماماً .. ومع ذلك دعنى أوكد أن عملية بولارد كانت خطأ من الأساس ، وما كان لها أن تتم من البداية .. إلا أن ذلك لا يعنى أنه كان يعمل لصالحنا ضد أمريكا !!

●● إذن ضد من كان يعمل بولارد من خلال موقعة كمحلل لصور الأقمار الصناعية فى مخابرات البحرية الأمريكية ؟

● من خلال بولارد كنا نحصل على معلومات عن أنشطة العراق النووية والعسكرية .. حيث أن أمريكا كانت ولا تزال مهتمة بالنشاط النووى والعسكرى فى كل من العراق وإيران !! ولكن على أية حال دعنى أقول بصفة عامة إنه من السفه تضييع الوقت وإهدار المال فى

بحر الكتب
bahr.alktob

التخابر على دولة صديقة فى سلام معنا !! .

●● تتحدث عن أخلاقيات المهنة وذلك بعدم جواز التخابر على دولة صديقة فى حالة سلام معكم .. بالرغم من أن ذلك يتعارض مع الكشف عن العديد من عمليات التجسس من جانبكم داخل مصر ، كما أن هذه العمليات لم تكن موجهة لطرف ثالث كنموذج الجاسوس الأمريكى اليهودى (جوناثان بولارد) وإنما كانت موجهة إلى مصر نفسها .. وعلى سبيل المثال وليس الحصر .. قضية عائلة مصراتى اليهودية التى ترجع أصولها إلى ليبيا والتى تم القبض عليها فى مصر بعد عقد السلام بين الطرفين بـ ١٣ عاماً ، كما تم القبض على ضابط مخابرات إسرائيلى كان يقوم بتشغيل عائلة الجواسيس .. وبالإضافة إلى هذه العائلة فقد كانت هناك العديد من قضايا التجسس الأخرى التى قمتم بها فى الداخل ضد مصر .. كيف يتفق ذلك مع ما تقولونه بتلك التعليمات التى صدرت فور توقيع اتفاقيات السلام بين البلدين إلى جهاز الموساد بوقف عملياته ضد مصر التى لم تعد تصبح دولة هدف طبقاً لكلامك ؟!

[اعتدل توليدانو فى جلسته وقد اكتسى وجهه بمزيد من الحمرة ، وجعل يعبث فى عصبية بملعقة الشاى الصغيرة فى وعاء السكر الموضوع بيننا .. سادت دقائق قليلة من الصمت حتى ظننت أن الرجل على وشك أن يقوم من المجلس حتى بدون أن يعتذر .. أحسست بأن الرجل كان يعيد النظر فى موقفه بالموافقة على إجراء الحوار من الأساس وخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار تلك التعليمات التى عرفت بأنها كتاب مقدس لدى جميع ضباط الموساد بالامتناع عن إجراء أى حوارات صحفية أو غير صحفية أثناء وجودهم بالخدمة ، أو بالحديث عن الخدمة والعمل داخل الموساد فيما بعد التقاعد .. وقد علمت من (توليدانو) فى نهاية لقاءاتنا فى القاهرة وقبل رحيله إلى إسرائيل أن السبب فى قراره بالمضى قدماً فى اللقاء قيامه بالإعداد لقنبلة سياسية – قبل أن تكون صحفية – بالكشف عن أحداث سياسية وعسكرية خطيرة فى تاريخ الصراع العربى – الإسرائيلى كانت إسرائيل دائماً ما تنكرها .. دقيقتان وشعرت بأن السؤال يمكن أن يضع حداً للعمل الذى بدأته فقلت له] :

●● إذا كان السؤال غير مناسب لهذه الدرجة فلا داعى للإجابة .. فجاء رده سريعاً :

● **بالعكس .. وإنما أنا أقوم بترتيب أفكارى .**

ثوان مرت قبل أن يلتفت إلى قائلاً :

● **هل لك أن تعيد سؤالك الأخير .**

بحر الكتب
bahr.alktob

[وشعرت بأن الرجل يريد مزيداً من الوقت بالفعل لكى يزن كل كلمة يقولها ، فقمت بإعادة سؤالى ببطء شديد لاحظه هو بتقدير استشعرته من خلال شبح الابتسامة الذى أطل من ركن فمه ..] .

● حسناً .. لقد استوعبت السؤال : دعنى أقسم إجابتى إلى ما يلى :

أولاً : أنا لم أكن بالخدمة وقت هذه الأحداث .. أى لم أكن مشاركاً فيها ولست على علم بتفاصيل ما حدث حتى أحكم عليه .

ثانياً : أن القضية شابها الكثير من سوء الفهم والكثير من المواقف السياسية .. ولكن ما يلزمنى أنا كإسرائيلى هو إعلان دولتى نفيها القاطع أن يكون هؤلاء الإسرائيليون من أصل « ليبى » جواسيس يعملون ضد « مصر » !!

... ... (!!) .

* * *

●● ما هى التغيرات الملحوظة التى جرت على نشاط الموساد والتى تعتبر علامات فارقة فى تاريخه كمؤسسة تجسسية ؟

● يمكن أن نقسم تاريخ الموساد بناء على سؤالك هذا إلى فترتين :

الفترة الأولى : وكانت منذ البداية وحتى عام ١٩٥٨م أو حتى بداية الستينيات كنا خلال تلك الفترة نقوم بتشغيل العملاء من غير اليهود – العرب مثلاً – وننظر إليهم على أنهم خونة مزيفون .. كان مبدؤنا فى ذلك : أن العميل دخل هذا العمل أو هذه اللعبة وهو يعلم خطورتها .. فإذا ما وقع فإن ذلك شأنه ، وتلك هى مشكلته .

الفترة الثانية : وقد بدأت عندما اكتشفنا أنه لا يمكن التعامل مع عملائنا العرب هكذا « كثمرة الليمون نعصرها ثم نلقى بها بعيداً » .

[وقد نطق (توليدانو) هذا التعبير باللغة العربية وباللهجة الشامية الفلسطينية]

● فى ذلك الوقت تغيرت سياساتنا ، فأصبحنا نعتبر عملاءنا من غير اليهود من العرب جزءا منا وأعضاء فى الموساد وزملاء لنا فى العمل .. وأذكر أنه فى غرفة مكتبى فى مقر الموساد فى تل أبيب كانت هناك

بحر الكتب
bahr.alktob

صورة كبيرة لأحد هؤلاء العملاء الذى كان يعمل فى دولة عربية كبرى وهامة !! .. تلك الصورة كانت مجللة بوشاح أسود ، حيث أن ذلك العميل كان قد مات هناك .. التغير الذى حدث هو أننا أصبحنا نعتبر عملاءنا جزءا منا .. أصبحنا نذكرهم .

●● فى أى دولة كان يعمل هذا الجاسوس الذى كنت تعلق صورته فى الموساد ؟

● كلا .. لا أستطيع أن أكشف عن شخصيته ، ولا عن الدولة العربية التى كان يعمل بها ، حيث أنه عاش ومات وقد حافظ على الساتر الذى كان يعمل من خلفه ، كما أن عائلته ما زالت تعيش هناك فى نفس هذه الدولة العربية بدون اكتشافها (!!!) .

●● دعنا نكون أكثر صراحة مع النفس ، فأنا لا أتصور أن الالتزام الأخلاقى سيكون الدافع الرئيسى أو الوحيد وراء هذا التغيير الجوهرى فى سياسة الموساد !؟

● نعم .. بالطبع .. فقد كانت المصلحة فى المقدمة .. فهذه الأشياء يتناقلها الأفراد .. فعندما يعلم الناس أنهم إذا ما عملوا مع إسرائيل سينتهى الحال بهم فى الشارع فإن احتمالات ومعدلات التجنيد تصبح أقل بكثير .. الأمر الذى عانينا منه فى بداية الستينيات وفى نهاية الخمسينيات .. والتزامنا هذا تجاه عملائنا تسبب لنا فى مشكلة مع السلطة الوطنية الفلسطينية على سبيل المثال .. حيث توجد قرية فى الضفة الغربية جمعنا فيها مئات من الفلسطينيين ممن عملوا لحسابنا كعملاء ونرغب فى حمايتهم .. ففى اللحظة التى سنغادر فيها الضفة الغربية سنكون إما قد قمنا بتأمين العيش لهم هناك أو سنقوم بنقلهم إلى داخل إسرائيل .

●● فى أواخر عام ١٩٩٣م تم اكتشاف عملية تجسس لكم قمتم خلالها بزرع أجهزة تصنت فى مكتب محمود عباس (أبو مازن) الرجل الثانى فى منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس .. وتحديداً كانت الأجهزة

بحر الكتب
bahr.alktob

مزروعة فى مقعد المكتب الذى كان يجلس عليه المسئول الفلسطينى، وذكرت معلومات أن الشخص الذى كشف هذه العملية كان المبعوث الأمريكى للشرق الأوسط (دينيس روس) .. ما تعليقك ؟

● **لقد تمت هذه العملية بعد أن خرجت من الخدمة بسنوات ...!**

●● ترددت معلومات عن أن عدد جميع العاملين فى الموساد لا يتجاوز الألف .. هل تؤكد ذلك ؟

● **هل تقصد بما فى ذلك العملاء ؟**

●● كلا .. العاملون فقط من ضباط وإداريين سواء داخل إسرائيل أو خارجها .

● **هذه معلومات سرية لا أستطيع البوح بها .**

●● هل يمكن أن تكون مثل هذه المعلومة سرية .. بالرغم من أنها فى الغالب ما تكون معروفة للعديد من الأجهزة المضادة إما من خلال عملائها أو من خلال معلومات أخرى مثل حجم نفقات جهاز الموساد وميزانيته وغير ذلك ؟!

● **أولاً : فإن ميزانية الموساد سرية .. بالرغم من أن لجنة خاصة فى الكنيست هى التى تقرها .. وهى سرية حتى على أعضاء الكنيست غير الأعضاء فى هذه اللجنة الخاصة جداً .. وسرية هذه الميزانية تصل إلى حد أن العاملين فى الموساد أنفسهم – حتى المستويات المتوسطة – ليسوا على علم بها كلها .**

(ملحوظة : بالرغم من هذا الكلام .. فإنه قد تم الإعلان عن ميزانية الموساد لعام ١٩٩٦م فى بداية العام نفسه .. وذلك فيما يبدو كتقليد جديد فى إسرائيل .. وقد كانت ميزانية الموساد المعلنة فى ذلك العام ٦٥٠ مليون دولار) .

● **ثانياً : إذا كنت تتحدث عن تقديرات أجهزة أخرى لحجم إنفاق الموساد .. وبالتالى حجم ميزانيته ، فإننا فى هذا الشأن نتحدث عن مجرد تقديرات ليست دقيقة .. فلنترك هذه التقديرات لهم ، ولن أقوم من**

بحر الكتب
bahr.alktob

نفسى بأداء هذه الخدمة الهامة لهم وذلك بإعطائهم معلومات دقيقة فى هذا الشأن الخطير والحساس !

●● بناء على هذه التقديرات التى ترفض أن تؤكدها أو تنفيها فإن الأمر يتضمن مئات الملايين من الدولارات للإنفاق على أنشطة جهاز الموساد ولدفع المرتبات الباهظة لآلاف من العملاء .. كيف يتم تدبير مثل هذه الموازنات الضخمة ، وهل هى جزء من ميزانية وزارة الدفاع على سبيل المثال ؟

● الموساد له ميزانية ، هى جزء من الميزانية العامة للدولة وليست جزءا من ميزانية وزارة الدفاع أو أى وزارة أخرى ، مثلها فى ذلك مثل ميزانية الجيش .. تلك الميزانية التى تراقب مالياً .. إن إسرائيل دولة ..!

* * *

●● دعنى أبتعد قليلاً عن الجانب العام فى هذا المجال .. هل كنت تستمتع بعملك كضابط للمخابرات ؟

● هناك كثيرون عندما تسألهم : ماذا ترغبون فى أن تكونوا إذا ما أعطيتم الفرصة لكى تولدوا من جديد ؟ .. فإنهم يجيبون بأشياء مخالفة لما كانوا يعملونه فى حياتهم .. أما أنا فإذا ما سئلت هذا السؤال فسأجيب بالتالى : أنا مُصر إصراراً لا رجعة فيه على تكرار حياتى مرة ثانية كما كانت بدون أى تغيير .. لقد استمتعت بكل لحظة من عملى وفى جميع المجالات .. سواء فى المخابرات أو فى أى مكان آخر عملت فيه .. هناك العديدون فى إسرائيل الذين عملوا طوال حياتهم فى الجيش ، وآخرون فى الخارجية .. إلخ .. أما أنا فعندما أنظر إلى الوراء فإننى أجد أننى حصلت فى حياتى على مجموعة مختلفة ومثيرة من الأعمال مثل : ضابط فى (الهاجاناه) تحت الأرض وفوقها .. ضابط فى (مخابرات الهاجاناه) .. ضابط مخابرات فى (الموساد) .. العديد من المهام والأعمال الخطيرة والمثيرة فى عالم المخابرات الغامض .. مستشار لرؤساء وزارات .. عضو فى الكنيست .. زعيم أكبر جماعة ضغط فى إسرائيل .. إلخ .. إنها حياة أراها

بحر الكتب
bahr.alktob

« ساحرة ومثيرة » بحق ، ولا أرغب إلا فى تكرارها بحذافيرها !!

* * *

●● فى مثل هذا العمل السرى .. هل كنت تعلم دائماً من هو الذى يعمل ضدك فى عملية مخابراتية على الجانب الآخر من الحدود ؟

● إذا كنت تقصد معرفة رؤساء أجهزة المخابرات فبالطبع كنت أعرفهم جيداً جداً .. فهذا الجانب هام فى عملنا وهو أن نقترب بشدة من معرفة رؤساء أجهزة المخابرات على الجانب الآخر من الحدود لأسباب فنية عديدة أنا لست فى حل من ذكرها وليس هذا مقام إيرادها .. وبالمناسبة فإننا فى هذا الشأن فى الموساد لا نختلف عن أقراننا فى الأجهزة الأخرى .. ولكن إذا كنت تقصد معرفة ضابط المخابرات الذى يلاعبنى على الجانب الآخر خلال عملية معينة ندبرها نحن الاثنان فإن ذلك لم يكن قاعدة .. بمعنى أن ذلك كان يحدث أحياناً ولكن ليس فى الغالب .

●● ما هى الأشياء التى تعتقد أنها تميز جهازكم الموساد عن غيره من أجهزة المخابرات الأخرى سواء كانت غربية أو شرقية ؟

● قد يعتقد البعض أننى أبالغ إلا أنها الحقيقة .. وهى أن الموساد جهاز مخابرات « فريد من نوعه » بين أجهزة المخابرات فى العالم .. قد لا يكون الأكفأ أو الأكبر أو الأقوى ، إلا أنه الأكثر تفرداً من ناحية تشكيله ، وتكوينه ، وتركيبته .. وذلك لظروف موضوعية جعلته يستفيد من خبرات عديدة ومتنوعة تمثلت فى هؤلاء اليهود من جنسيات مختلفة بما يعكس هذه « التعددية » والتنوع الحضارى ، والثقافى ، واللغوى ، والمهاراتى ، والخبراتى العجيب الذى أثرى العمل داخل الموساد .. ولذا فإنه على العكس مما يعتقد الكثيرون .. فإن عمر الموساد القصير جداً نسبياً لا يعكس الخبرات العريضة التى يتمتع بها .. أيضاً فهو جهاز فريد من ناحية تميزه وتفرده بخبرات لم يحظ بها أى جهاز مخابرات آخر .. وذلك ببساطة للظروف « الخاصة جداً » التى أسفرت عن قيام دولة إسرائيل .. على سبيل المثال وليس الحصر فى هذا السياق : ما هو جهاز

بحر الكتب
bahr.alktob

المخابرات فى العالم الذى كلف بوضع خطط لتهريب آلاف من مواطنيه من أماكن متفرقة فى العالم ؟! .. ما هو الجهاز الذى كلف في فترة من الفترات بالبحث عن طفل صغير فى السادسة من عمره خطفه أخواله من اليهود المتطرفين دينياً إلى حى بروكلين فى نيويورك بأمريكا من والديه فى إسرائيل وأصبح هذا الطفل فى يوم وليلة قضية قومية فى إسرائيل وتم تكليف الموساد بتجنيد كل إمكانياته للبحث عنه فى جميع أنحاء العالم لمدة ثلاثة أشهر حتى تم العثور عليه وإعادته إلى إسرائيل ؟!

●● بالطبع فإن مثل هذه المهام قصد بها إعطاء مسحة من الإنسانية إلى جهاز الموساد ؟

● فى ذلك الوقت لم يعلن عن أننا – الموساد – كنا القائمين على عملية البحث حتى أننا لم نستطع أن نذهب إلى المطار مثل آلاف من المواطنين لاستقبال الطفل الذى أجهدنا كل هذه الشهور، وإنما اكتفينا بالمشاهدة على شاشات التليفزيون .. وبالطبع فإن العاملين فى الجهاز كانوا أثناء العملية محبطين .. حيث أنه لا يصح إهدار وقت ومجهود جهاز كامل لمجرد مطاردة طفل .. ولكنها كانت أوامر رئيس الوزراء .

* * *

●● الحديث عن تفرد وتميز الموساد كما تقولون دائماً يدفعنى إلى سوالك عن رأيك فى قضية الجاسوس المصرى (رفعت الجمال) المعروف لديكم باسمه اليهودى المستعار (جاك بيتون) ؟ .

● أريد أن أقول شيئاً .. وهو أن العديد من الدول كانت لها مصلحة فى زرع عملاء لها فى إسرائيل وتحقيق اختراق .. لقد فعلها السوفييت وعدد من الدول العربية وعلى رأسها مصر بالطبع كما أننا فعلنا ذلك بكم أيضاً .. ما أريد أن أقوله هو أن ذلك كان أمراً طبيعياً جداً .. طبيعى أن أحاول اختراقك وأن تحاول أن تخترقنى .. ولكن دعنى أؤكد أن اختراق المجتمع الإسرائيلى هو عملية صعبة للغاية .. وإن كان علئ أن أقولها بصراحة .. إن مصر حققت نجاحات ملحوظة فى هذا المجال بالقياس إلى دول أخرى كثيرة .

بحر الكتب
bahr.alktob

●● كرجل أمن عملت فى مجال التجسس والتجسس المضاد .. كيف تشعر عندما تعلم أنك فشلت فى القبض أو الكشف عن جاسوس داخل إسرائيل ؟

● شعور طبيعى جداً .. فتلك هى اللعبة ، وعلينا أن نتقبل قواعدها ، وأن نتعلم من الأخطاء لكى نحاول ألا نكررها .. فى عمل المخابرات لا يوجد [ترف الوقت] لكى نقف للبكاء على الأطلال .. فى عالمنا هذا يجب ألا نقف .. فهناك قضايا وتحديات متجددة طوال الوقت لا تسمح لنا بمثل هذه الرفاهية .. على سبيل المثال لدينا حتى فترة قريبة آلاف من اليهود الروس الذين يتدفقون إلى إسرائيل ومن الممكن بل إنه من المرجح أن يكون من بينهم عملاء وجواسيس قامت بزرعهم أجهزة أمن سواء كانت روسية أو غير روسية .. تلك تحديات ضمن آلاف أخرى نواجهها فى الموساد بشكل خاص (!!) .

●● كيف تقومون بالفرز أو التحرى عن هذا الكم الهائل من المهاجرين لرصد أى محاولة زرع ؟

● كلا .. لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال فهو سر من الأسرار .

* * *

●● هل يمكنك أن تعطينا فكرة عن أجهزة الأمن المختلفة فى إسرائيل والاختلافات الجوهرية فيما بينها ؟

● الأجهزة الأمنية فى إسرائيل تنحصر فى الآتى :

أولاً : « الشين بيت » : وهو جهاز الأمن الداخلى وكل مهمته هو تأمين إسرائيل وشعبها ضد أى عمليات موجهة إلى الداخل سواء كانت عمليات تدميرية أو تجسسية .. وهو لا يعمل خارج إسرائيل .

(ملحوظة : المعلومة هنا ناقصة .. حيث أن توليدانو لم يذكر أن عمليات مكافحة « ما يوصف بالإرهاب » فى الخارج وتأمين السفارات الإسرائيلية هى من صميم عمل الشين بيت) .

بحر الكتب
bahr.alktob

ثانياً : « المخابرات الحربية أمان » : وهو مَعْنِيٌّ فى الأساس بالتعامل مع العدو بإمكانياته العسكرية بشكل مباشر .. وهو فى الغالب لا يعتمد على المصادر البشرية – أى العملاء والجواسيس – فى الحصول على معلوماته بقدر ما يعتمد على الوسائل الالكترونية .. مثل محطات الرصد ، والإنذار المبكر ، وأجهزة التصنت ، والتصوير عن بعد .. إلخ .. أى أنه فى حالة سوريا على سبيل المثال كدولة هدف يتعامل معها من ناحية الجيش والقوات والتحركات العسكرية .

ثالثاً : « الموساد » : وهو جهاز لا يعمل داخل إسرائيل .. حيث أن عمله منحصر فى جلب المعلومات وخاصة عن الدول الأهداف .. وبالطبع فإن معظمها – إن لم تكن كلها – دول عربية أو إسلامية فى منطقة الشرق الأوسط .

ولمزيد من التوضيح فإن « الشين بيت » لا يستطيع وغير مسموح له أن يرسل أو أن يزرع عميلاً له فى سوريا – على سبيل المثال – لأنها مهمة الموساد .. فى حين أن الموساد غير مسموح له بالتعامل مع نشاط جبهة المقاومة الإسلامية « حماس » فى الداخل .. حيث أن ذلك مهمة « الشين بيت » .

●● هل يتبع « الشين بيت » وزارة الشرطة ؟

● كلا .. كل من « الشين بيت » و « الموساد » يتبعان رئيس الوزراء شخصياً بشكل مباشر .

●● من هو فى رأيك أبرع وأفضل من ترأس جهاز الموساد لديكم ؟

● من الصعب أن أجيب على هذا السؤال .. ولكننى أعتقد أن (إيتسر هارئيل) هو أشهر وأكفأ من قاد الموساد ، كما أنه أطول من ترأس الجهاز .. حيث أنه ترأسه ما يقرب من ١٦ عاماً .. إلا أنه من غير العدل والموضوعية أن أقارن هارئيل بمن تولوا الموساد من بعده .. ففى وقت تَوَلِّىْ هارئيل كانت التحديات محدودة وإن كانت ضخمة وثقيلة ..

بحر الكتب
bahr.alktob

كان التحدى الأكبر هو إقامة إسرائيل والمحافظة على الدولة .. أما فيما بعد فقد تعددت التحديات وتنوعت وأصبحت أكثر تعقيداً ، كما أن الأخطار أصبحت أشد ، بداية من الأسلحة النووية ووصولاً إلى تطور الأسلحة التقليدية بشكل مذهل ، بما ينطوى ذلك على تطور الخصوم .. إن المقارنة لن تكون عادلة .

●● فى هذا العمل السرى .. ألم يكن لديك نموذج بشرى تحتذى به فى مجال العمل التجسسى سواء كان إسرائيلياً أو غير إسرائيلى تحاول دائماً أن تصل إلى مستواه ؟

● فى الحقيقة لم يكن لدىَّ مثل هذا النموذج الأعلى طوال مدة خدمتى فى الموساد .. كل ما كنت أفعله هو تقييم وتقويم يومى لكل ما فعلته خلال هذا اليوم فى العمل لكى أحاول التعرف على الأخطاء التى وقعت بها .. لقد كان نظاماً قاسياً لحساب النفس وتقييم الأداء الشخصى .. كان من الصعب علينا أن نعتمد الغير – نماذج عليا إذا صح التعبير – لكى نكتسب الخبرات .. وذلك لخصوصية وتفرد وضعية إسرائيل ومشاكلها بسبب طريقة وأسلوب نشأتها وتكوينها .. وبالنسبة لى وعن نموذجى الأعلى فإنه من الصعب جداً أن تحتذى حذو شخص معين فى هذا المجال .. حيث أن كل موقف تواجهه مختلف عن سابقه .. وكل موقف تواجهه عليك أن تفكر فى مئات الاحتمالات إذا ما تعاملت معه بشكل معين .. فى مثل عملنا هذا تصبح أنت نموذج نفسك الأعلى وليس أى أحد آخر .. فى هذا المجال وبعيداً عن ثوابت وقواعد عامة محددة ومحدودة .. من الخطأ اقتفاء أثر الآخرين فى مواقف قد تتشابه ظاهرياً ولكنها قد تحمل ردود فعل وعواقب مختلفة كلياً !!

●● بمقاييسكم فى هذا المجال .. متى يمكن أن تقول إنك نجحت نجاحاً باهراً فى عملية زرع عميل لك ؟

● هذه المسألة فى منتهى التعقيد وتمر بمراحل طويلة ومتداخلة قد

بحر الكتب
bahr.alktob

تستغرق سنوات طويلة يتعاقب عليها قيادات وضباط كثيرون .. ولكن باختصار فإن الأمر ينقسم إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى : وهى الإعداد الدقيق بما فى ذلك انتقاء وتجهيز العميل .

المرحلة الثانية : وهى الإعداد لزرع .. ثم الشروع فى زرع العميل .

المرحلة الثالثة : وهى التشغيل الجيد لهذا العميل بشكل يحقق شيئين :

الأول : جلب المعلومات المطلوبة والمفيدة .

الثانى : تحقيق أمن هذا العميل وعدم وقوعه أو السيطرة عليه من الجانب الآخر ، فينقلب ليعمل ضدنا ولحساب الطرف الآخر سواء بعلمه ومعرفته ، أو بدون علمه وبتحريك ذكى من الجهاز المضاد .

وطبقاً لذلك فإنه فى حالة اهتزاز أى من المراحل السابقة فإن ذلك يعرض العملية كلها للفشل .. بل وفى بعض الأحيان يعرض أمنك أنت كدولة إلى الخطر .. أيضاً فإنه إذا ما نجحت فى تحقيق كل المراحل بذكاء بدون تشغيل جيد للعميل فإنك تكون كمن بنى بناء فاخراً وعظيماً ، ثم لم تضع به الأثاث لكى يسكنه الناس ويستفيدون به .. إنها عملية طويلة ومعقدة كما قلت من قبل وتحتاج إلى هدوء أعصاب وصبر لا حدود له لا يمل ولا ينفد ، حتى إنه يتطلب فى كثير من الأحيان عشرات السنين !

●● بناء على ما أسلفت فإن عملية زرع جاسوسكم (إيلى كوهين) فى سوريا فى الستينيات والتى تفاخرون بها دائماً كإحدى غزواتكم الهامة فى هذا المجال ضد الدول العربية كانت فاشلة ؟

● ... عملية كوهين تمت بنجاح عال فى المرحلتين الأولى والثانية حتى مرحلة معينة هى المرحلة الثالثة عندما تجاهل كوهين التعليمات وبدأ فى الإسراف فى إجراء الاتصالات اللاسلكية من قلب العاصمة السورية

بحر الكتب
bahr.alktob

دمشق – حيث كان يعمل – مباشرة إلينا فى تل أبيب .. والمشكلة أنه على الرغم من المخاطر والمحاذير الشديدة التى نضعها على مثل هذه الاتصالات المباشرة والتى لا يجوز أن تتم إلا فى أضيق الحدود .. وفى حالة وجود معلومات عاجلة وخطيرة جداً لا تحتمل التأخير فإن كوهين كان يتجاهل كل هذه التعليمات لكى يقوم بالتبليغ عن معلومات عادية وفى بعض الأحيان أقل من العادية !! ونتيجة لإسرافه هذا ولعدم تقديره لخطورة العواقب وقع فى أيدى السوريين .

●● وبذلك سقط أشهر عميل لكم فى الدول العربية نجح فى الوصول إلى مرتبة عالية فى الحزب الحاكم فى سوريا ، كما نجح فى تكوين شبكة كبيرة من الاتصالات الهامة هناك ؟

● كما قلت لك من قبل : فإن النجاح مرهون بعدة شروط تحقق بعضها فى كوهين وغاب بعضها الآخر فسقط وفشل .. وأحب أن أقول لك إن المسألة لا تسير بهذا الشكل فى عملنا هذا .. فقد تقوم بزرع أو تجنيد عميل فى مكان مهم ولا يجلب لك المعلومات الهامة التى توازى أهمية مكانه ولا كلفته المالية .. وفى أحيان أخرى تزرع عميلاً لك أو تجنده فى مكان ليس هاماً ولا تتوقع أن يأتى لك بمعلومات هامة وتفاجأ بالعكس .. المسألة تتدخل فيها عوامل كثيرة تتعلق بتركيبة العميل والظروف المحيطة به والحظ بقدر قليل – ومن قبل ومن بعد – التشغيل الجيد .. أيضاً وللتاريخ ولكى أكون موضوعياً فإن الخطأ الرئيسى فى عملية كوهين والسبب المباشر فى سقوطه يكمن فى الرغبة الخاطئة التى انتابت المخابرات لدينا .. حيث كان جل الاهتمام فى ذلك الوقت منحصراً فى تحقيق نصر وإنجاز سريع .. وهذا هو الخطأ القاتل فى عمل كعملنا هذا .. فالصبر والحذر وتأمين عميلك هى أهم من أى إنجاز سريع مؤقت إذا لم يكن من أجل العميل نفسه فهو لتأمين نفسك كجهاز للمخابرات .. حيث إنه فى كثير من الأحيان ينكشف أحد أو بعض

بحر الكتب
bahr.alktob

تكنيكاتك « أساليك » للتخابر مع سقوط العميل والتحقيق معه ، كما أن ذلك يكلفك فى بعض الأحيان سقوط شبكات أخرى فى نفس الدولة .. سواء بسبب انكشاف هذا التكنيك فى التجنيد أو فى التشغيل ، أو بسبب اعترافات عميلك الساقط خلال التحقيقات .. ولعل الروس فى مجالنا هذا وفى جزئية الصبر هذه هم أكفأ وأمهر من يديرون هذه العمليات .. فهم يؤكدون دائماً على عميلهم بأن عليه بالصبر والتأنى وعدم التسرع فى العمل ، حتى وإن بدا سهلاً ومتاحاً أمامه .. يؤكدون عليه أنه يجب أن ينخرط فى المجتمع الذى يعيش فيه وأن يتطبع به ، وأن يدعم من مصداقيته وقبول الناس والمجتمع له ، وألا يهتم بما يظنه ضياع للوقت ، لأنه ببساطة ليس ضياعاً للوقت بل استثمار له .

ومن المعروف فى أوساطنا أن المخابرات الروسية تترك عميلها فى المجتمع الذى زرع به بدون أن تستخدمه وتدعه يعيش بشكل طبيعى لمدة تزيد فى بعض الأحيان على ١٠ - ١٥ عاماً .

●● إذا كان الأمر كما تصوره محفوفاً بهذا القدر الهائل من المخاطر التى لا تطول حياة العميل فقط ، وإنما تطول أمن الدولة نفسها .. كيف تقللون من احتمالات هذه المخاطر ؟

● هذا سؤال جيد .. فهناك بالفعل عدد من الوسائل التى نستخدمها فى هذا المجال وهى تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول : وهى ما يطلق عليه فى مجالنا بالإجراءات القياسية مثل :

١ - أن نحاول قدر المستطاع الالتزام بالقاعدة الذهبية فى مجال التخابر وهى « المعرفة على قدر الحاجة » need to know base . بمعنى آخر أننا نتعامل مع كل عميل لنا أو شبكة عملاء وكأنه جزيرة منعزلة عن بقية العملاء .. سواء فى الدولة التى يعمل بها أو حتى فى الدول الأخرى ، حتى إذا سقط فإنه لا يهدد بسقوط الآخرين .

٢ - أنه فى حالة الضرورة القصوى لاتصال عميل فى شبكة بشبكة

بحر الكتب
bahr.alktob

أخرى فإنه تحت جميع الظروف يجب أن يكون الاتصال سريعاً وليس دائماً وأن يتم مع مراعاة استخدام الطرفين أسماء كودية تختلف عن الأسماء الحركية التى تعطى لهم من قبل الجهاز الذى يقوم بتشغيلهم .

٣ – أنه من غير المسموح به على الإطلاق – إلا فى حالات محدودة ومحددة – بالدفع بضابط الحالة .. أو ضابط التشغيل إلى الدولة الهدف التى يعمل بها العميل وخاصة إذا كانت فى حالة عداء مع إسرائيل .. حيث أن ذلك يمكن أن يكلف الدولة ثمناً فادحاً فى حالة سقوطه فى أيدى الطرف الآخر .

النوع الثانى : عبارة عن إجراءات ليست قياسية ، ولكنها خاصة بالعميل نفسه وبشخصيته وخلفيته الثقافية وغير ذلك الكثير .. هذه الإجراءات التأمينية تستهلك وقتاً وجهداً واستثماراً مادياً كبيراً .. لأنها ببساطة تعنى ٨٠٪ من نجاح العملية .

●● روايتك عن السبب فى سقوط عميلكم (كوهين) لا تتفق مع ما أذيع منذ فترة فى مصر من أن العميل المصرى داخل إسرائيل والمعروف لديكم باسم (جاك بيتون) هو الذى أوقع عميلكم فى سوريا عندما رأى كوهين فى إحدى المرات فى إسرائيل ، ثم رأى صورته بعد ذلك بسنوات فى إحدى المجلات العربية أثناء حضوره حفل استقبال بشخصيته السورية المنتحلة .. إثر ذلك قام العميل المصرى بإبلاغ المخابرات المصرية التى أبلغت السلطات السورية بدورها .. ما تعليقكم ؟

● ما تقوله هذا من الصعب جداً تحقيقه بل وتخيله .. فليس من المنطقى أن أنتقى عميلاً كان وجهاً مألوفاً داخل إسرائيل ثم أزرعه فى مثل هذه المهمة الخطيرة فى دولة مثل سوريا !! إن ما تقوله غير طبيعى بالمرة !!

●● ألم تحاولوا أن تستبدلوا عميلكم (كوهين) بعملاء من العرب الذين سقطوا لديكم ؟

● لم نترك حجراً لم نقلبه فى سبيل تحقيق الإفراج عن كوهين ووسَّطْنا

بحر الكتب
bahr.alktob

فى سبيل ذلك العديد من الدول والأفراد من أجل إقناع سوريا .. إلا أن شيئاً لم يدفع دمشق لتسليمه لنا مقابل أى شىء .. لقد كانوا يريدون أن يجعلوه عبرة على ما أعتقد .. وبالفعل شنقوه وحتى لم يسمحوا بتسليم جثته لنا .. حيث ما زال مدفوناً هناك فى سوريا .. وأنا على علم بأن المفاوض الإسرائيلى فى مفاوضات واشنطن مع الجانب السورى وضع مسألة تسليم رفات كوهين لدفنها فى إسرائيل على رأس قائمة المطالب الإسرائيلية ، وإننى على علم بأن هذه المسألة ستكون من ضمن المطالب الإسرائيلية فى أى مفوضات حالية أو قادمة (!!) .

●● تحدثت من قبل عن المخابرات الروسية بكثير من التقدير المهنى .. فى رأيك ما هو أهم وأرقى جهاز مخابرات فى العالم من حيث الإمكانيات البشرية والمادية والأسلوب ؟

● .. فى أى مجال تقصد .. فى مجال الأمن والتجسس المضاد أم فى مجال التجسس ؟

●● بشكل عام ..

● ردى يتلخص فى الآتى :

فى مجال الأمن والتجسس المضاد : فإن الروس لم يضاهيهم أحد فى هذا المجال ، ويكفى دليلاً على ذلك نجاح مخابراتهم فى الحفاظ على أمن النظام لمدة تزيد على ٧٠ عاماً بالرغم من الرفض الشعبى له .

فى مجال التخابر وجمع المعلومات : فإن البريطانيين بارعون فى هذا العمل منذ زمن طويل .

فى مجال تأمين العملاء ضد أجهزة التجسس : فإن الروس هم الأساتذة .

فى مجال جلب وتجميع المعلومات ووضع أنظمة فى منتهى الدقة لتحليلها واستنباط نتائج مذهلة : فإن السى أى إيه C. I. A الأمريكية لديها إمكانيات مادية وألكترونية هائلة تساعدهم على جلب كَمٍّ هائل من

بحر الكتب
bahr.alktob

المعلومات ، كما أن لديهم نظاماً جيدًا لتحليل هذه المعلومات .. من الصعب جداً أن نختزل كل هذه المواصفات وأن نجدها فى جهاز واحد .

●● أين يقع الموساد بين هذه الأجهزة العملاقة ؟

● يجب أن تعلم أن أى جهاز يتحدد حجمه وإمكانياته طبقاً لحجم وطبيعة دولته وظروفها ونوع المخاطر التى تهددها .. إسرائيل دولة صغيرة الحجم ، تتركز المخاطر التى تهددها فى الدول العربية المحيطة بها ، وبناء على ذلك يتحدد حجم جهازها ومهامه .. وبالطبع نحن لسنا فى حجم ولا بإمكانيات المخابرات الأمريكية ولا الروسية إلخ .. ولكنى كما أوردت فى مقام آخر فإن جهازنا يتميز بتعدده الثقافى والخبراتى .

●● من هى الدولة أو الدول التى كانت تمثل لكم التحدى الأكبر فى مجال المخابرات فى المنطقة العربية ؟

● مرة ثانية سوف أُقَسِّمُ ذلك إلى مجالين :

١ – الاختراق : بالنسبة إلى سهولة الاختراق فإن مصر كانت الأسهل من هذا الناحية .. وهذا أمر طبيعى بالنسبة لدولة كبيرة فى المساحة ، مفتوحة أمام حركة السياحة .. ففى هذه الحالة يمكننى أن أدس بعملائى إليها فى شكل سائحين أو أى شكل آخر لكى يرصدوا لى ما أريده أو فى بعض الأحيان أقوم بزرعهم تحت ساتر مزيف .. فى دولة مثل مصر فى زمن الحرب معها كانت مثل هذه الأشياء تسهل لى مهمة الاختراق عنها فى دول أخرى ليست فى مثل حجم مصر وحركتها السياحية الكثيفة مثل الأردن أو سوريا أو العراق .

القاعدة هى أنه كلما كبر حجم الدولة وحجم سياحتها وفنادقها كلما سهل الاختراق .. أيضاً فإن وجود أقليات فى الدولة المستهدفة سواء كانت أقليات عرقية أو دينية أو غيرها فإن ذلك يسهل لى عمليات التجنيد والزرع .. الأمر الذى كان ينطبق على مصر وخاصة فى مرحلة الخمسينيات والستينيات قبل رحيل العديد من أبناء هذه الأقليات وهجرتهم

بحر الكتب
bahr.alktob

إلى الخارج مثل الأرمن والإيطاليين واليونانيين وغيرهم من الأقليات الأخرى التى كانت أسهل لى فى التجنيد وآمن .. أيضاً فإن هذا الشرط متوافر إلى حد ما فى العراق وسوريا ولبنان .. وخاصة الأخيرة على وجه الخصوص .. فى حين أننا عندما ننظر إلى دولة مثل ليبيا فإنه من الصعب توافر مثل هذا الشرط وهكذا .

٢ – الأمن المضاد « مكافحة التجسس » فإن المصريين لديهم كفاءة عالية وخبرة عريضة فى هذا المجال ، وهم تَحَدٍّ حقيقى لأى جهاز مقابل .. أيضاً ففى فترة الحرب ضدنا كانوا على درجة عالية من الكفاءة فى مجال التخابر .. ولكن القاعدة فى عملنا – وبالمناسبة هى القاعدة التى تحكم العمل فى كل الأجهزة ذات الكفاءة – هى أنك لا يجوز أبداً وتحت أى ظرف من الظروف أن تستهين بخصمك أياً كان حجمه أو قدراته .. فى مثل عملنا هذا فإن التهوين من شأن الخصم قد يكلفك جولة أو جولات ، كل جولة فى هذا المجال هى أمن دولة .. وأمن شعب .. الخطأ فى هذا الملعب نتيجة عدم إعطاء الخصم حقه لا يجوز أن يغتفر .. بل هو لا يغتفر بالفعل !!

(كنت أهم بأن أطرح السؤال التالى فى سلسلة أسئلتى التى كانت تتدفق بغزارة ، حيث إننى تركت الورقة والقلم تماماً إلا لتدوين بعض الملاحظات الهامة ، عندما التقط توليدانو العبارة الأخيرة التى نطق بها عن الغفران وقال لى :

إذا ما قبلت بعد هذا أى سؤال آخر فإننى لن أغفر إلى نفسى ذلك .. إلى هنا وسوف أتوقف عن الحديث لضيق الوقت ولأشياء أخرى أيضاً .. وإذا كنت ترغب فى استكمال هذا الحوار يمكنك أن تفعل ذلك فى منزلى فى إسرائيل .. وفى هذه الحالة أعدك بتسهيل لقائك مع الرئيس الأشهر للموساد (إيتسر هارئيل) كما أعدك بمفاجأة أخرى ..!!) .

لم يترك (توليدانو) لى الخيار ، حيث قام من مقعده مادّاً يده للمصافحة وعلامات الجد على وجهه بما لا يسمح حينئذ بمواصلة الحوار .

بحر الكتب
bahr.alktob

الطريق إلى بيت المقدس

.. وتنفست الصعداء أثناء مروق سيارة الأجرة – التى استأجرتها من أمام الساحة الخارجية للمسجد الأقصى الشريف – عبر طريق يؤدى من قدسنا العربية العتيقة التى مازالت ترسف فى أغلال عبودية الأسر إلى القدس الغربية التى قام ببناء معظمها اليهود .. ففى مقابل هذا القدر الهائل من الراحة النفسية والسكينة التى شعرت بهما وأنا فى هذه الرحاب الطاهرة شعرت بحذاء الاحتلال الغليظ وهو يضغط بعنف على رقبتى ورقاب شعب هذه المدينة الأسيرة .. جلست فى المقعد الخلفى من السيارة أستعيد ما حدث منذ دقائق فى ذلك الشارع الذى يفصل بين المسجد الأقصى و (كنيسة المهد) التى كنت أَهُمُّ بالعبور إليها .. حيث فوجئت بثلاثة من جنود الاحتلال يوقفون سائق سيارة أجرة فلسطينى وقد باعدوا ما بين ساقيه وأداروا ظهره إليهم وهم يلكزونه بين الفَيْئَةِ والأخرى فى جنبيه .. صدمنى المشهد بالرغم من أننى لم أكن أعلم الأسباب التى حدت بهم لتوقيفه .. ولذا فإننى لم أتردد فى أن أرفع آلة التصوير قبيل أن يسطع ضوء الفلاش فى المكان .. حيث أن الوقت كان قد قارب الغروب .. وعلى الفور تحول اثنان من الجنود إلىَّ وهما يتكلمان معى بالعبرية ، فجاء ردى عليهم بالإنجليزية بسرعة بأننى صحفى وبأننى لا أتكلم العبرية .. لقد تقدم أحدهما وطلب منى بلغة إنجليزية ركيكة الفيلم الذى فى آلة التصوير ، فكان ردى سريعاً وحاسماً بالرفض التام .. تحدث الجنود الثلاثة مع بعضهم البعض بالعبرية لكى يتحول الجندى نفسه ويسألنى : من أى بلد أنت ؟ قلت له : لا يهم .. ولكننى صحفى أمارس عملى وأنه ليس من حقه أن ينتزع أى فيلم منى ، وأنه إذا ما أراد فيمكننى أن أتصل بسفارة بلدى ليبعثوا لى بمندوب خلال دقائق لكى يتحدثوا معه .. ويبدو أن إنجليزيتى منعتهم من أن يبطشوا بى .. حيث اكتفوا بإصدار أمر لى بالابتعاد فقط .. وبالفعل

بحر الكتب
bahr.alktob

ابتعدت عدة أمتار عنهم .. إلا أننى وقفت من على بعد أستخدم العدسة المقربة لالتقاط مزيد من الصور، وذلك قبل أن يقرر الجنود فيما يبدو أن الأمر لا يستحق إثارة مشكلة مع الصحافة فأعادوا الأوراق التى كانوا قد سحبوها من السائق الفلسطينى إليه لكى ينطلق الأخير إلى حال سبيله .. ولكى أستدير بدورى عائداً أدراجى وأنا ألملم بعضى، حيث أنه إذا ما حاول أحدهم الكشف عن آلة التصوير فإنه كان سيفاجأ بعدم وجود فيلم بها .. فقد كنت قد فرغت لتوى من إخراج الفيلم القديم ولم يكن معى المزيد من الأفلام !!

قررت أن أستقل سيارة أجرة لكى ألحق بميعادى مع ضابط الموساد (توليدانو) فى منزله الكائن فى القدس الغربية .. جلست فى السيارة وأنا أحدث نفسى بغضب وصل إلى حد الخروج على المألوف للتقصير الشديد فى حق المدينة المقدسة، حتى انتبهت على صوت السائق العربى وهو يعتذر سائلاً إياى عن السبب فى الغضب الشديد الذى يجتاحنى لدرجة أننى أتحدث مع نفسى بصوت عال .. اعتذرت للشاب الفلسطينى على هذا الإزعاج، وغيرت مجرى الحديث حتى وصلنا إلى المنزل المطلوب، وكان عبارة عن فيلا ضخمة تكسو جدرانها النباتات المتسلقة .. وقفت أمام البوابة الخارجية لحديقة الفيلا لمدة ثوان قبيل أن أفاجأ بتوليدانو يفتح الباب الداخلى للفيلا مرحباً بى حتى من قبل أن أضغط على زر الجرس، وكأنه كان يقف مراقباً لى من خلف إحدى نوافذ المنزل ! .. بعد عبارات الترحيب والسؤال عن الأحوال فى العمل وخاصة أنه كانت قد مرت شهور منذ تقابلنا فى القاهرة .. قلت له :

لقد تحدثت لى ونحن فى القاهرة عن عزمك تفجير قنبلة سياسية مدوية عندما نتقابل فى إسرائيل، ولم ترض أن تكشف عن تلك القنبلة لى فى القاهرة .. ولقد تفهمت دوافعك المحتملة لذلك فيحتمل إلا يكون من المناسب أن تنزع فتيل هذه القنبلة وأنت فى القاهرة .. وهأنا الآن فى عقر داركم .. فما هى تلك القنبلة ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

ابتسم الرجل قائلاً : يبدو أنك قد دونت كلماتى القليلة فى هذا الشأن فى مفكرتك ، حتى أنها كانت أول ما تحدثت عنه بمجرد جلوسك .. ثم اختفت ابتسامة الرجل بنفس سرعة ظهورها لكى يبدأ فى حديث عن القيم والمبادئ وضرورة التطهر .. قال الرجل :

هناك حقيقة هى أقرب للاعتراف أود أن أزيح النقاب عنها بعد طول إنكار من جانب قادة دولة إسرائيل .. ألا وهى أن هناك العديد من المذابح التى ارتكبت من جانبنا فى حق الفلسطينيين قبيل وأثناء قيام دولة إسرائيل .. ولقد شهدت بعضاً من هذه المذابح ، أو رأيت ما خلّفته من آثار لا يمكن إنكارها .. تلك المذابح التى تحدثتم أنتم العرب عن البعض الذى وصلكم منها ، وأخرى مما لم تصل إليكم !!

●● فى أى منطقة من فلسطين كنت موجوداً أثناء حرب عام ١٩٤٨ م ؟

● **كنت أتحرك فى منطقة الرملة والوسط العربى واللد .**

●● من كان معك من كبار قادة إسرائيل فيما بعد ؟

● **كان معى الكثير من الأسماء اللامعة فى سماء الحياة السياسية والعسكرية فى إسرائيل فيما بعد مثل : جنرال الجيش الأشهر (ماتى بيليد) والمدير اللاحق للموساد (إيتسر هارئيل) ووزير الدفاع اللاحق (موشيه دايان) وغيرهم ممن سقطوا سهواً من ذاكرتى ..**

●● هل لك أن تروى جانباً من هذه المذابح التى عاصرتها وخبرتها .

● **لقد دأبنا فى إسرائيل منذ قيام الدولة أن ننفى بشدة ما شاع عن قيامنا بمذابح أثناء الحرب عام ١٩٤٨م ضد العرب الفلسطينيين وترويعهم لدفعهم على الهرب بحياتهم من مناطق بعينها فيما وراء الخط الأخضر .. وذلك بهدف تفريغ هذه المناطق من الأغلبية العربية لصالح الأقلية من اليهود .. أقول إننا دأبنا على النفى .. غير أننا لم نكن صادقين فى ذلك .. على الأقل فى تلك المذابح التى وقعت على أيدينا .**

بحر الكتب
bahr.alktob

●● هل لنا فى مزيد من التوضيح ؟

● لطالما زعم زعماء الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨م أن القوات الإسرائيلية قامت خلال الحرب بالعديد من المذابح لكى تروع المدنيين العرب وتحملهم على ترك قراهم وأحيائهم لنا نحن اليهود.. ولطالما زعمنا نحن فى إسرائيل أن السبب فى هروب هؤلاء العرب النداءات التى أطلقها زعماؤكم لهم بضرورة الخروج من مدنهم وقراهم حتى يتيحوا الفرصة للجيوش العربية لدخول ميادين المعركة للقضاء علينا نحن اليهود.. ودعنى أعلنها صراحة الآن أننا كنا كاذبين فى ادعاءاتنا تلك، وبأننا بالفعل ارتكبنا العديد من المذابح لترويع وتهجير هؤلاء العرب !!

●● هل لك فى أن تروى لنا جانباً مما شهدته فى هذا الصدد ؟

● أتذكر – وذلك على سبيل المثال لا الحصر – أنه فى أحد أيام صيف عام ١٩٤٨م، وأثناء احتدام القتال بيننا وبين الجيوش العربية أننى كنت مكلفاً مع (إيتسر هارئيل) المدير اللاحق للموساد ومع الجنرال الاشهر (ماتى بيليد) وغيرنا – أن نقتحم بعض القرى العربية فى منطقة الوسط العربى والقريبة من منطقة اللد.. فى ذلك الوقت تم نصب المدفعية حول هذه الأحياء والقرى بمن فيها من المدنيين العزل وتم قصفهم بشراسة أجبرت من بقى على قيد الحياة على الفرار خارج هذه المنطقة.. وقد تكرر هذا العمل مراراً فى الوسط العربى وفى مناطق أخرى على حسب علمى !!

●● فى ذلك الوقت ألم تراودك أفكار مثل : أن ما تقدمون عليه هو جريمة بكل المقاييس.. أم أن الأمر كان عادياً بالنسبة لكم جميعاً ؟!

● فى ذلك الوقت كانت الظروف العامة.. بالإضافة إلى الظروف الخاصة والتركيبة النفسية لنا كشباب مختلفة تماماً عما هى عليه الآن.. فى ذلك الوقت كانت لنا قناعات دفعتنا إلى ذلك بدون تفكير.. إلا أن ذلك لا ينفى ما حدث من بشاعة !!

بحر الكتب
bahr.alktob

●● هل تعتقد بأن ما حدث من جرائم مثل تلك كانت تَحْدُث كتجاوزات من قادة ميدانيين أعمتهم الكراهية عن التمييز بين مدنيين عُزَّل من السلاح عن المقاتلين المسلحين .. أم أنك تعتقد أن ما حدث جاء نتيجة لأوامر صريحة من القيادة العليا فى تل أبيب ؟

● **لقد كانت أوامر عليا وصريحة ، وأنا فى ذلك ليس لدى أدنى شك .. لقد كانت الأوامر صادرة من زعيمنا فى ذلك الوقت وأول رئيس لوزرائنا (ديفيد بن جوريون) !!**

●● بعد انتهاء الحرب .. هل كنتم - أنت وغيرك ممن شهدتم هذه الأحداث - تتحدثون فيما بينكم عما حدث ؟ وإذا كان ذلك .. هل كانت أحاديثكم تلك بمثابة تطهير للنفس وإطلاق بخار الذنب المكبوت .. أم كانت من قبيل سرد الذكريات فقط ؟

● **قلما كانت تدور أحاديث عن تلك الأشياء فيما بيننا ، ولك أن تفسر الأسباب كيفما شئت !!**

●● متى إذن ولماذا انفجر هذا البخار المكتوم ؟

● **كان ذلك فى البداية وعلى نطاق ضيق من جانب الجنرال (ماتى بيليد) الذى شهد قبل وفاته تحولاً سياسياً ونفسياً هائلاً لدرجة جعلت اليمين الإسرائيلى بالإضافة إلى الجيش كله ينقلب على واحد من أعظم العسكريين الإسرائيليين فى التاريخ ، وأن يصفونه بصديق العرب ! وأعتقد أن الجنرال (ماتى بيليد) كان يحمل عبئاً نفسياً شديداً بسبب ما حدث وشارك فيه بدرجة أو بأخرى .. الأمر الذى دفعه إلى أن يخلص نفسه بالاعتراف وبتأييد حق الفلسطينيين فى أن يكون لهم وطن قومى مستقل .**

●● وماذا كان رد فعل القيادات الإسرائيلية .. وخاصة ممن شاركوا فى هذه المذابح ؟

● **كما قلت لك من قبل : لقد حاولوا تشويه سمعة هذا الرجل**

بحر الكتب
bahr.alktob

الذى كان يعد من أبطال إسرائيل، واتهموه بشتى أنواع التهم مثل: الشيوعية .. والفوضوية .. والعمالة .. وغير ذلك من الأباطيل !!

●● لقد ذكرت من قبل أن (إيتسر هارئيل) المدير السابق للموساد وهو رئيسك المباشر قبل وبعد حرب ١٩٤٨م اشترك فى هذه الممارسات .. ماذا كان رد فعله إزاء اعترافات بيليد ؟

● إيتسر هارئيل كان رئيسى فى العمل لسنوات عديدة، كما أنه كان من أكفأ من تولوا هذا المنصب قاطبة، إلا أنه فى السنوات الأخيرة شهد تحولاً حاداً إلى أقصى اليمين .. الأمر الذى لم يدفعه إلى الصمت فقط .. ولكن دفعه إلى أن يكذب ما حدث تماماً وأن ينفيه بشكل مطلق، وأنا فى هذا المقام أتحداه وأدعوه إلى الصدق والصراحة .. دعنا لا نزيف التاريخ !!

●● فى مواجهة هذه الحرب الشعواء التى تنتظرك من جراء صدقك بماذا ستواجه هارئيل وأمثاله ؟

● أقول لهارئيل : إذا كان ما تدعيه صحيحاً ويمت للحقيقة بصلة .. فبم تفسر خلو منازل وبيوت العرب الفلسطينيين منهم عندما دخلناها فى ذلك الصيف عام ١٩٤٨م !؟ .. بم تفسر أن معظم – إن لم يكن أغلب – المنازل التى اقتحمناها فى ذلك الصيف كانت على حالتها وكأن سكانها قد تركوها فجأة منذ دقائق معدودة هرباً من الموت بقذائفنا، لدرجة أن فى العديد من تلك المنازل كان الطعام لا يزال موضوعاً على الموائد ساخناً ولم يمس ؟ .. هل تلك تصرفات أناس جاءتهم تعليمات من قادتهم بإخلاء الميدان للجيوش العربية .. أم أنها تصرفات أناس ضربهم الرعب والفزع فجأة ؟ .. وهل إذا ما كان ما تدعيه أنت وصحبك صدقاً من أن العرب تركوا قراهم طواعية استجابة لنداءات زعمائهم .. هل من المنطقى أن يلوذوا بالفرار بدون أخذ أمتعتهم والأشياء الثمينة التى تركوها وراءهم بالرغم من أنه كانت لديهم فسحة طويلة من الوقت لأخذ هذه

بحر الكتب
bahr.alktob

الأشياء ؟! .. هناك الكثير من الأشياء التى تدعمنى فى موقفى وتؤكد صدقى وكذبهم ..

•• هل لنا أن نتعرف على دوافعك للكشف عن هذه الحقائق الخطيرة الآن ؟!

• الرغبة فى إعادة تصحيح التاريخ الذى تعرض للتحريف فى كثير من مواضعه .. الرغبة فى تطهير اسم وسمعة الجنرال الراحل (ماتى بيليد) ذلك الرجل الذى حاربكم – أنتم العرب – بضراوة ثم تحول فيما بعد للاعتراف بحق الفلسطينيين فى العيش الكريم كشعب مستقل على أرضه .. إنها الرغبة فى إراحة الضمير ..!!

•• هل أنتم مستعدون لمواجهة المدير الأسبق للموساد (إيتسر هارئيل) بمثل هذه الحقائق وجهاً لوجه ؟

• بالطبع وفى أى وقت .. أريد أن يواجهنى وهو ينظر فى عينى ، وأن يقول لى إن كلامى غير صحيح .. إننى أتحداه أن يقدر على ذلك !!

•• هل انقطعت الصلة بينك وبين (هارئيل) رئيسك السابق فى الموساد ؟

• كلا .. لم تنقطع الصلات ولقد رأيته مؤخراً .. بعد كل شىء .. فإن الرجل كان زميل عمر ، ورئيساً لا ينسى فى العمل حتى بعد أن تقاعدنا .

•• هل يمكن أن تساعدنى على لقاء الرجل كما وعدتنى بذلك فى القاهرة فى وقت سابق ؟

• إذا ما كنت ستفتح معه هذا الموضوع فمن الأفضل أن تأخذ رقم هاتفه وتكلمه أنت بنفسك بعد تعريفه بنفسك وأنا واثق من أنك ستستطيع أن تقنعه بالحديث .

•• بمناسبة خلفيتك المخابراتية الواسعة ، وتقلبك فى العديد من

بحر الكتب
bahr.alktob

المناصب القيادية في جهاز الموساد أريد أن أتأكد من معلومة لديَّ بشأن اشتراك (إسحاق شامير) رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق فى عمليات اغتيال ضد علماء الصواريخ الألمان فى مصر خلال فترة نهاية الخمسينيات والستينيات داخل الحدود المصرية !!

● **دعنى أجيبك بشكل محدد :**

أولاً : قضية قيام مصر بتطوير أنظمة صاروخية فى تلك الفترة كانت من أهم وأخطر القضايا التى واجهت إسرائيل فى ذلك الوقت .. وطبيعى أن يكون ذلك تلقائياً قضية نعنى بها فى الموساد .

ثانياً : إن إسحاق شامير لم يكن طوال عمره ضابطاً محترفاً فى الموساد .. أى إنه لم يَتَرَبَّ فى هذه المؤسسة وترقى بها مثل غالبية الضباط المحترفين ، وإنما استعنا به فى مهمات محدودة ومحددة وفى فترة معينة .

[لم يقل الرجل إن شامير ترأس فى بداية الستينيات منصب مدير مكاتب الموساد فى أوربا الغربية وكان يدير عمله هذا من مقره فى باريس بفرنسا .. الأمر الذى لا يعكس فكرة الاستعانة بشامير فى مهمات محدودة ومحددة !!]

ثالثاً : إن منصب مدير الموساد الذى تولاه شامير فيما بعد فى كثير من الأحيان عادة ما يكون منصباً سياسياً .

● ● دعنا من الحديث عن عملك كضابط مخابرات سابق .. ولنتحدث عن عملك الآن كزعيم لأكبر جماعة ضغط تضم كبار العسكريين الاحتياط والمتقاعدين .. وبما أنك من سكان القدس الغربية .. وحيث أن جماعة الضغط التى شكلتها تطرح تصوراً خاصاً لبدء معالجة قضية القدس المحتلة .. كيف ترى هذه القضية من منظور أمنى مخابراتى ؟

● **يمكننى بكل ثقة – وبناء على خبرتى العسكرية والمخابراتية العريضة – أن أقرر وضميرى مستريح أن مشكلة القدس ليست أمنية .. وإنما هى نفسية ، وأحب أن أؤكد أن فرص العيش فى سلام حقيقى مع الفلسطينيين**

بحر الكتب
bahr.alktob

ستكون ضئيلة جداً إذا لم نُجِدّ حلاً عادلاً لقضية القدس .. ودعنى أؤكد لك أيضاً أننا إذا ما نجحنا فى تهيئة الرأى العام على مدار الفترة المتبقية من السنوات الخمس المحددة للتفاوض بشأن التوصل إلى حل نهائى لوضع المدينة المقدسة فإن فرص النجاح ستكون طيبة .

●● هل تعتقد أنه بدون إعادة الحق فى القدس للفلسطينيين وإعادة الحقوق السياسية والدينية للعرب سيكون هناك سلام من الأساس ؟

● بالطبع لا .. ولكننى أعلم أيضاً أنه لا يوجد إسرائيلى واحد يمكنه التوقيع على أى اتفاقية سلام إذا ما كان جزء من شروطها التخلى عن القدس !! .. يجب علىّ أن أكون واقعياً وموضوعياً على الجانبين .. ومن جانبى فإننى أقيم الموقف كالتالى :

٩٠٪ من الإسرائيليين يقولون : ليذهب السلام إلى الجحيم إذا ما كان علينا إعادة القدس ..

٩٠٪ من العرب يقولون : ليذهب السلام إلى الجحيم إذا ما كان علينا التخلى عن القدس .. إنه نفس الموقف بالنسبة للجانبين .. لذا فأنا أقول : إن الأمر يتطلب ترويضاً وإعداداً نفسياً على الجانبين لمدة خمس سنوات على الأقل .. وإلا فإن الوضع سيكون صعباً جداً .. لقد قالها من قبل الرئيس الراحل (السادات) وهى أن الجانب الأعظم من المشكلة نفسى ، وأنا شخصياً لم أكن أتصور فى الماضى أن أتحدث مع أحد أفراد منظمة التحرير .. ولكن إسحاق رابين وشيمون بيريز صافحا عرفات واجتمعوا ويجتمعون ببعضهم البعض .

[ملحوظة : اللقاء تم قبل اغتيال رابين فى شهر نوفمبر عام ١٩٩٥ م]

●● أتذكر أنك قررت لى فى بداية لقائنا حقيقة « **أن القدس هى لب مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى** » .. لقد ترددت معلومات حول فكرة إسرائيلية بجعل القدس أشبه بعاصمة ذات شخصية إقليمية لما تسمونه بالشرق أوسطية .. ما تعليقك ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● كلا .. إن إحدى الأفكار المطروحة هى منح المدينة وضعاً كوضع الفاتيكان ، وجعلها تنتمى لجميع الأديان والأمم ، وألا توضع تحت سيادة أى حكومة من الحكومات .. ولكن دعنى أتعرض لهذه الفكرة وأقول : إن هناك حلولاً وأفكاراً عملية وأخرى حالمة .. فاليوم – وأنا أتحدث عن اليوم – ليس هناك إسرائيلى مستعد لقبول هذا الحل وهذه الفكرة .. ولكننا منذ سنوات قليلة وقبل بدء عملية السلام كنا نقول بأن أحداً منا فى إسرائيل لن يقابل عرفات .. إذن التغيير وارد فى المستقبل ، وفى إسرائيل قول شائع مفاده : « إذا لم تؤمن بالمعجزات .. فأنت لست واقعياً » !!

●● وماذا تعنى فكرة تدويل القدس المحتلة وإكسابها وضعاً أشبه بوضع الفاتيكان بالنسبة لك من مختلف النواحى السياسية والأمنية والعسكرية ؟

● أنا مَعْنِيٌّ أساساً بالجانب الأمنى .. ومن الناحية الأمنية أستطيع أن أؤكد بثقة أن القدس ليست مشكلة ، وأنه لم ولن تمثل أى تهديد أمنى لإسرائيل .. إلا أننى دائماً وأبداً سأكون رجلاً عملياً ولست حالماً ، والتعرض للقدس الآن سيكون عملاً حالماً وليس عملياً !!

●● غالبية الرأى العام العربى تشعر بشكوك عميقة تجاه مخططات إسرائيلية للسيطرة الاقتصادية والسياسية إذا ما تم السلام وبدأ ما يسمى بالشرق أوسطية .. بماذا تدافعون ؟

● أن تعمل لصالح نفسك ليس بالشىء السيئ .. طالما لن تضر بالطرف الآخر .. وأنا أعرف المخاوف والشكوك لدى الطرف العربى .. وخاصة الفلسطينيين بسبب كثرة حديثنا بشكل مبالغ فيه وبشكل خاطئ عن تطورنا التكنولوجى .. ولعلك تلاحظ فى الآونة الأخيرة أننا نحن الإسرائيليين قللنا من هذا الحديث عن التقدم التكنولوجى لدينا !! ولكن الواقع يقول إننا يمكن أن نتكامل بدون أن يستغل طرف الطرفَ الآخر .. يمكننا أن نكون قوة فى هذه المنطقة .. لقد توافرت لى مؤخراً أرقام مذهلة

بحر الكتب
bahr.alktob

عن عدد طلابكم وباحثيكم وعلمائكم الذين درسوا ويدرسون فى الجامعات الغربية المتقدمة من مصر وسوريا والأردن والفلسطينيين .. إلخ .. كل هؤلاء يعتبرون أهم من أى استثمار بما لدى هؤلاء من معارف ضخمة وخبرات .. إذا ما نجحتم فى توظيف هذه القوة الهائلة ستغيرون مستقبلكم تماماً .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

النصب التذكارى لشهداء فلسطين فى بلدة « كفر قاسم » وهى « البلدة الشهيرة » التى شهدت مذبحة من أكبر المذابح فى تاريخ العدو الصهيونى .. وكانت فى أكتوبر عام ١٩٥٦ م

بحر الكتب
bahr.alktob

الجزء الثانى

الجلوس إلى الذئب

« .. إن طموحات مصر تحت قيادة ناصر .. كانت لا يحدها سقف فى العالمين العربى والإسلامى .. كان أساس مشروع ناصر هو تدمير إسرائيل .. وكان ذلك السر فى سعينا الدؤوب لتحطيمه وإصابته بالإنهيار ..»

إيتسر هارئيل

المدير الأسبق للموساد

فى مقابلة مع المؤلف

بحر الكتب
bahr.alktob

بحر الكتب
bahr.alktob

إسرائيل هزمت العرب .. كل العرب .. بالديمقراطية .. ولكنها ديمقراطية (ما وراء الخط الأخضر) فقط .. أى داخل إسرائيل .. أما ماعدا ذلك فإن الديمقراطية تمارس هناك مع عرب فلسطين بالحذاء !!!

مقدمة

كان صباحاً غلب عليه هواء عليل ، تحمله نسمات قادمة عبر الحدود اللبنانية التى كنت أستطيع أن أميزها بصعوبة من فوق تلك الربوة العالية التى كنت أقف فوقها منتظراً السيارة التى ستحملنى من مدينة حيفا إلى ضاحية بالقرب من تل أبيب لكى أقابل واحداً من أكثر الشخصيات غموضاً وإثارة .. ليس فقط ممن حاورتهم .. وإنما من أشدهم إثارة وغموضاً فى العالم أجمع بشهادة العديد من الشخصيات السياسية والأمنية اللامعة فى العالم .. شخصية كانت مادة خصبة لكثير من المؤلفات والأبحاث والدراسات فى العديد من دول الغرب والشرق .. ناهيك عن المادة التى أخذت عن حياته وعمله السرى لصناعة أفلام شديدة الإثارة (!!) .

ألقيت نظرة أخيرة على الفضاء الممتد أمامى ، والذى ينتهى بى إلى منطقة رأس الناقورة اللبنانية قبل أن أطلق نَفَساً عميقاً استعداداً لكى أسلك الطريق المنحدر إلى الفندق .. حيث كان من المفترض أن تكون السيارة قد وصلت فى انتظارى .. وقد كانت بالفعل فى انتظارى ، وبدأنا الرحلة .. كان قائد السيارة يهودياً من أصل مصرى ، حضر إلى الفندق الذى أُقيمُ به لكى يتعرف علىَّ بعد أن علم بوجودى فى المدينة من وسائل الإعلام الإسرائيلية ، وقد أصر الرجل فى ذلك الصباح

بحر الكتب
bahr.alktob

إصراراً غريباً أن يصحبنى فى تلك الرحلة ، تأكيداً على كرم «المصريين» .. وككل المصريين كان الرجل يتميز بالفكاهة اللاذعة وسرعة البديهة اللافتة للنظر .. طوال الوقت كان الرجل يطلق تعليقاته التى كانت لا تخلو من الفكاهة ، كما كان يقوم بدور المرشد السياحى لتعريفى بمعالم الطريق ..

سألت الرجل الذى يعمل مديراً لأحد البنوك الهامة فى إسرائيل عن أوضاع اليهود من أصل مصرى فى إسرائيل بالمقارنة مع بقية اليهود من الأصول المختلفة الأخرى .. سواء كانوا من اليهود الغربيين «أشكيناز» أو اليهود الشرقيين «السفارديم» فقال الرجل :

«ليس تحزباً لليهود المصريين .. إلا أن معظمهم الأكثر نجاحاً هنا فى إسرائيل .. إن غالبية اليهود ممن هاجروا من مصر إلى إسرائيل كانوا الأفضل من الناحية الثقافية والتعليمية داخل إسرائيل .. سواء بالمقارنة مع اليهود الغربيين أو الشرقيين الذين كانت الغالبية العظمى منهم قليلى الحظ من هذه الأشياء .. ولهذا السبب – ولفترة طويلة – فقد احتل اليهود المصريون أهم المناصب التى تمثل عصب الدولة فيما عدا المناصب السياسية والعسكرية التى احتكرها اليهود الغربيون لفترة طويلة .. وإن بدأ ذلك يتغير مؤخراً شيئاً فشيئاً .. اليهود المصريون حتى الآن يحتل عدد كبير منهم المناصب القيادية فى البنوك والبورصات التجارية .. والإعلام المرئى والمسموع منه على وجه الخصوص .. أما عن اليهود من أصل عراقى فإنهم تميزوا عنا نحن المصريين [ما زال اليهودى من أصل مصرى يتحدث] بأنهم قَدِمُوا إلى هذه البلاد قبلنا .. الأمر الذى أتاح لهم الفرصة لكى يحتلوا مناصب كثيرة ومتميزة فى الجيش ووسائل الإعلام .. إلا أننا نحن اليهود المصريين نحافظ جداً على مصالحنا مع بعضنا البعض .. فمثلاً عندما توليت مسئولية

بحر الكتب
bahr.alktob

البنك حرصت على أن أستخدم أكبر عدد من اليهود المصريين .. وفى المقابل استغنيت عن عدد كبير من اليهود من أصول أخرى وخاصة العراقيين (!!) .

ضحكت كثيراً وقلت له : يبدو من كلامك أنك لا تكن وداً كبيراً لإخوتك من اليهود من أصل عراقى ؟!

وجاء الرد غير متوقع من جانبه :

« أنا لا أتجنى عليهم .. وهذا ليس موقفى أنا وحدى ، وإنما هو موقف الغالبية العظمى من اليهود أيضاً .. أنت قد تقابل خلال زيارتك مدير سلطة الإذاعة والتليفزيون وهو يهودى من أصل مصرى وأنا أعرفه معرفة وثيقة .. اسأله أنت عن اليهود من أصل عراقى ورأيه فيهم .. صدقنى فأنا أتكلم معك بصراحة قلّ أن تجدها هنا .. الجميع سوف يسمعك كلمات دبلوماسية جميلة .. ولكنه لن يقول لك حقيقة المشاعر ..

أنتم تقولون عنا نحن اليهود أننا أسوأ شعوب الأرض من ناحية صعوبة التعامل وصلابة الرأى والعناد فى كل شىء .. وقد يكون هذا صحيحاً بنسبة كبيرة .. ولكن إذا كنا هكذا فإن اليهود العراقيين هم أسوأ من فينا (!!) .

ضحكت كثيراً من كلمات الرجل الذى كان يبدو صادقاً جداً فى كلامه ، وقلت له : هذا أعجب ما سمعته منذ أن وصلت إلى هنا ..

وكأن الرجل أراد أن يثبت لى صدق ما أورده من قبل .. حيث أشار على منطقة سكنية كنا نمر أمامها فى تلك اللحظة فقال :

ألا ليت يأخذ الله هذا المأفون صدام حسين (!!)

بحر الكتب
bahr.alktob

واستطرد الرجل قائلاً :

« أتدرى ما هى تلك المنطقة التى نمر بها الآن ؟ .. إنها منطقة (رامات جان) ، وهى تَجَمُّعٌ سكنى أغلبه من اليهود العراقيين .. لقد كانت هذه المنطقة أحد أهداف صواريخ صدام خلال حرب الخليج ضمن مناطق أخرى عديدة داخل إسرائيل .. لقد سقط على هذه المنطقة ما يقرب من ستة من صواريخ سكود العراقية .. ألا تباً لهذا الرجل « صدام » ألم يكن بوسعه أن يسقط جميع صواريخه فوق هذا الحى ويخلصنا من هؤلاء الناس (!!!) .

المهم .. فقد وصلت بعد رحلة استغرقت ما يقرب من الساعتين وبضع الساعة إلى منزل هذا الرجل الغامض الذى كان من المفترض أن يكمل لى ما بهت من الصورة التى بدأت تتشكل تحت سفح هضبة الأهرام منذ شهور وبالتحديد فى حديقة فندق مينا هاوس بالقاهرة .

تَرَجَّلْتُ من السيارة وانتظرت حتى غابت عن ناظرى قبل أن أتحول إلى البوابة الخارجية لحديقة جميلة التنسيق يتوسطها منزل قديم يبدو حسن الاعتناء به .. وضغطت على زر الجرس الخارجى ، فَفُتِحَ الباب وظهر شيخ لا يبدو عليه من علامات الشيخوخة سوى وجهه .. وفيما عدا ذلك فقد كان يتحرك وكأنه فى الأربعينيات من العمر .. أيضاً فإن أكثر ما يلفت النظر إلى الرجل من الوهلة الأولى ، قصره المتناهى الذى قد يصدمك إذا ما استعرضت الصورة الذهنية لمدير الموساد !! .

نظر الرجل فى ساعة معصمه وقال : لقد تأخرت عن

بحر الكتب
bahr.alktob

موعدك أكثر من نصف الساعة .. فقلت له : لا تلومنى .. فأنا انطلقت فى موعدى .. ولكن ازدحامات الطريق كانت تبدو وكأنها لن تنتهى .. هز الرجل رأسه الذى اشتعل شيباً وقال : إنها حقاً مشكلة هنا فى إسرائيل .. لقد أهملنا لفترة قريبة فكرة إنشاء الجسور والكبارى والأنفاق ، الأمر الذى أدى إلى اختناقات مرورية شديدة .. أدخلنى الرجل إلى صالة استقبال فسيحة وعصرية وسألنى إذا ما كنت أشرب الويسكى ، فاعتذرت شاكراً .. وبعدها أحضر الرجل لى زجاجة مياه غازية ثم جلس إلىَّ قائلا : فى البداية أحب أن أعرفك أنه ليس من المعتاد لى أن أتعامل مع صحفيين كمصدر .. ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة العمل السرى الذى كنت أتولاه لسنوات طويلة من عمرى ، لقد اعتدت دائماً أن أجالس المصادر .. لا أن أكون واحداً منهم !

وبمجرد سماعى هذه الكلمات أحسست وكأننى ملاكم من وزن الريشة هبط عن طريق الخطأ على حلبة ملاكمة ليواجه ملاكماً من الوزن الثقيل ! .. أحسست بمدى الصعوبة التى سيكون عليها اللقاء ، وبمدى الصعوبة التى سأواجهها فى سبيل استنطاق هذا الرجل الذى جُبِلَ على أن يستجوب الآخرين .. وليس العكس .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

هذه الصورة دليل نفى لما زعمه هارئيل من أنه لا يوجد تعذيب للمحتجزين من جانب الأجهزة الأمنية الإسرائيلية .. من المعروف أن الكنيسيت الإسرائيلى قد وافق فى بداية عام ١٩٩٦م على تجديد تفويض أجهزة الأمن الإسرائيلية بممارسة كل أنواع التعذيب ضد المحتجزين لانتزاع المعلومات

بحر الكتب
bahr.alktob

المواجهـة

اسمه : « إيتسر هارئيل » .. والاسم معروف للخاصة أكثر منه للعامة .. فالعامة يمكن أن يحددوا من ظاهر الاسم أن صاحبه يهودى أما ... أما الخاصة فإنهم عندما يسمعون الاسم ينصرف إلى أذهانهم فوراً اسم « الموساد » وهو جهاز المخابرات الإسرائيلية .. فالرجل كان يرأس هذا الجهاز لفترة قياسية وصلت أكثر من ١٥ عاماً ولم ينافسه فى هذا الرقم القياسى سوى (إدجار هوفر) مدير جهاز التحقيقات الفيدرالية الأمريكى .

الرجل دخل عامه الـ ٨٢ .. غير أنه ما زال يحتفظ بذاكرة حديدية ، يختزن فيها ذكريات تمتد إلى ما قبل قيام إسرائيل وبداياتها وتاريخ الصراع .. لحظات مرت أثناء قيام الرجل بإفراغ زجاجة المياه الغازية ليقدمها إلىّ وأنا أقوم بترتيب أوراقى قبل أن تبدأ المواجهة .. وقد كان ..

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

● اسمى إيتسر هارئيل .. وكنت من قبل مديراً لجهاز الأمن الإسرائيلى .. حيث كنت الوحيد الذى جمع بين جهاز الأمن الداخلى « شين بيت » المسئول عن مكافحة التجسس والتنظيمات السرية وجهاز المخابرات الخارجية « الموساد » وهو الجهاز المسئول عن جمع المعلومات من جميع أنحاء العالم وخاصة الدول المعادية المجاورة .. أى الدول العربية والتى نسميها « الدول الأهداف » !!

●● متى تركت الخدمة ؟ ولماذا ؟

● هارئيل : لقد تركت الخدمة فى نهاية عهد رئيس الوزراء الأسبق دافيد بن جوريون والذى خدمت تحت رئاسته أكثر من ١٥ عاماً توليت خلالها رئاسة جهازى الأمن الرئيسيين فى إسرائيل .. وفى الحقيقة فإننى أنا الذى أسست ما عرف بجهاز « الشين بيت » وجهاز الموساد .. أيضاً فإننى لم أترك الخدمة بالتقاعد .. وإنما قدمت استقالتى لخلاف نشأ بينى وبين رئيس الوزراء وكان ذلك فى عام ١٩٦٣م .

●● هل لنا أن نتعرف على طبيعة الخلاف الذى نشب بينك وبين رئيس الوزراء بن جوريون فى ذلك الوقت ؟

● هارئيل : كان الخلاف حول وجود علماء الصواريخ الألمان الذين استقدمتهم مصر فى الستينيات لتطوير أنظمة صواريخ لها .. وبالطبع فإننا فى إسرائيل لم نشعر بالراحة تجاه تلك الخطوة .. ثم جاء الخلاف بينى وبين رئيس الوزراء .. ليس على المبدأ حيث كنا نتفق على ضرورة رحيل العلماء الألمان من مصر .. وإنما اختلفنا على أسلوب التعامل مع هؤلاء الألمان .. وقد طالبت وقتئذ الحكومة الألمانية بضرورة إخراج هؤلاء العلماء من مصر ، إلا أن الألمان لم يتحركوا كما يجب .. وهنا دب الخلاف بين بن جوريون وبينى حول أسلوب التعامل مع هؤلاء الألمان .

●● ولكنك لم تحدد حتى الآن طبيعة هذا الخلاف حول سبل التعامل

بحر الكتب
bahr.alktob

مع علماء الصواريخ الألمان فى مصر فى ذلك الوقت ، وخاصة أن التعامل من جانبكم مع هذه القضية اتخذ شكل عمليات سرية لاغتيال بعض هؤلاء العلماء ، وإرهاب الباقين للهرب بحياتهم من تهديداتكم .. فَلِمَ كان الخلاف .. وعلى ماذا ؟

● هارئيل : فى ذلك الوقت كنا فى الأجهزة الأمنية الإسرائيلية لا تغمض لنا عين بسبب ما أقدمت عليه مصر تحت قيادة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من سياسات تصنيع حربى متطورة تَوَّجَهَا بوضع برنامج طموح لتطوير أنظمة صاروخية متقدمة سبقت بها جميع دول المنطقة .

كان من الطبيعى أن نقلق فى إسرائيل من هذا التطور الخطير الذى كان يهدد بقلب جميع موازين القوى فى المنطقة ، وخاصة إذا ما توافرت هذه القدرات الصاروخية المتقدمة فى أيدى الذين يملكون الإرادة السياسية لاستخدامها .. سواء جاء هذا الاستخدام فى شكل ردع أو فى شكل استخدام فعلى لهذا السلاح الخطير .. لقد كان لدى مصر فى ذلك الوقت الرغبة والقدرة على استخدام هذا السلاح .. كان علينا فى إسرائيل وتحديداً فى الموساد أن نتخذ جميع الإجراءات الكفيلة بمنع المصريين من حيازة هذا السلاح الخطير .

●● ولكنك لم تذكر لنا حتى الآن ماهية الخلاف الذى نشب بينك وبين رئيس الوزراء الأسبق بن جوريون حول أسلوب التعامل مع هذه القضية ؟

● هارئيل : كان الخلاف حول درجة المزج بين الوسائل السياسية والعمل السرى فى التعامل مع العلماء الألمان فى مصر .. فقد كنت من أنصار عدم إهدار الوقت الثمين فى التعامل السياسى مع هذه القضية وخاصة بعد ما أظهرته ألمانيا الاتحادية من سلبية فى التعامل مع القضية .. ولكن تلك « قصة طويلة » أرجو أن تعفينى من الخوض فى تفاصيلها الآن ..!

بحر الكتب
bahr.alktob

●● لنترك التاريخ برهة – حيث سنعود له فى موضع آخر – ولننظر إلى الموقف الحالى على الصعيد السورى .. حيث تتشابك المواقف داخل إسرائيل بشكل كبير حول الانسحاب أو عدم الانسحاب .. الانسحاب الكامل .. أو الانسحاب الجزئى .. كمواطن إسرائيلى تتمتع بخلفية عميقة هى مزيج من صناعة القرار وتنفيذه .. إذا ما جرى استفتاء اليوم على الجولان بماذا سوف تُصَوِّت ؟

● **هارئيل : إذا ما جرى الاستفتاء اليوم ستخسره الحكومة .. فالرأى العام معظمه لا يؤيد إعادة الجولان لسوريا .. ورئيس الوزراء رابين – [كان رابين وقت إجراء المقابلات ما زال حياً فى السلطة] – أو أى شخص سيأتى من بعده يدرك ذلك جيداً .. ولذا فإنه لن يقدم عليه الآن إلا مع توافر ظروف وضمانات خاصة جداً .**

●● ولكن مسئولى الحكومة الإسرائيلية يقولون إن لديهم تفويضاً محدداً من جانب الرأى العام فيما يتعلق بالجولان .. الأمر الذى يتطلب تفويضاً أوسع لا يتم إلا من خلال استفتاء شعبى !؟

● **هارئيل : كما قلت .. فإن الرأى العام فى إسرائيل حساس جداً من ناحية الجولان وخاصة الرأى العام داخل المؤسسة العسكرية .. ولهذا سيفشل أى رئيس وزراء فى حالة إجراء الاستفتاء اليوم .**

●● ولكنك لم تجب على السؤال الأساسى : ماذا سيكون صوتك .. مع أم ضد ؟

● **اسمح لى بألا أجيب على هذا السؤال !! .. حيث إننى أعلم يقيناً أن القيادة السياسية لدينا استبعدت – على الأقل مؤقتاً – فكرة إجراء الاستفتاء بالإضافة إلى ذلك فإن أعتبر صوتى .. مع .. أو ضد هو أمر خاص بى ليس من حقك معرفته !! .**

●● وماذا لو نجح الطرفان فى التوصل إلى اتفاق شامل به ضمانات كاملة للطرفين تضمن الأمن والعلاقات والحدود المفتوحة ..

بحر الكتب
bahr.alktob

هل تتوقع موافقة من الرأى العام الإسرائيلى ؟

● هارئيل : المشكلة مع سوريا ليست مثلما كانت عليه مع مصر .. وأعتقد أنه إذا ما تعامل الرأى العام هنا فى إسرائيل مع الرئيس السورى حافظ الأسد مثلما تعامل مع الرئيس الراحل السادات نفسياً ستكون المسألة أسهل بكثير .. وأنا شخصياً أؤكد لك أن السادات كسب ثقة كل الإسرائيليين بجميع تياراتهم وخاصة عندما كان يتحدث عن السلام .. السادات حظى بثقة مطلقة فى إسرائيل !! وأعتقد أنه إذا حظى الرئيس الأسد بنفس الثقة فإن الموقف سيتغير تماماً (!!) .

●● أنتم تتحدثون عن الثقة المفقودة فى الوقت الذى يتحدث فيه الرئيس الأسد عن سلام شامل وإنهاء تام لحالة الحرب .. ما الذى تعتقده مفقوداً فى هذه المعادلة لكى تتوافر الثقة لدى الإسرائيليين !؟

● هارئيل : المشكلة أن السادات أقدم على سابقة جديدة من نوعها .. فبعد حرب أكتوبر التى خاضها بنجاح ضدنا جاء للقدس وتحدث أمام الكنيست .. ولا أعتقد أن أى حاكم عربى يمكنه أن يكسب ثقة مثل تلك التى حازها الرئيس السادات فى إسرائيل .. ولكن إذا استطاع رئيس الوزراء أن يتوصل إلى اتفاق شامل مع سوريا يمكن أن يتقدم به للرأى العام .. فهناك احتمال كبير فى رد إيجابى من الشعب الإسرائيلى !! ولكن بدون هذا الاتفاق والاكتفاء بالحديث عن المبادئ فإن الرأى العام الإسرائيلى لا يرى سبباً يدعوه لإعادة الجولان .. وعلى أية حال دعنى أشير إلى أن الرأى العام يتغير .. والدليل على ذلك ما حدث مع منظمة التحرير الفلسطينية .

●● أنتم فى إسرائيل إذن تريدون حافظ الأسد « نسخة » من السادات لكى تعيدوا الجولان المحتل إلى أصحابه !؟

● هارئيل : أنا لم أقل ذلك أبداً بالتصريح أو بالتلميح .. نحن لا نريد أى شىء .. إنهم هم الذين يريدون الجولان وعليهم السعى إلى ذلك (!!)

بحر الكتب
bahr.alktob

●● بناء على خلفيتك العسكرية العريضة وكونك ترأست أهم جهاز أمنى فى إسرائيل لفترة قياسية .. هل تعتقد أن الأهمية الاستراتيجية العسكرية للجولان ما زالت تحتل نفس الأهمية بالرغم من تغير النظريات العسكرية بتطور الأسلحة التقليدية وخاصة فى مجال الصواريخ ذاتية الدفع ؟ .

● هارئيل بالتأكيد .. لقد تغيرت النظريات العسكرية خلال السنوات الأخيرة .. ولكن بالرغم من امتلاك سوريا صواريخ يمكن أن تنزل بنا فى إسرائيل خسائر فادحة ، وبفرض امتلاكهم سلاحاً جوياً قوياً جداً .. وبالرغم من كل ذلك فإن نتيجة المعركة لا يمكن حسمها إلا من خلال القوات البرية على الأرض .. ولذا فإن السوريين إذا عادوا ليسيطروا على الجولان بأكملها فإن باستطاعتهم تمثيل تهديد شديد جداً على إسرائيل .. وهذا هو رأى غالبية رجال المؤسسة العسكرية هنا .. وأعود فأقول : لهذا السبب نحن بحاجة إلى توافر الثقة فى نوايا السوريين .. بالإضافة إلى اتفاق شامل .. عند ذلك يمكن للصورة أن تتغير تماماً (!!) .

●● هل لك أن تشرح لنا ماهية الضمانات التى تطالب بها إسرائيل لكى تريحنا وتستريح هى الأخرى !؟

● هارئيل : الثقة .. الثقة !

●● نعم .. ولكن يجب ترجمة هذه الثقة إلى شكل ضمانات قانونية وسياسية وعسكرية .. فما هى ؟

● هارئيل : لتأخذ مصر والرئيس السادات مثالاً .. فبالرغم من الأهمية الاستراتيجية لسيناء لدينا فإنه فى اللحظة التى كسب فيها السادات ثقة الشعب الإسرائيلى تمت الموافقة على مبدأ إعادة سيناء كلها لمصر .. وذلك بالرغم من وجود رجل متشدد مثل مناحيم بيجين فى السلطة فى ذلك الوقت .

بحر الكتب
bahr.alktob

●● لقد عُدْتَ ثانية إلى نموذج السادات .. بالرغم من أنك انزعجت من سؤالى لك منذ لحظات حول ما إذا كنتم فى إسرائيل تحلمون بحافظ أسد على غرار النموذج الساداتى ؟

● **هارئيل : (... صمت ...)**

●● الثقة عبارة فضفاضة ولها إيحاءات رمزية كثيرة .. نحن نسأل عن ضمانات محددة ترغب فيها إسرائيل ؟

● **هارئيل : لننظر إلى الموقف السورى المتشدد من عدم إجراء أية مقابلات مباشرة مع مسئولين إسرائيليين .. هل هذا أمر يدعو لبناء الثقة ؟**

●● ولكن هناك مفاوضات مباشرة تتم بالفعل فى واشنطن وهى المفاوضات الثنائية !

●● **هارئيل : أنا أتحدث عن لقاءات مباشرة بين الرئيس السورى الأسد ورئيس وزراء إسرائيل مما قد يدفع بتغير دراماتيكى جذرى يحرك الرأى العام الإسرائيلى نحو الثقة .. وقد حدث هذا الأمر قبل ذلك من جانب مصر .. لقد وثقنا فى كلمات الرئيس السادات ومعنا فى ذلك من كانوا يؤمنون بأهمية سيناء الاستراتيجية لنا .**

●● ألا ترى أن الأمر مع مصر لم يكن مجرد ثقة فى كلمات وإنما رغبة من جانب إسرائيل فى الحصول على أوضاع ومكاسب عسكرية وسياسية واقتصادية من خلال إعادة سيناء لمصر وعقد سلام فى الجبهة الجنوبية .. وبالتالى ضرب الصف العربى والقضاء على أى فرصة لقيام حرب عربية ضد إسرائيل ؟!! .

● **هارئيل : بالطبع .. وخاصة أننا أصبحنا على يقين من أن القوات المصريـة لم تعد ترابض الآن على نفس المسافة القريبة منا مثلما كان الأمر من قبل .. ولكننى أعود فأقول : إن المكاسب التى ذكرتها جنباً إلى جنب مع الثقة هى التى دفعتنا إلى إعادة سيناء .. أيضاً فإن الجولان إذا**

بحر الكتب
bahr.alktob

ما قورنت بسيناء فهى ليست مجرد قطعة أرض .. فهى منطقة استراتيجية بمعنى الكلمة ومن يسيطر على قمتها يمكن أن يشكل خطراً كبيراً على من يقع بأسفلها .

●● تتكلمون عن الثقة من الجانب الآخر ، وأنتم لا تفعلون أى شىء لدعم ثقة هذا الجانب الآخر بكم !؟

● **هارئيل .. كيف ؟**

●● هل من دواعى الثقة بكم بذل جميع المساعى إلى حيازة هذا المخزون الهائل من الترسانة العسكرية المتميزة والانفراد بقدرات نووية فى المنطقة كأداة ابتزاز لتحقيق مكاسب على مائدة المفاوضات ؟

● **هارئيل : دعنى أتناول هذا الموضوع بشكل منظم :**

أولاً : لم نعترف فى إسرائيل حتى الآن بحيازتنا لأسلحة نووية .

ثانياً : أنا لست مستوعباً كيف يمكن أن أستخدم القدرات النووية – إن وجدت – فى الحصول على مكاسب على مائدة المفاوضات !؟

ثالثاً : ما الداعى إلى قلقكم من هذه القدرات النووية المزعومة إذا ما كنا قد اتفقنا ضمنياً بأن الحرب لا يجوز أن تكون شريعة المنطقة ؟

●● دعنى أكون محدداً مثلما حاولت أن تكون :

أولاً : إن عدم اعتراف إسرائيل بحيازة أسلحة نووية لا يعنى أى شىء فى هذا المضمار .. حيث أن العديد من الدول التى تحوز هذه الأسلحة أو تسعى لتطويرها تنفى تلك الحقيقة بهدف تقليل الضغوط الدولية عليها فى هذا الصدد .

ثانياً : إن الإنكار فى هذا الصدد يحقق للدولة الحائزة على ذلك السلاح غير التقليدى ما يُعرفُ باسم (استراتيجية الردع بالشك) وبالطبع فأنت تعلم أن هذه الاستراتيجية توفر على الطرف الرادع الكثير من العناء

بحر الكتب
bahr.alktob

كما أن هذا الشك يجعل الطرف الواقع عليه الردع دائماً فى حالة من التردد من حيث سعيه إلى حيازة رادع مماثل .

ثالثاً : أما من ناحية تحقيق مكاسب على مائدة المفاوضات فإن مثل هذا الأمر فى منتهى الوضوح ولدينا عليه نماذج عديدة من خلال مفاوضات تمت بين أطراف يحوزون أسلحة غير تقليدية وآخرين لا يملكون هذه الأسلحة .

رابعاً : إن نبذ المنطقة للحرب كأسلوب معيشة جاء من طرف واحد وهو العرب .. ولكن ليس من جانب إسرائيل التى تعتمد على القوة فى فرض تعريفات مختلفة للحرب تبرر بها حروبها الصغيرة فى المنطقة مثلما حدث فى حرب لبنان .. وبالطبع فإن نبذ العرب للحرب من جانب واحد – على مستوى الحكومات على الأقل – جاء نتيجة لعدد من الأسباب من ضمنها تفردكم بقدرات نووية .

● **هارئيل : ألا تعتقد أن العرب إذا ما كانوا فى نفس وضعنا من حيث ما يدعونه من امتلاكنا قدرات نووية كانوا سيستخدمونها بنفس الشكل !؟ إن تعريف السياسة – بالإضافة إلى أنها فن تحقيق الممكن – فهى فن استخدام واستغلال القدرات التى تحوزها بأكبر قدر من المكاسب (!!) .**

●● من خلال معايشتكم للأحداث هنا .. هل تتوقع إمكانية حدوث انفراجة إيجابية على الصعيد السورى قبل نهاية هذا العام ؟

● **هارئيل : الرئيس الأسد رجل ذكى جداً وحاذق .. ويمكنه أن يحرك الرأى العام الإسرائيلى .. وفى هذه الحالة يمكن أن تحدث انفراجة .. يمكن للأسد مثلاً أن يتخذ مبادرة بالاجتماع مع رئيس الوزراء الإسرائيلى .. فما الذى يحول دون ذلك ؟**

●● على سبيل المثال .. يمكن أن ينتهى الاجتماع بالفشل .. فليس من المتوقع أن يبلغ رئيس الوزراء الرئيس الأسد خلال هذا الاجتماع بالموافقة على مبدأ الانسحاب ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● **هارئيل : بالطبع لن يقدم أى رئيس لوزراء إسرائيل على مثل هذا الشيء فى مثل هذا الاجتماع المفترض وإلا يكون قد حكم على نفسه بالإعدام من جانب شعبه !! .. ولكن احتمال خطر الفشل سيكون أيضاً ماثلاً أمام رئيس الوزراء هو الآخر (!!)**

●● ولكن رئيس الوزراء لن يكون لديه ما يخسره فى هذه الحالة .. فهو لديه الأرض التى يحتلها والتى سيعود لها فى حالة فشل اللقاء مع الرئيس السورى الذى لا يمكنه الإقدام على مثل هذا التحرك الآن إلا مع توافر ظروف وضمانات خاصة جداً ، فى حين أن مسئولى الحكومة الإسرائيلية يقولون بأن لديهم تفويضاً محدداً من جانب الراى العام فيما يتعلق بالجولان .. الأمر الذى يتطلب تفويضاً أوسع لا يتم إلا من خلال استفتاء شعبى !؟

● **هارئيل : كما قلت فإن الرأى العام فى إسرائيل حساس جداً من ناحية الجولان وخاصة الرأى العام داخل المؤسسة العسكرية .. ولهذا سيفشل أى رئيس وزراء فى حالة إجراء استفتاء اليوم .**

●● عند استحالة لقاء الرئيس السورى مع رئيس وزراء إسرائيل .. فما هى الوسيلة لبناء الثقة التى يمكن أن تطرح بين الجانبين فى هذا الشأن ؟

● **هارئيل : ولماذا نستبعد مثل هذا اللقاء ؟ .. إذا فشل الاجتماع فسوف يستمر الأسد فى المطالبة باستعادة الجولان .. ولن يخسر شيئاً .. المشكلة أن الرئيس الأسد لا يرغب فى الاعتراف بإسرائيل (!!) .**

●● كيف ؟ .. لقد أعلنت سوريا أكثر من مرة استعدادها لإقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل فى حالة عودة الجولان كاملة لها ودعنى فى هذا المقام أن أذكر أن العلاقات الطبيعية ليست بالضرورة أن تكون حميمة ، فيكفى لكى نصفها بالطبيعية بألا تكون هناك حالة حرب بين الطرفين .. وهذا النموذج من العلاقات بين الدول شائع فى العالم .. أليس ذلك اعترافاً كافياً !؟ أعتقد من كلامك أن المشكلة تكمن فى أنكم لا ترغبون فى الإقدام

بحر الكتب
bahr.alktob

على أية مبادرات إيجابية .. أنتم تريدون الانتظار إلى أن يأتيكم الطرف الآخر ويلبى شروطكم أياً كانت .

● هارئيل : إذن فليقرن الرئيس الأسد الفعل بالقول .. وليجلس معنا للحديث .. لقد بدأ الأمر مع مصر بلقاءات على مستويات مختلفة وسرية قبل أن يقدم السادات على ما لم يقدم عليه زعيم فى التاريخ من قبل بأن يأتى لقلب دولة ما زالت فى حالة عداء معه .. وأعتقد أنه بدون خطوة مثل خطوة السادات هذه فإن بقية الدول العربية لم تكن لتتخذ مثل هذه الخطوات حالياً .. فبالرغم من النفوذ والقوة الكبيرة لمصر أيام الرئيس جمال عبد الناصر الأمر الذى تعرض لهزات عديدة فى السنوات الماضية فإنها ما زالت الدولة الأولى حتى الآن فى المنطقة وهى الرائدة .

●● لقد رددت فى حديثك أكثر من مرة ، أنك كنت تعرف السادات جيداً وتثق به حتى قبل السلام مع إسرائيل .. كيف توافرت لك هذه المعرفة ؟

● هارئيل : لا تنس أننى كنت مديراً للمخابرات ، وأنه علىّ أن أعرف العديد من الزعماء معرفة جيدة جداً ، بحيث إذا ما سئلت أسئلة من نوع : هل هذا الزعيم يوثق به ؟ .. هل هذا الرجل يقف على أرضية صلبة ؟ .. إلخ .. فى تلك الحالة يجب علىّ أن أعرف الإجابة ! .. وهو نفس الحال بالنسبة للمسئولين المصريين فإنهم يعرفون قياداتنا بشكل جيد جداً .. وهو نفس الوضع مع السوريين .. فأنا أعرف الرئيس الأسد جيداً .. فهو ماهر وحاذق ولكنه ناصبنا العداء لزمن طويل وبشدة .

●● بالنظر إلى منصبك الحساس والهام جداً .. ما هى الدولة العربية التى كنت تخشاها أكثر من غيرها عسكرياً ومخابراتياً ؟

● هارئيل : ليس هناك سوى مصر وخاصة تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر .. فالرئيس ناصر كان يتبع سياسة مفادها أن مصر يجب أن تكون الدولة القائدة للدول العربية والإسلامية .. إن طموحات مصر تحت قيادة ناصر فيما كان يتعلق بالعالمين الإسلامى والعربى كانت قوية

بحر الكتب
bahr.alktob

جداً ولا يُجدُّها أى سقف (!!) لقد كان أساس مشروعه فى العالمين العربى والإسلامى هو تدمير إسرائيل .. وقد كان هذا المشروع هو السر فى سعينا الدؤوب لتحطيم وإحباط خططه وإصابته بالانهيار .. لقد حاول عبد الناصر تدمير إسرائيل مرتين فى خلال حربى عام ١٩٥٦م ، ١٩٦٧م ولكن الرجل لم يستطع (!!) .

●● ولكن مصر تحت قيادة الزعيم الراحل لم تهاجم إسرائيل فى الحربين ، وإنما العكس هو ما حدث .. وإذا كانت إسرائيل قد تذرعت بحجة سحب القوات الدولية من جانب مصر فى عام ١٩٦٧م - بالرغم من أن ذلك كان عملاً من أعمال السيادة على أراضيها - لكى تصف ذلك إعلاناً بالحرب .. فما هى حجتها فى عام ١٩٥٦م عندما شاركت بريطانيا وفرنسا فى عدوان غير مُبَرَّر ضد مصر التى لم تقدم على عمل استفزازى على الأقل ضد إسرائيل ؟

● **هارئيل : لقد كان ناصر يعد العدة فى تلك الفترة لحربنا .. لقد كان يسعى لجلب وتكديس السلاح فى مصر !! .**

●● ولكن ألا ترى أن كل دولة لها الحق فى التسلح للدفاع عن مصالحها وأراضيها .. لقد كنتم ومازلتم تقومون بنفس الشىء وجميع دول العالم تقوم بذلك .. إلا أن هذا لا يعطى مبرراً ولا شرعية العدوان على تلك الدول !؟

● **هارئيل : .. يجوز (!!) .**

●● أنتم كنتم وما زلتم تكدسون الأسلحة التقليدية وغير التقليدية بالرغم من حديثكم عن السلام .. ألا يعطينا هذا مبرراً - وفقاً لمنطقكم - لمهاجمتكم ؟

● **هارئيل : إذا كنتم تستطيعون .. !**

●● ولكن ذلك لا يوصف إلا بسياسة لَىّ الذراع إذن .. سياسة فرض الأمر الواقع ..

بحر الكتب
bahr.alktob

● **هارئيل : فى كثير من الأحيان يكون ذلك مطلوباً .. وخذ عندك مثال الحربين العالميتين الأولى والثانية عندما فُرِضَ السلام على ألمانيا وحلفائها من دول المحور فى المرتين .. وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التى تدعم فكرة فرض السلام !! .**

●● ولكنك تغفل عمداً أن ألمانيا كانت معتدية فى المرتين ، وأنها كانت تحتل معظم أوروبا ومناطق أخرى من العالم ، وكان لابد من فرض حل من أجل تحرير الأرض .. وبالتالى فرض السلام .. أما بالنسبة للنموذج الإسرائيلى فإن إسرائيل كانت هى المعتدية ، وما زالت هى الطرف المحتل للأرض العربية .. أى أنه ليس هناك وجه للمقارنة على الإطلاق بالنسبة لفكرة فرض السلام .. ففرض السلام على طَرَفٍ أرضه محتلة له مسمى آخر .. ألا وهو « الاستسلام » لشروط المحتل !؟

● **هارئيل : دعنا من ذلك كله .. فنحن نتعامل مع الواقع وأشياء على الأرض .. وليس مع أفكار مجردة .. فالواقع يقول : إنكم خسرتم أرضكم فى حروب وتريدون استردادها .. الأمر الذى لا يمكن أن يتم بشروطكم فقط (!!) .**

* * *

●● تتحدث عن الزعيم ناصر بكراهية تتجاوز فى بعض الأحيان - كما أستشعر - الكراهية المعتادة بين الخصوم .. فماذا كان يمثل بالنسبة لكم ناصر فى إسرائيل ؟

● **هارئيل : ناصر كان يمثل لنا فى إسرائيل الخطر الأعظم مثله فى ذلك مثل « بوختنصر »** [1] **و « هتلر » فى تلك الفترة .. كان ناصر يلعب لعبة مزدوجة .. حيث كان يتحالف مع السوفييت ويحصل منهم على**

---

(١) كان ملكاً على بابل .. وقد قام بدخول مملكة يهوذا فى عام ٥٨٦ ق . م حيث دمر عاصمتها « أورشليم » والهيكل ، وقام بسبى معظم اليهود بها وترحيلهم إلى بابل .. وذلك فيما عرف بالسبى البابلى الأول .

بحر الكتب
bahr.alktob

كميات هائلة من الأسلحة .. فى حين كان يلعب مع الأمريكان ضاغطاً ومطالباً إياهم بعدم تزويدنا بالسلاح ، وموحياً إليهم بأنه يمكن أن يلعب دور الضامن لمصالحهم فى المنطقة .. وعندما اكتشف عدم قدرته على مواجهة إسرائيل وتدميرها فى عام ١٩٥٦ م لم يعترف بذلك وإنما بدأ فى محاولة أخرى توجت بحرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ م وكانت النهاية بالنسبة له .. حتى أننى أستطيع أن أؤكد أن ناصر مات فى أعقاب حرب ١٩٦٧م من اليأس والإحباط فى تحقيق أحلامه الكبيرة .

●● ولكنك تغفل أن ناصر هو الذى وضع الأساس لحرب عام ١٩٧٣م من خلال إعادة بناء الجيش ووضع الخطط .. أى أنه لم يمت كما قلت عقب حرب عام ١٩٦٧م .

● هارئيل : نعم .. ولكننى أقصد أنه انكسر نفسياً ..

●● ولكنك لم توضح لنا كيف بدأت مصر الحرب مع إسرائيل فى عام ١٩٥٦م !!

● هارئيل : دعنى أكشف لك عن وجود حلقة اتصال بيننا وبين ناصر فى الفترة ما بين ١٩٥٤ - ١٩٥٦م وذلك عن طريق الأمريكان من خلال المبعوث الشخصى للرئيس الأمريكى أيزنهاور وكان يدعى الجنرال (أندرسون) .. لقد لعب أندرسون دور الوساطة بيننا وبين مصر لشهور عديدة تنقَّل فيها بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة .. لقد كانت اجتماعات أندرسون فى إسرائيل تتم معى فى منزلى هذا الذى نجلس فيه الآن بالقرب من تل أبيب .. وفى النهاية اقتنعنا نحن كما اقتنع الأمريكان بأن مصر غير جادة فى هذه الوساطة ، ومن ثم توقفت لكى تبدأ حرب ١٩٥٦ م !!

●● ماذا كانت تعنى مصر بالنسبة لك فى تلك المرحلة ؟

● هارئيل : الخطر العظيم كما قلت لك من قبل بالنسبة لناصر وما كان يعنيه لنا فى إسرائيل .. ولكن المفارقة أن الخطر العظيم والحقيقى

بحر الكتب
bahr.alktob

والمهدّد الذى مثلته لنا مصر لم يتحقق فى أيام ناصر وإنما فى زمن السادات وكان فى حرب يوم (كيبور) عام ١٩٧٣م .. بالفعل وللتاريخ فإن إسرائيل كانت فى خطر محدق ومستطير فى تلك الحرب .. وكان ذلك أعظم انتصار للمصريين علينا .. بالرغم من أننا فى نهاية الحرب كنا خلف خطوط الجيش الثالث الميدانى المصرى ونحاصره .

●● لتستكمل الصورة ، حيث أن قواتكم التى كانت تحاصر الجيش الثالث كانت هى الأخرى محاصرة من الجيش المصرى .. وكان من الممكن بسهولة القضاء عليها بقليل من التضحيات من الجانب المصرى إذا ما قورنت بالقضاء على زهرة قوات جيشكم لولا ضغوط خارجية أنتم تعلمونها مورست على السادات فى ذلك الوقت !!

● هارئيل : نعم .. لقد كان الوضع معقداً ومتشابكاً .. ولكن دعنى أقول إنه كان من السهل جداً على السادات فى ذلك الوقت وتحت ظلال هذا النصر الكبير أن يستثمر الموقف كله على الصعيدين الداخلى والعربى .. فبعد كل شىء فإن جيشه هو الوحيد الذى نجح فى قهر الجيش الإسرائيلى .. إلا أن السادات كان ذكياً .. فقد استقرأ الأوضاع بشكل جيد ، وعلم أن تلك هى الفرصة لكى تبدأ عملية السلام .. لقد علم أنه من المستحيل التوصل إلى حل للصراع العربى – الإسرائيلى من خلال المواجهة العسكرية .. لقد كان السادات واقعياً ، وأيضاً ذو نظرة استراتيجية نافذة .. لم يكن السادات بالرجل الذى تحركه عاطفة مثل ناصر .. السادات كان رجلاً نافذ البصيرة (!!) .. ودعنى فى هذا المقام أن أتجاوز الحدود وأقول لك : إن العرب لم يكونوا على استعداد – كما أن ليس لديهم الرغبة – فى أن تصبح مصر دولة قوية (!!) .. الدول العربية ساندت مصر أيام عبد الناصر سياسياً وإلى حد ما عسكرياً إلا أنها لم تساعده أبداً لحل مشاكله فى الداخل لا سيما الاقتصادية منها .. لقد أدرك السادات من وجهة نظره أن العرب لا يمانعون فى شىء واحد فقط

بحر الكتب
bahr.alktob

هو : أن تستمر مصر فى محاربة إسرائيل بالنيابة عنهم والتضحية بالجيل الشاب من المصريين سواء عسكريين أو مدنيين (!!) .

●● هل تحاول أن تلمح بأن السادات كان أكثر حباً لمصر والمصريين من ناصر؟

● بالطبع لا .. فناصر لا يمكن لى ولا لأى شخص أن يشكك فى محبته لبلاده وشعبه .. إلا أنه كان على استعداد للتضحية بالجيل الشاب تحت حساب تحقيق طموحات وأحلام بعيدة المنال .

●● أعتقد - مع الفارق - أن هذا هو ما أقدمتم عليه عندما تجمعتم فى فلسطين وأعلنتم قيام إسرائيل .. فى ذلك الوقت كنتم تحلمون ، وكنتم مستعدون للتضحية بشعب كامل فى سبيل « مجرد حلم » .. وأعتقد أنه ليس من حقكم أن تصادروا على الآخرين حقهم فى أن يحلموا وأن يضحوا فى سبيل تحقيق الحلم ؟

● أرجو ألا تسجل علىَّ كلاماً لم أقله .. لقد كان كل ما قلته هو أن ناصر كان على استعداد للتضحية بجيل من الشباب لتحقيق أحلام (!!) .

●● وكذلك السادات عندما أعد لحرب أكتوبر وخاضها .. ولكن الفارق أن السادات نجح فى إحراز نتيجة مشرفة يمكن منها البدء فى السلام .. الأمر الذى لم يتحقق مع الزعيم ناصر ..

● هارئيل : محتمل !!

* * *

●● خلال توليك منصبك لفترة قياسية ، ومن خلال عملك الدائم ضد مصر .. هل كنت تشعر بالكراهية والحقد ضدنا !؟

● هارئيل : مطلقاً .. ولكن ذلك لا يعنى أننى كنت أحبكم (!!) .. إن المبدأ فى عملنا فى المخابرات هو : أنك لن تستطيع تحقيق أى هدف إذا سمحت للعاطفة بالتدخل فى عملك .. تعلمنا منذ بداية حياتنا العملية فى

بحر الكتب
bahr.alktob

هذا المجال أن تحقيق الأهداف المنوطة بنا – كرجال مخابرات محترفين – لا يتم سوى بإجراءات عملية معقدة ومتداخلة وبمنهج عقلانى علمى منظم .. المبدأ الذى كان يحكمنى هو : لماذا أكره دولة أو أمة وذلك فى الوقت الذى أعمل فيه جاهداً على تطويعها للعيش معى فى سلام ، كما أعلم فى النهاية أننى يجب أن أتعايش معها ؟!

●● إن ذلك يختلف عن الغالبية العظمى من الإسرائيليين ممن كانوا يكنون كراهية « التحريم » للمصريين !

● هارئيل : ليست الكراهية .. وإنما الخوف .. لقد كانوا يخافون مصر وكانوا – ربما أكثر من الشعوب العربية الأخرى – يدركون صدق رغبة ناصر فى إزالة إسرائيل من على الخريطة .. أعتقد أن الإسرائيليين كانوا يخافونكم أكثر مما كانوا يكرهونكم .. لقد حاول ناصر طويلاً أن يحث الأمريكيين على الامتناع عن إعطائنا أسلحة كما قلت لك وخاصة قبل حرب ١٩٥٦م .. وفى سعيه هذا أخبر الأمريكيين أنه يرغب فى سلام مع إسرائيل إلا أنه لا يستطيع الإعلان عن ذلك بسبب الأوضاع العربية .. ولهذا السبب أوفد الرئيس أيزنهاور مبعوثه الشخصى الجنرال أندرسون فى مهمة فائقة السرية لكى يبدأ اتصالات وتحركات مكوكية بين الجانبين ، حتى أبلغ أندرسون الرئيس الأمريكى قناعته بأن الرئيس ناصر لا يعنى ما يقوله حول السلام مع إسرائيل .. وكان ذلك سبباً مباشراً لنا فى الدخول فى حرب ١٩٥٦م .. لقد كان ناصر مناوراً عميق الأغوار ، من الصعب أن تعرف ماذا يريد وخاصة عندما يبدأ المناورة .. لقد كنت أنا ومساعدى فى الموساد نقضى الساعات الطويلة نضع مئات الاحتمالات للتنبؤ بما فى ذهن هذا الرجل ، لوضع تقديرات لردود أفعاله .. وفى الكثير من الأحيان ما كنا نفشل فى ذلك .. لقد كان الرجل أخطر ما واجهت إسرائيل .. أقولها بالصدق الذى لا يغمط هذا الرجل حقه فى امتلاك قدرات خاصة حتى وإن كانت قد مثلت لنا صعوبات جمة (!!) .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

●● كونك توليت رئاسة الموساد لفترة قياسية لم يسجلها أحد حتى الآن ، وفى فترة حاسمة من تاريخ الشرق الأوسط .. لابد وأنك قد أحرزت انتصارات على المستوى المهنى ، وعانيت من مرارة الهزيمة مرات أخرى .. لنبدأ بالانتصارات .. فما هى أعظم انتصاراتك على المستوى المهنى قاطبة ؟

● **هارئيل : انتصارى فى قضية النازى السابق أدولف أيخمان ..**

●● نعم .. تلك القضية التى بدأها وشاركك فيها صائد النازيين النمساوى اليهودى الشهير « سيمون فيزنتال » تحت قيادتكم ؟

● **هارئيل : كلا .. أنا الآن أستطيع وبملء فمى التأكيد بأن سيمون فيزنتال مُدَّع ، وبأنه لم يشارك فى أى مرحلة من المراحل وبأى شكل من الأشكال فى قضية أيخمان وعملية اختطافه وإحضاره إلى إسرائيل !**

●● ولكن فيزنتال يؤكد عكس ذلك فى جميع المناسبات .. بالإضافة إلى التفاصيل الكثيرة التى نشرها هو عن دوره فى هذه العملية !!

● **هارئيل : نعم .. لقد ظل فيزنتال – ولا يزال – يتحدث للعالم أجمع عن هذا الدور ، إلا أن هذا الدور ليس حقيقياً ولكنه محض ادعاء .. لقد كانت إسرائيل هى الضالعة الوحيدة فى هذه العملية ممثلة فى فريق عمل من الموساد تحت قيادتى وبعض المساعدة من السلطات الألمانية .. لقد تلقينا المعلومة الأولى عن وجود أيخمان فى الأرجنتين من مسئول ألمانى كان يتولى قضايا النازيين من مجرمى الحرب .. كان هذا الرجل صاحب المعلومة الأولى لنا وكان مفادها أن أيخمان يعيش تحت اسم مستعار فى الأرجنتين .**

●● وماذا عن جانب القصة التى رواها فيزنتال ؟

● **هارئيل : فيزنتال رجل لطيف حاول بناء مستقبله على أساس مطاردة النازيين .. إلا أنه لم يفلح ، وعندما قرر إنهاء عمله هذا ووقفه جاءت عملية أيخمان الناجحة من جانبنا ، فقرر العودة مرة ثانية للمسرح**

بحر الكتب
bahr.alktob

باستغلال نجاح هذه العملية وحشر اسمه فيها و.. نجح فى استغلال العملية لصالحه مستغلاً عدم رغبة إسرائيل فى ذلك الوقت فى الحديث عن دور الموساد فى اختطاف أيخمان من الأرجنتين وخاصة أنه كانت هناك أزمة دولية أمام مجلس الأمن بسببها .

●● وماذا عن تلك المعلومات التى يروجها بشأن مقابلته مع جنرال سابق فى الجيش الألمانى الذى عمل فى الخمسينيات مستشاراً عسكرياً لرئيس الأرجنتين فى ذلك الوقت خوان بيرون وبأنه - الجنرال - التقى بالمصادفة مع أيخمان ، ومن أنه - فيزنتال - أبلغ الموساد بتلك المعلومات التى وصفوها فى ذلك الوقت بأنها هراء ومحض خيال .. قبل بدء العملية بسنوات ؟

● هارئيل : كل ما ساقه فيزنتال فى هذا الصدد ليس سوى محض أكاذيب خالصة .. لقد سألتنى عن عملياتى الناجحة ، وكانت إجابتى عليك أن عملية أيخمان كانت أهمها وأنجحها .. إلا أن هناك العديد من العمليات الأخرى الهامة ضد الدول العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة .. وقد ساعد على هذا بدون شك أننى - كما قلت أنت - توليت قيادة الموساد فى وقت حساس ولفترة قياسية .. إلا أننى أؤكد للجميع وخاصة للمصريين أنه بعد أن زال الإحساس بخطر مصر بالذات تحولت المشاعر للإيجابية نحو المصريين .. فلا أستطيع أن أصف مشاعرى أو مشاعر الإسرائيليين تجاههم إلا بالاحترام .. والتقدير .. والحب .. الإنسان المصرى الذى كنا نتخيلة عكس ما تحققنا منه بعد السلام إنسان على قدر عظيم من المشاعر الطيبة ، والحب ، والرغبة الصادقة فى مد جسور السلام .. لقد كنا نرغب فى الإحساس بنفس المشاعر تجاه السوريين .. ولكن للأسف نحن لا نشعر بذلك تجاههم ! والغريب أننا كنا نشعر بذلك بالرغم من أن المصريين كانوا الأكثر قدرة على تهديدنا !!

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

●● لقد ذكرتم أن هناك العديد من العمليات الأخرى الناجحة التى تمت أثناء عملك .. هل يدخل فى ذلك تلك القضية الخلافية التى تثار حتى الآن والتى تتمثل فى : هل تَلَقَّى القادة العسكريون اليهود أوامر صريحة من بن جوريون رئيس الوزراء الأسبق بشن مذابح ضد العرب لإرهابهم ولإجبارهم على الهرب من أراضيهم خلال حرب ١٩٤٨م ؟ .. هل ذلك يدخل ضمن إنجازاتك ؟

● **هارئيل : فى ذلك الوقت لم أكن فى موقع صياغة ووضع السياسات ولا إصدار الأوامر (!!) .**

●● أين كان موقعك فى ذلك الوقت ؟

● **هارئيل : كنت فى منطقة هرتزيليا وتل أبيب والرملة واللد والوسط العربى ..**

●● أين كان موقعك القيادى ؟

● **هارئيل : كنت جزءا هاماً من الجهاز الأمنى الذى عُرِف فيما بعد باسم الموساد ، إلا أن الجهاز « الموساد » لم ينشأ رسمياً إلا بعد قيام الدولة وبالتحديد فى عام ١٩٥٢م .. وبالنسبة لما أشرت له من ناحية أوامر القتل والإرهاب والطرد فإننى وبناء على وجودى فى المنطقة هذه بالتحديد أستطيع أن أقول إن العلاقات بين اليهود وكثير من العرب كانت طيبة للغاية وخاصة فى منطقة تل أبيب وبلدة « سيدنا على » ومنطقة الجليل .**

[أطرق أشهر رئيس للمخابرات فى تاريخ إسرائيل برهة وهو يتأمل كفه ، وذلك قبل أن يغمغم : دعنى أتذكر .. وأخيراً خرج عن تأمله قائلاً] :

● **عندما بدأت الأعمال القتالية قمنا بإبلاغ جيراننا من العرب بأنهم لن يمسهم أى ضرر إذا ما قرروا البقاء هنا فى أراضيهم .. لقد أعطيناهم وعدنا بأنه سيكون لهم الأمان والحماية وصَدَّقونا .. حتى جاءتهم الأوامر من المفتى الشيخ أمين الحسينى بضرورة ترك أراضيهم لإتاحة الفرصة**

بحر الكتب
bahr.alktob

للجيوش العربية للتدخل بحرية .. وقد تكرر الأمر فى منطقة حيفا حيث قام زعيم اليهود فى حيفا « أبا خوشيد » بمناشدة العرب البقاء .. إلا أنهم انصاعوا لأوامر قائدهم الشيخ أمين الحسينى ورحل عدد كبير منهم .. وبالطبع أنا لا أعلم كل ما حدث فى مناطق التجمع العربية الأخرى ، فقد يكون ما حدث مخالفاً لما حدث فى المناطق التى ذكرتها .. ولكن هذا ما حدث فى هذه المناطق التى كنت موجوداً بها .. وبناء على ذلك وعلى حد علمى لم تكن هناك أى ممارسات قتل ولا إرهاب لطرد العرب وإجبارهم على الهرب بعيداً عن أراضيهم بهدف تفريغ الأرض منهم .

●● لقد استمعت لتصريحات مختلفة تماماً للجنرال الراحل (ماتى بيليد) وهو كان أحد القادة العسكريين المسئولين عن جانب من القطاع الذى تحدثتم عنه .. لقد تحدث عن عمليات قتل جماعية واسعة النطاق ضد العرب فى العديد من مناطق تجمعهم ، بالإضافة إلى تلك المنطقة التى نجلس بها فى تلك اللحظة الآن ، وذلك بإرهابهم بالقصف العنيف والعشوائى .. فما تعليقك على هذا التناقض ؟!

● **هارئيل : أنا أعرف (بيليد) تماماً .. لقد تحول بيليد قبل وفاته بسنوات عديدة إلى عدو لإسرائيل وانحاز للعرب بعد اعتناقه الشيوعية (!!)**

●● وهل اعتناقه للشيوعية يجعله عدواً لإسرائيل ويدفعه للكذب والتزوير فى تاريخ إسرائيل فى مثل هذه القضية الهامة ؟

● **هارئيل : نعم .. لقد أصبح عدواً لإسرائيل (!!)**

●● وماذا عن السيد شوموئيل توليدانو المستشار الأسبق لرئيس الوزراء الإسرائيلى للشئون العربية الذى أكد لى ما قاله الجنرال بيليد مشيراً إلى أنه كانت هناك أوامر قيادية صريحة بضرورة إرهاب العرب وطردهم خارج أراضيهم أثناء قيام دولة إسرائيل .. لقد وصف لى توليدانو مشاهد القصف العشوائى للمناطق السكنية فى القرى والمدن العربية ، وبأنه هو وبعض زملائه كانوا يدخلون المنازل العربية فيجدون فى بعضها طعام الغداء معداً على

بحر الكتب
bahr.alktob

الموائد وهو مازال ساخناً .. أى أن هؤلاء المساكين قد فروا بسرعة شديدة بعد أن فوجئوا بالقصف اليهودى العنيف لهم .. فإذا ما صحت كلماتك بأنهم رحلوا بناء على أوامر القائد الراحل أمين الحسينى ، فإنه كان لديهم وقت كاف لإعداد أغراضهم ومتعلقاتهم .. هذا نص كلام السيد توليدانو .. ما تعليقك ؟

● هارئيل : توليدانو كان أحد رجالى المهمين فى الموساد ، حيث كان ضابطاً بارزاً .. وقد خدم معى فى حرب ١٩٤٨م وفى نفس موقعى .. ولا أدرى لماذا يقول مثل هذه التصريحات .. أرجو منك أن تتصل به تليفونياً وتطلب منه الحضور إلى منزلى هنا لكى نجلس جميعاً ولكى يكرر ما قاله لك فى هذا الشأن فى حضورى (!!) .

[اكتسى وجه هارئيل بحمرة شديدة من قوة الانفعال ، وهو يغمغم بكلمات لم أسمعها جيداً قبل أن يلتفت إلىّ قائلاً] :

● توليدانو هو واحد من أكفأ رجالى فى الموساد .. وهو يعرفنى جيداً .. ويعلم أساليبى بشكل كامل .. ويعلم أننى لا أجنح للعنف فى عملى (!!) ودعنى أقول لك بأننى أنا الذى كنت وراء رفع الحكم العسكرى الذى كان مفروضاً على العرب داخل إسرائيل ، وذلك عندما توليت منصب مستشار رئيس الوزراء الأسبق ليفى أشكول بعد استقالتى من رئاسة المخابرات .. فى ذلك الوقت كان توليدانو يشغل منصب مستشار رئيس الوزراء للشئون العربية وكان يعلم تماماً الجهود الكبيرة التى بذلتها فى هذا الشأن .. أرجو منك أن تذهب وتسأله عن ذلك ..

●● السؤال يتعلق بممارسات إسرائيلية كنت أنت ضالعاً فيها بشكل أو بآخر فى عام ١٩٤٨م ، فى حين أنك تجيب على ذلك بالحديث عن جهود بذلتها فى الستينيات .. ألا ترى أن هناك شقة زمنية واسعة تفصل بين الحدثين ، وأنه ليس هناك علاقة أساساً بين ما طرحه السيد توليدانو وبين ما تردده أنت الآن .. إن توليدانو يوجه لك أنت شخصياً اتهاماً محدداً ، بالإضافة إلى اتهامات عامة إلى قادة إسرائيل فى ذلك الوقت تلقى مزيداً من

بحر الكتب
bahr.alktob

الضوء على الأسلوب الذى كانت تتبعه إسرائيل من ممارسات مع العرب ؟

● **هارئيل : أنا لم أشارك فى أىّ مما ادعاه توليدانو ..**

●● ولكنه ذكرك تحديداً فى هذا المقام ، كما ذكر العديد من قادة إسرائيل وبأنكم شاركتم فيما حدث ، أو على الأقل شاهدتم آثاره ؟

● **هارئيل : تأكيدات توليدانو لا تهمنى فى قليل أو كثير .. وكما تقولون أنتم العرب : البينة على من ادعى .. إنه يدعى فعليه أن يثبت دعواه !! .**

●● هل تريد إثباتاً أكثر من شهادة شاهد عيان شارك بفاعلية فى هذه الأحداث ، بالإضافة إلى شهادة شريك آخر ألا وهو الجنرال ماتى بيليد ؟

● **هارئيل : لكلٌ الحق فى أن يقول رأيه .. إننا فى بلد حر (!!)**

●● ألا ترى أن هذا ليس رأياً .. وإنما هو وقائع تاريخية لا تحتمل الرأى أو التأويل ؟!

● **هارئيل : أنا فى غاية العجب .. لقد كان توليدانو من أخلص وأمهر رجالى فى الموساد .. كيف يقول مثل هذا الكلام .. إنه عجيب بالفعل .**

[قالها الرجل وكأنه لم يكن يوجه الحديث إلى ، وإنما يوجهه إلى نفسه ، أو إلى توليدانو الغائب الحاضر] .

●● تأكيدات السيد توليدانو .. يمكن أن تعنى أن تكون الأوامر بالقتل والطرد والإرهاب والترويع للمدنيين العرب قد صدرت من بن جوريون ، إلا أنك لم تبلغ بها .. وذلك لا يعنى بالضرورة أنها لم تصدر ؟!

● **هارئيل : أنا واثق مما قلته .. وأرجو منك الاتصال بالسيد توليدانو لكى يأتى إلى منزلى هنا لكى يكرر ما قاله فى مواجهتى (!!) زعماء العرب فى ذلك الوقت كانوا حريصين على إخلاء هذه المنطقة من إخوانهم من العرب لكى يستطيعوا التحرك أمام اليهود بحرية ..**

●● عندما سألت توليدانو : هل أنت مستعد لمواجهة هارئيل بمثل هذه

بحر الكتب
bahr.alktob

الاتهامات كان رده هكذا : بالطبع .. ولكننى لست على استعداد لمواجهته فى اجتماع خاص ولكن فى اجتماع عام ، أو فى مناظرة عامة .. هل أنت مستعد لمثل هذه المناظرة ؟

● **هارئيل** : ... ... (!!)

* * *

●● لقد ذكرت أنك أسست جهاز الأمن فى إسرائيل وأنك توليت رئاسة الجهازين الرئيسين (الموساد) و (الشين بيت) لمدة تزيد على ١٥ عاماً .. هل لك أن تشرح الحدود الفاصلة بين عمل الجهازين ؟

● **هارئيل : (الموساد) .. هو جهاز جمع معلومات فى المقام الأول وتنفيذ عمليات خارجية مخابراتية .. وهو لا يعمل داخل إسرائيل من ناحية النشاط .. أما (الشين بيت) فهو جهاز داخلى لا يخرج من إسرائيل إلا بحدود معينة وهو مَعْنِيٌّ بمكافحة التجسس والإرهاب .. الموساد بالرغم من أنه يهتم بجمع المعلومات عن الدول العربية ، إلا إنه لا يمارس نشاطه على العرب فى إسرائيل ولا فى الأراضى المحتلة .. فمسئولية الأمن تلك هى للشين بيت وحده .**

●● ما هى أغرب القضايا التى توليتها ؟

● **هارئيل : لم تكن غريبة فقط .. وإنما حازت اهتماماً شعبياً غير عادى .. كانت العملية عبارة عن البحث عن طفل يهودى اختطفه أخواله من اليهود المتدينين من والديه من إسرائيل وهربوه خارج البلاد وكان علىَّ أنا والموساد تولى عملية البحث عن هذا الطفل لمدة ثلاثة أشهر فى جميع أنحاء العالم حتى وجدناه فى منطقة بروكلين فى نيويورك وأعدناه إلى إسرائيل !!**

●● ألا ترى أنك بما تقوله هذا ترسم صورة أقرب للإنسانية لجهاز مخابرات اشتهر بالقسوة والشراسة والعنف ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● هارئيل : لعلك سمعت عن أساليب العنف التى تتبعها أجهزة المخابرات فى العديد من دول العالم خلال التحقيقات التى تجريها مع المتهمين أو المشتبه فيهم .. ولكن دعنى أؤكد لك أنه خلال رئاستى لجهاز الموساد لم أسمح لأى ضابط موساد بأن يقوم بأذى لأى متهم ، أو مشتبه فيه ، أو أن يستخدم العنف ضد أى عميل أو مندوب مخابرات دولة عربية وقع فى أيدينا .. وقد وقع فى أيدينا عملاء ومندوبون مخابرات لدول عربية من مصر وسوريا والعراق وحتى من اليهود أنفسهم .. وأتحدى أياً ممن وقعوا فى أيدينا أن يقول العكس .. لقد اعتمدت فقط على جلب المعلومات ومواجهتهم بها .

●● عندما تقول : أتحدى أن يقول أى مندوب مخابرات دولة عربية وقع فى أيدى الموساد بأنه مورست معه أساليب العنف .. عندما تقول ذلك .. أنت تعلم تماماً أن من تتحداهم هؤلاء لن يستطيعوا الحديث ، حيث أنه من النادر أن تعلن الدولة التى يتبعها هؤلاء العملاء والمندوبون عن سقوطهم ، كما أنه من النادر أيضاً أن تعلنوا أنتم ذلك أيضاً ؟! .

● أؤكد مرة ثانية أننى لم أمس مندوب مخابرات أى دولة عربية وقع فى يدى بأى سوء .

* * *

●● لقد تحدثت عن بعض انتصاراتك .. فماذا عن الهزائم ؟

● هارئيل : (... صمت ..)

●● هل يعتبر سقوط عميلكم (إيلى كوهين) الذى زرعتموه فى سوريا تحت اسم سورى مستعار فى الخمسينات ونجح فى الوصول إلى مستويات قيادية فى حزب البعث السورى .. هل يعتبر ذلك أحد هزائمكم ؟

●● هارئيل : أولاً : وصوله إلى أعلى المستويات فى سوريا يعد مبالغة .

بحر الكتب
bahr.alktob

ثانياً : أنا لم أكن مسئولاً عن تشغيل أو زرع إيلى كوهين وإنما كان جهاز المخابرات الحربية المعروف باسم « أمان » .

ثالثاً : إن إيلى كوهين نجح بالفعل فى إنجاز عمل مخابراتى جيد حيث نجح فى اختراق وجلب معلومات جيدة من داخل سوريا .

●● كونه لم يصل إلى أعلى المستويات فى سوريا ، كما أنه لم يكن عميلاً خطيراً كما تحاول إظهاره فإن ذلك لا يتفق مع اهتمامكم الشديد جداً بجعل الحصول على رفات جثته بعد كل هذه السنين كشرط من أهم شروطكم فى المفاوضات السورية !

● هارئيل : أولاً : الحصول على رفات جثة كوهين دافعه دينى يهودى فى المقام الأول .

ثانياً : إنه حتى وإن لم يكن قد نجح فى الوصول إلى أعلى المستويات القيادية فى سوريا فإن الالتزام الأخلاقى يحتم علينا ألا نتركه فى رقدته الأخيرة فى أرض غريبة .

●● كونه لم يكن عميلاً لك لا يعنى أنك لم تتأثر بشكل أو بآخر بسقوطه .. فقبل كل شىء فإن عمل الموساد والمخابرات الحربية يتكامل .. ماذا كان شعورك عندما سقط كوهين ؟

● هارئيل : السقوط هو جزء من مخاطر مهنة عميل المخابرات ونحن نحاول تقليل احتمالات السقوط .. ولكن إذا حدث وأصبح أمراً واقعاً فإننا نحاول وبشتى الطرق تأمين الإفراج عنه من خلال الاتصال المباشر أو غير المباشر مع الدولة التى سقط بها العميل .

●● ألم تكن مسئولاً عن تشغيل تلك المجموعة من اليهود الذين وقعوا فى الخمسينيات فى مصر فيما عرف باسم فضيحة لافون ؟

● هارئيل : نعم .. ولعل ما حدث عقب سقوط تلك المجموعة التى أنيط بها ما يمكن أن أصفه « بأعمال إرهابية » داخل مصر مازال يمثل لنا ذكرى سلبية بالنسبة للرئيس عبد الناصر .. حيث إننا حصلنا منه على

بحر الكتب
bahr.alktob

وعد بأنه لن يقوم بإعدام أفراد هذه المجموعة ، إلا أنه أعدم اثنين من المجموعة وأرسل الباقين إلى السجن لمدد تتراوح مابين ١٠ – ١٥ عاماً . وعلى ما أتذكر فإن باقى المجموعة كانوا عبارة عن فتاة يهودية وثلاثة شبان من بينهم (روبرت داسا) وهو يهودى من أصل مصرى .. وروبرت داسا الآن يعمل كصحفى فى التليفزيون العربى الإسرائيلى وهو من أشهرهم على الإطلاق .

●● وكيف خرج من مصر ؟

● هارئيل : لقد بادلناه بخمسة آلاف ضابط وعسكرى مصرى من الأسرى الذين وقعوا فى أيدينا خلال حرب عام ١٩٦٧م .. وهو إلى الآن يحمل ذكريات طيبة عن مصر ، كما أنه يزور مصر من وقت لآخر (!!) .

* * *

●● نلاحظ أنكم تتحدثون بشكل سلبى ومرير حول الزعيم الراحل عبد الناصر .. هناك معلومات تؤكد أنكم حاولتم اغتياله أكثر من مرة .. هل لديك ما تضيفه فى هذا الصدد ؟

● هارئيل : كلا .. لم نحاول ولن نحاول ذلك مع غيره .. حيث إننا ضد الإرهاب بالنسبة للأفراد .. أيضاً فأنت لا تعلم من هو الشخص الذى سيأتى بعد ذلك الذى تفكر فى اغتياله .. حيث إنه من الممكن أن يكون أسوأ بالنسبة لك من هذا الذى قمت باغتياله .. بالإضافة إلى ذلك فأنت لا تعلم إلى أين سينتهى مثل هذا الشخص الذى لا تقبله الآن .. ففى النهاية نجد أن عرفات على سبيل المثال هو الذى عقد السلام معنا (!!) .

●● بالنسبة إلى الخوف من احتمال أن يأتى شخص أكثر عداء لكم ممن ستقومون باغتياله .. أعتقد أن ذلك ينتفى فى حالة ما إذا كان الاغتيال جزءا من خطة أشمل تستهدف ترتيب وصول شخص آخر ذى مواصفات أكثر ملاءمة إلى الحكم أو السلطة .. هذه واحدة .. أما النقطة الثانية التى

بحر الكتب
bahr.alktob

أوردتموها عن احتمال أن يغير هذا الشخص - موضع الاغتيال - من توجهاته نحوكم فى إسرائيل لكى تكون أكثر إيجابية .. فهل كان فى حساباتكم ما يشير ولو بقدر ضئيل إلى مثل هذا التحول من جانب الرئيس الراحل عبد الناصر ؟!

● **هائيل : كلا .. وللأمانة التاريخية لم يكن هذا الرجل فى اعتقادى مستعداً فى أى وقت من الأوقات لكى يتقبل وجود إسرائيل فى المنطقة (!!) .**

●● النقطة الثالثة فى هذا الصدد هو من كلامكم عن امتناعكم عن اغتيال الأفراد يتعارض مع ما قمتم به من اغتيال للزعيمين الفلسطينيين أبو جهاد وصلاح خلف وغيرهما من الزعامات والقيادات العربية ؟!!

● **هائيل : هؤلاء قمنا باغتيالهم لأدوارهم القيادية والحركية التى قاموا من خلالها بتنفيذ عمليات ضدنا وضد إسرائيل .. مثل عمليات الاغتيال للمسئولين الفلسطينيين عن عملية قتل أفراد البعثة الرياضية الإسرائيلية فى دورة ميونيخ .**

●● ولكن هؤلاء القادة كانوا يعملون تحت إمرة الرئيس عرفات ، كما كانوا يتحركون بأوامره الشخصية .. فلماذا لم يتم اغتيال عرفات تطبيقاً لهذه المبدأ الذى وضعتموه لأنفسكم ؟ وهل كان ذلك فى الإطار الذى قلته لكم منذ لحظات من أن مثل هذه الاغتيالات يمكن أن تتم بهدف إفساح الطريق إلى قيادات بعينها إلى مسار معين (؟!!) .

● **هارئيل : المبدأ هو أنه ليس مسموحاً ولا معقولاً اغتيال قائد بهدف تغيير سياسات دولة .. ولكن يجب أن يأتى التغيير عن اقتناع من الطرف الآخر .**

●● معذرة .. ولكنه من الصعب جداً أن نتخيل وجود جانب أخلاقى ، ومعايير أخلاقية فى مثل هذا العمل السرى وخاصة ما يشاع ويذاع عنه .

بحر الكتب
bahr.alktob

● **هارئيل : لك أن تتخيل أنه طول فترة رئاستى لهذا الجهاز «الموساد» لم أصدر أمراً واحداً بقتل أى إنسان !!** .

معذرة مرة أخرى .. فما تقوله فى هذا الشأن يتعارض مع ما قلته منذ دقائق من أنك على سبيل المثال أدرت عملية (لافون) الإرهابية فى مصر فى الخمسينيات والتى كانت تقضى بتدبير انفجارات فى أماكن مزدحمة فى قلب القاهرة والإسكندرية .. الأمر الذى كان سيسفر بالتأكيد عن سقوط عشرات من القتلى والجرحى .. إن لم يكن المئات .. أم أن القتل والاغتيال فى نظركم هو إعطاء الأمر بقتل إنسان معين ؟! أم أنك تقصد بالاغتيال الأمر بقتل الزعماء فقط .. أما ما دون الزعماء فإنه ليس اغتيالاً ؟!

● **هارئيل : أنت تستخدم منطق ومعايير ليست من ضمن فنيات العمل المخابراتى (!!)** .

●● ولكنكم تحتفظون بإدارة خاصة تقوم بتنفيذ عمليات الاغتيال .. مثل تلك التى تحدثتم عنها من قبل !؟

● **هارئيل : ليس هذا بالضبط .. فهذه العمليات نقول إنها عمليات حربية عسكرية .. موجهة بهدف إرهاب من يقوم بإرهابنا (!!)** .

* * *

●● لم تذكر لنا حتى الآن الهزائم التى منيت بها أنت فى مجال التجسس ؟

● **هائيل : المسألة ليست شخصية .. فنحن كنا نقوم بإرسال شبكات تجسس فى مصر مثلاً ، فى حين كانت مصر ترصد بعض هذه الشبكات وتضربها .. كما كنا نعمل ذلك أيضاً مع المصريين ومع غيرهم .. المسألة كانت متبادلة ، وهى أشبه بمباراة مستمرة ، كل طرف يجمع نقاطاً فيها** .

●● من هى أكثر الدول التى لعبت فى هذا المجال ضدكم بذكاء وفاعلية ونجحت فى تسجيل نقاط جيدة ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● هارئيل : مصر بالطبع .. وخاصة فى الخمسينيات والستينيات .

●● ما رأيك فى العملية الناجحة التى تمثلت فى زرع مصرى « رفعت الجمال » تحت اسم « جاك بيتون » فى قلب إسرائيل ؟

● هارئيل : عندما بدأت هذه العملية ولفترة سنوات طويلة خلال تشغيلها كنت أنا فى الخدمة أترأس الموساد ، وقد علمت بهذه العملية وأنا فى الخدمة .. وأنا لا أستطيع مناقشة تفاصيل عملية تخابر حقيقية مثل عملية « جاك بيتون » .. ولكن إذا ما كان الرجل قد نجح فى الاختراق والعمل تحت ستار ناجح داخل إسرائيل فلماذا لا يشعر المصريون بالفخر والسعادة ؟! .. إنه حقكم فى أن تفخروا وتسعدوا بمثل هذا الإنجاز ضد إسرائيل .. وكما قلت لك .. هذه الأعمال تتم بشكل تبادلى .. فقد قمنا بذلك فى سوريا ومصر .. ونحن نقدر مثل هذه النجاحات من الناحية المهنية (!!) .

* * *

●● ماذا تعنى بكلمة تقدير نجاحات الخصم من الناحية المهنية ؟

● هارئيل : أعنى بذلك أننا يمكن أن نعجب بأسلوب إدارة الخصم لبعض العمليات الجاسوسية .. إذا ما كان الأسلوب ممتازاً وجيداً فإننا نعترف بامتياز الخصم ونقدره فيما بيننا .. وأنا واثق من أن الخصم إذا ما كشف عن عملية اختراق وتشغيل جيد لنا فإنه فى العديد من الأحيان يبدى التقدير والإعجاب (!!) فى النهاية فإنها مباراة كما قلت لك بين أجهزة « ذكاء » وهى الترجمة الحرفية لكلمة مخابرات .. وما يثير الإعجاب دائماً ما نطلق عليه اسم « مودو سوبير أندو » أى أسلوب إدارة وتشغيل العملية .

●● هل اللاعبون الرئيسيون فى أجهزة المخابرات فى المنطقة – عرب ويهود – يعرفون بعضهم البعض جيداً ؟ .. أو بمعنى آخر : هل كنت وأنت تعمل فى قضية ما .. سواء عندما كنت مديراً للمخابرات أو ما دون ذلك ..

بحر الكتب
bahr.alktob

كنت تعرف من يعمل ضدك على الجانب الآخر من الحدود .

● **هارئيل : ليس بالضرورة .. وإن كان يحدث فى بعض الأحيان .**

●● عندما سألتك عن عملية « جاك بيتون » الناجحة شعرت من الإجابة بأنك تقلل من أهميتها ، بالرغم من أن الرجل نجح فى تنمية علاقات وطيدة مع كبار مسئولى الحكومة الإسرائيلية أمثال : موشيه دايان وزير الدفاع ، وجولدا مائير رئيسة الوزراء وغيرهما !! ؟

● **كلا .. ولماذا تستصعب مثل هذا الإنجاز ؟! .. إذا كان الرجل قد نجح فى بناء ساتر جيد له ، فلماذا نستصعب مثل هذه العلاقات ؟! إنه نفس الشىء الذى حدث مع رجلنا (إيلى كوهين) فى سوريا .. ولذا دعنى أؤكد لجميع العرب أنه إذا ما صحت رواية جاك بيتون فإنه من حقكم أن تفخروا بما صنعه هذا الرجل بنا (!!)**

●● هل تقصد بذلك التشكيك فى صحة رواية جاك بيتون ؟

● **هارئيل : أنا لم أقل شيئاً من هذا .. أرجو ألا تحاول أن تلصق بى كلمات لم أقلها .. ولكنى فى النهاية سأقول لك ما قلته من قبل ، وهو أننى لا أستطيع أن أتكلم عن عمليات بعينها الآن ، أو على الأقل لابد من فترة معينة تمر قبل الحديث عنها (!!) . وحتى لا تفكر فى سؤالى مرة أخرى عن هذه القضية بالتحديد فإننى أقول لك : إن هذه القاعدة بعدم الحديث عن عمليات قبل فترة محددة تنسحب على قضايا قمتم بها أنتم داخل إسرائيل وأخرى قمنا بها نحن فى داخل بلادكم (!!)**

●● مع كل هذه التطورات الهائلة فى مجال التكنولوجيا - والتى بلا شك تستفيدون بها فى مجال التجسس والتخابر ليس فى إسرائيل فقط لكن فى جميع الدول الأخرى - لا شك أن التكنيك فى مجال هذا العمل يتغير بتغير التكنولوجيا .. فما هو التغيير الذى طرأ على تكنيك الموساد اليوم عنه فى السابق ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● هارئيل : دائماً ما أؤكد فى محاضراتى التى أقوم بإلقائها حتى يومنا هذا فى معهد المخابرات وغيره .. إنه على الرغم من أهمية التطور التكنولوجى فإن العنصر البشرى وتكتيكه وإبداعاته الشخصية فى هذا المجال من خلال الخبرات وتراكمها والمواقف العصيبة التى يمر بها هذا العنصر فى مجال التخابر سيبقى دائماً هو الأساس .

●● ماذا تعنى بالجانب البشرى ؟

● هارئيل : أعنى بذلك المهارة الشخصية والموهبة والمثابرة والجدية وتكريس النفس والتضحية بها والوطنية .. ولننظر إلى مندوبى المخابرات والجواسيس المصريين الذين دخلوا إسرائيل وعملوا بها ، فبالطبع كلهم كانوا يحملون قدراً كبيراً من الوطنية وحب الوطن « مصر » والرغبة فى خدمته والتضحية فى سبيله .. أيضاً هذا ينسحب على عملائنا الذين أرسلناهم لديكم ، وبالطبع هناك من يعملون بدافع الجشع وراء المال .. وبعض هؤلاء يتمتعون بمهارات عالية .. إلا أن هذه الفئة من العملاء لا يمكن أن نوكل إليهم بمهام خطيرة ، وذلك خوفاً من أن ينقلبوا وأن يبيعوا دولتهم أو الجانب الذى يقوم بتشغيلهم ، هؤلاء يتم استخدامهم عند مستوى محدد وفى إطار ثقة معينة ، وغالباً ما يوضعون تحت السيطرة قبل أن يبدأ تشغيلهم ، بمعنى أن تمسك عليهم بأشياء من الممكن أن تؤدى بهم أو بمستقبلهم فى البلد الهدف الذى يعملون به لكيلا يفكروا فى بيعنا .. وأعود فأقول : إننا فى هذا العمل لا نختلف فى الموساد عن أى جهاز مخابرات آخر ، فتلك قواعد عامة فى عملنا .

●● كثير مما نشره ضابط الموساد السابق (فيكتور أوستروفسكى) فى كتابه الشهير « عن طريق الخداع » يتحدث فيه عن جهاز الموساد كجهاز غير إنسانى .. بداخله كَمٌّ كبير من الفساد المهنى والأخلاقى .. وعن ممارسات مثل الاغتيال الذى قمت بتنفيها .. ما تعليقك على ذلك ؟

● هارئيل : (أوسترفيسكى) فُصِلَ من عمله بالموساد ، وكان

بحر الكتب
bahr.alktob

لا يزال ضابطاً تحت التمرين .. وكل ما جاء فى كتابه هذا محض كذب وخيال (!!) .

●● محض كذب وخيال بالرغم من تكشف العديد من التفاصيل التى تؤكد - على الأقل - صحة جانب من المعلومات التى وردت فى الكتاب ؟!

● **هارئيل : (... ... ... صمت) .**

●● لقد كرست جانباً كبيراً من حياتك العملية فى مطاردة النازيين والقبض عليهم ، وأبرز تلك العمليات هى عملية أيخمان .. فما هو شعورك الآن مع تجدد ظهور الاتجاهات اليمينية الفاشية النازية الجديدة فى أوروبا وخاصة فى ألمانيا والنمسا .. ألا تشعر بالقلق إزاء تلك الموجة المعادية للسامية ضد اليهود ؟

● **هارئيل : بالطبع .. إن المرء ليشعر بالحزن والأسى والقلق الشديد إزاء تلك الموجة الجديدة من المعاداة للسامية .. ومما يؤسف له أن السلطات هناك تتقاعس عن مواجهة مثل هذه الحركات المتجددة .. للأسف فإن الحكومة الألمانية لا تسعى لمواجهة فعالة فى هذا الشأن .. ويبدو أن الإنسان لن يتعلم من أخطاء الماضى ولا التاريخ أبداً .**

●● ألا تشعر بعد كل ما فعلته فى هذا المضمار ، بأنك فشلت ، وبأن هناك خللاً ما يجعل هؤلاء يعادونكم بهذا الشكل العنصرى ، الأمر الذى ينتفى من الصراع العربى الإسرائيلى والذى يدور فى معظمه على حقوق الأرض وحقوق الإنسان ؟

● **هارئيل : ما يحدث يجعلنى أشعر بالإحباط وليس الفشل .. أنا لم أفشل فى تعقب النازيين ، ولكن على الأقل الجهود لم تردع هذه الاتجاهات نهائياً ..**

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

الجزء الثالث

مطاردة .. كلب صيد !!!

« إذا لم تؤمن بالمعجزات
فأنت لست واقعياً !! »

بن جوريون
أول رئيس وزراء لإسرائيل

بحر الكتب
bahr.alktob

صائد النازيين « شيمون فيزنتال »

بحر الكتب
bahr.alktob

الفصل الأول

السينما .. والجاسوسية

« أنا لا أغلق ملف نازى ميت
حتى أنبش قبره بنفسى !!! »

سيمون فيزنتال

فى مقابلة مع المؤلف

التسامح .. صفة محمودة فى الإنسان وخاصة إذا ما كان التسامح مقروناً بالعفو والنسيان .. والعفو هو قمة الإيمان بالله وعدالته .. لا سيما إذا جاء عند المقدرة .. أما النسيان فهو نعمة إلهية للإنسان يداوى بها جراحه وآلامه .. ولكن هناك من يأبون أن يتمتعوا بهذه النعمة الإلهية ..

اليهود .. يطالبون العالم بأن يُنْعَمَ بالنسيان لما فعلوه بالعرب فى دير ياسين .. وكفر قاسم .. وصبرا وشاتيلا .. وغيرها من المذابح .. فى حين أنهم لا ينسون ما يرددونه بأن النازيين قد فعلوه بهم خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

على مدار ساعات طويلة من الأحاديث مع كل من رَجُلَى المخابرات الإسرائيلية « الموساد » شوموئيل توليدانو ، وإيتسر هارئيل .. تردد اسم سيمون فيزنتال بصفته أحد أشهر وأقدر صائدى النازيين فى العالم ، وأطولهم باعاً وتمويلاً ونفوذاً فى العالم .

كان علىّ أن أحاول جمع أكبر قدرٍ من المعلومات عن هذا الرجل ، سواء من مصادر حية سعيت لمقابلتها ، أو من خلال مصادر ميتة .. أى من خلال ما كُتِبَ عن الرجل .. أثناء سعيي هذا حصلتُ على معلومات تؤكد أن الرجل يستغل مركزه ذا الـ ٢٦ فرعاً فى مختلف أنحاء العالم فى تنفيذ مهام أخرى غير مطاردة النازيين والقبض عليهم .. وهو الشىء الذى يقول إنه هدفه الأول .

بحر الكتب
bahr.alktob

اكتشفت أن هذا المركز يستخدم كمحطة غير رسمية للتخابر على العديد من الدول العربية والإسلامية .. ولعل أهمية هذا الدور الذى يلعبه هذا المركز تكمن فى كونه مؤسسة غير رسمية ، وبالتالى فإن القيود التى توضع فى طريقه ليست بقوة القيود التى تُفْرَضُ على عمل المؤسسات الرسمية !!

كان علىَّ أن أسعى إلى مقابلة الرجل ، ومحاولة مواجهته بما توافر لى من معلومات ؛ فكانت الرحلة إلى العاصمة النمساوية « فيينا » فى شتاء عام ١٩٩٣م ، إلا أن تلك المحاولة الأولى أثبتت لى أن مقابلة هذا الرجل يمكن أن تصبح أصعب من مقابلة رئيس الدولة !!

بقيت فى فيينا لمدة ١٠ أيام أحاول ذلك مراراً وتكراراً ، إلا أن جميع محاولاتى باءت بالفشل .. وعدت ثانية إلى مصر .. غير أن فكرة مواجهة الرجل لم تخرج من رأسى ، فكانت المحاولة الثانية فى شتاء عام ١٩٩٥م ، ولكنها لم تكن أفضل من سابقتها .. وبالرغم من ذلك فإننى قررت أن أبذل محاولة ثالثة بعد الثانية بشهر ونصف الشهر .. وقد كان بالفعل .

فى صباح ذلك اليوم جلست فى سيارة صديق عمرى الأستاذ محمد عبد البديع .. وبرودة ما دون الصفر تكاد تجمِّد الدم فى أطرافنا .. بدأ صديقى هذا فى سرد آخر المعلومات التى استطاع أن يجمعها عن فيزنتال والتى كنت قد طلبت منه أن يجمعها لى فى الفترة التى فصلت بين محاولتى الثانية لمقابلة الرجل والمحاولة الثالثة .. جلسنا فى السيارة – التى تعطل جهاز التكييف بها ونحن نكاد نتحول إلى اللون الأزرق من شدة البرودة – على مقربة من مقر مركز فيزنتال لكى يستكمل لى المعلومات التى جمعها .. قبل أن أترك السيارة التفت إلىَّ صديقى هذا الذى يعيش منذ سنوات طويلة فى النمسا ويحمل جنسيتها قائلاً : لا تغب عنى كثيراً ، وإلا فسوف أبلغ السلطات النمساوية بأن فيزنتال قد وضعك على قائمة المطلوب رؤوسهم .. وضحكنا !!

سيمون فيزنتال يعد بحق واحداً من أكثر اليهود تشدداً فى عدم التسامح ورفض النسيان !!

بحر الكتب
bahr.alktob

فيزنتال هذا يلقب بالعديد من الألقاب أهمها : « صائد النازيين » و « كلب الصيد » .. الرجل بولندى الأصل .. نمساوى بالتجنس والإقامة .. يهودى الديانة .. إسرائيلى الهوية .

اعتُقِل الرجل على أيدى النازى فى عام ١٩٤٢م ، وبقى فى معسكرات الاعتقال الألمانية فى بولندا والنمسا حتى نهاية الحرب .. وخرج الرجل وهو يحمل حقد العالم كله على الألمان بصفة عامة .. والنازيين والعرب بصفة خاصة !! .

وفى سبيل ذلك أنشأ الرجل مركزاً يحمل اسم « **مركز توثيق جرائم الحرب** » وأوقفه على مهمتين رئيسيتين هما :

الأولى : تعقب النازيين الهاربين فى أصقاع الأرض ، فبالرغم من ملايين جرائم الحرب البشعة التى وقعت منذ أن وضعت الحرب العالمية أوزارها عام ١٩٤٥م ضد شعوب وأجناس لا تمت لليهود بصلة .. فإن جرائم الحرب فى مركز فيزنتال ظلت هى جرائم النازية ضد اليهود فقط ، والأخطار هى الموجهة إلى إسرائيل فقط ومن جانب العرب فحسب !

أيضاً فإن جرائم قتل وذبح الأسرى من الضباط والجنود المصريين خلال حربى ١٩٥٦م ، ١٩٦٧م يجب أن تتوارى أمام من قُتِلُوا من اليهود فى مختلف العصور وخاصة على أيدى الحكم النازى الألمانى .. آلاف من الأسرى الذين غُدِرَ بهم فى صحراء سيناء .. لا يرقون إلى مستوى إنسانية هؤلاء اليهود الذين قامت الدنيا لهم ولم تقعد حتى الآن ، والذين أقيمت لهم النُّصُبُ التذكارية فى جميع أنحاء أوروبا وأمريكا ، كما أقيم لهم نصب « ياد فاشيم » فى القدس الشريف .

الثانية : التجسس على الدول العربية من خلال آلاف من عملائه المبعثرين فى أنحاء المعمورة .

جلستُ إلى فيزنتال ساعات طويلة لم أكن أتوقع أن أحصل عليها .. فتح فيزنتال ملفاته السرية خلالها .. لقد تحدث الرجل - الذى تخطى الثمانين من عمره - عن المركز الذى أقامه وعن فروعه .. واضطر فى بعض

بحر الكتب
bahr.alktob

اللحظات أن يعترف بأن بعض فروع المركز لا يقتصر نشاطها على تعقب النازيين السابقين !!

اليوم .. ونحن نفتح هذا الملف الضخم الذى يعج بالأسرار الرهيبة فإننا نفتحه ونحن مزودون بالعديد من الملفات المضادة لعلماء ومؤرخين مؤهلين وذائعى الصيت ممن دعَّموا مواقفهم بالحجج والبراهين لمقارعة صائد النازيين الحجة فى دعاويه عن جريمة المحرقة [الهلوكوست] التى نصبتها النازية لليهود .. بالإضافة إلى معلومات حول أنشطة المركز التى لا تمت لمطاردة النازيين بصلة (!!)

أيضاً فى سعينا لتقديم الحقيقة للقارئ نحاول نفى وقوع اضطهادات ضد اليهود على أيدى النازية خلال الحرب العالمية الثانية .. وإنما نحن نسعى لإثبات أن العديد مما يتردد عن المذابح الجماعية ضد اليهود فى تلك الفترة ليست سوى مبالغة فجة ، وبأن الاضطهادات مثلما استهدفت اليهود استهدفت أيضاً أجناساً أخرى مثل الغجر والسود والبولنديين ومسلمى البلقان وغيرهم من الشعوب التى عانت أضعاف معاناة اليهود ، غير أنها لم تبتز العالم بأسره نفسياً ومادياً طوال نصف قرن من الزمان ويبدو – والله أعلم – أنها ستستمر على ذلك إلى أن يأذن الله .

اكتفت هذه الشعوب والأعراق بالهزيمة التى نزلت بالنظام الهتلرى وبانتحار هتلر وعدد من كبار معاونيه ، وبإلقاء القبض على الغالبية العظمى من كبار مسئولى النازية ومحاكمتهم فى « محكمة نورمبرج » الشهيرة والتى أسفرت عن إعدام أغلبهم والسجن للبعض الآخر مدى الحياة .

رحلتنا تلك – داخل أضابير صائد النازيين وعروجنا على أحد كبار المسئولين السابقين فى إدارة تعقب النازيين فى المخابرات الإسرائيلية للتحقق من بعض المعلومات عن هؤلاء النازيين – رحلتنا تلك سنحاول من خلالها تحقيق أربعة أهداف رئيسية هى :

أولاً : فتح ملفات مجهولة عن أهم عمليات تصيد النازيين السابقين .. بعض من هذه الملفات يُكشَفُ الغطاء عنها لأول مرة .. وأخرى لم

بحر الكتب
bahr.alktob

تُذَع عنها سوى معلومات منقوصة أو مشوهة !!

ثانياً : الكشف عن تلك الشبكة الهائلة فى الحجم والامتداد عبر أنحاء العالم من العملاء اليهود ، والمتعاطفين معهم ، والذين يقومون بأعمال التبليغ والمراقبة .. بل وفى بعض الأحيان تسهيل عمليات الاختطاف لصالح صائد النازيين .

ثالثاً : تبيان حجم المبالغة فى الدعاية اليهودية لجرائم النازية واستغلالهم ذلك فى ابتزاز التعويضات الهائلة من ألمانيا بصفة خاصة .. والغرب بصفة عامة .. تلك المساعدات التى اتخذت شكل مساعدات اقتصادية وأخرى سياسية ، وكانت أولاها وأهمها المساعدة فى إقامة الدولة والاعتراف بها ، ثم توفير الحماية لها .. ونحن فى هذا المقام لسنا معادين للسامية .. فالعرب ساميون أيضاً .. كما لسنا بصدد الدعوة لإسقاط جرائم الحرب .. فنحن نطالب بها ضد مجرمى الصرب والكروات واليهود ، وحتى العرب أنفسهم ممن يرتكبون مثل هذه الجرائم .. نحن بمعنى آخر مع كتابة صحيحة وأمينة وجديدة للتاريخ ..

رابعاً الكشف عن الأنشطة غير المعلنة لهذا المركز بعيداً عن أنشطة تعقب النازيين السابقين واللاحقين .. هذه الأنشطة تتمثل فى التجسس على الدول العربية والإسلامية لحساب إسرائيل والغرب .. ولعل النموذج الإيرانى الذى سنورده فى هذا المقام .. بالإضافة إلى نماذج أخرى مثل دور هذا الرجل فى وقف أول برنامج ضخم وطموح لتطوير الصواريخ الاستراتيجية والتكتيكية ذاتية الدفع فى الشرق الأوسط والذى بدأته مصر كرائدة فى منتصف الخمسينيات ، سوف يوضح للقارئ مدى خطورة ونفوذ هذا الرجل .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

المؤلف مع صائد النازيين « سيمون فيزنتال » بمكتبه فى فيينا

بحر الكتب
bahr.alktob

ملف أوديسا

كانت بداية اللقاء هذا السؤال عن أغرب ملف لعملية اصطياد للنازيين في المكتبة السرية لصائد النازيين (سيمون فيزنتال) !!

اضطجع الرجل في مقعده الوثير بعد أن سحب ملفاً ضخماً كتب عليه بأحرف لاتينية بارزة "odessa file" أي ملف أوديسا .

و .. بدأ صائد النازيين الحديث قائلاً :

« أوديسا » تعني في جميع اللغات الأوروبية « الرحلة » .. وهذا هو المعنى الظاهري لتلك المنظمة التي أسسها تحت الأرض عدد من مسئولي الحكومة النازية الذين نجحوا في الإفلات من قبضة الحلفاء المنتصرين بعد الحرب العالمية الثانية ، وقد تأسست هذه المنظمة في عام ١٩٤٦م تحت اسم orgnization dor ohemaligon SS angehorigon وترجمتها العربية : « منظمة الأعضاء السابقين في قوات العاصفة » تلك المنظمة التي تمتعت بقدر كبير من الإمكانات المادية التي رصدها مسئولو النازية قبل الهزيمة في حسابات سرية خارج ألمانيا وخاصة في سويسرا وهي تلك الحسابات التي موّلت عمليات تهريب العديد من النازيين لخارج أوروبا وخاصة إلى أمريكا الجنوبية .. واختصاراً لهذا الاسم الطويل تم الاكتفاء بالإشارة له بالأحرف الأولى من كل كلمة فجاءت : أوديسا ..أي الرحلة .

في إحدى ليالي عام ١٩٧٢م جاءني السيد (فريدريك فورثايث) كاتب السيناريو السينمائي الأمريكي الشهير ومعه خطاب توصية من صديق قديم هو المخرج الأمريكي العالمي (فريد زينمان) يطلب مني فيه أن أساعد حامل الخطاب في إعادة كتابة فصل من كتاب صدر لي تحت عنوان « مجرمون بيننا » .. تحديداً كان كاتب السيناريو يريد مني أن أساعده في إعادة كتابة سيناريو على أساس فصل في كتابي وهو فصل « منظمة

بحر الكتب
bahr.alktob

أوديسا » .. تمهيداً لتحويله إلى فيلم سينمائى .. المساعدة تمثلت فى إمداد الكاتب بالمادة التاريخية للأحداث التاريخية التى دارت فى نهاية الحرب العالمية الثانية وفى السنوات التى بعدها والمتعلقة بتلك المنظمة .. كانت فكرة الكاتب تدور حول أحد مجرمى النازية وهروبه عبر هذه المنظمة ، الأمر الذى كان يتطابق مع إحدى القضايا العويصة التى كنت أتابعها وهى قضية النازى الهارب (إدوارد روتشمان) .

روتشمان هذا كان يشغل منصب نائب قائد معسكرات الاعتقال النازية فى جمهورية لاتفيا ، حيث شهد العديدُ من اليهود الذين خرجوا من المعسكر فى نهاية الحرب بمسئوليته عن إرسال مئات اليهود إلى غرف الغاز .. ومثل العديد من مسئولى النازية وعقب انتهاء الحرب وتحديداً فى عام ١٩٤٦م ظهرت شائعة بأنه قُتِل ، إلا أن ذلك الخبر لم يكن مؤكداً .

وبالفعل فإنه ظهر مرة ثانية فى عام ١٩٤٧م فى مسقط رأسه وهى مدينة جراتس فى جنوب النمسا ، حيث عاد لكى يعيش مع عائلته ، وذلك قبل أن يُقْبَضَ عليه ولكن ليس بتهمة جرائم الحرب وإنما بتهمة انضمامه إلى منظمة للنازية الجديدة .

ويستطرد صائد النازيين قائلاً :

عقب القبض على روتشمان بلغنى الخبر ، فأبلغت قوات الاحتلال الأمريكية التى كانت ترابط فى ذلك الوقت فى شمال النمسا ، التى أبلغت بدورها قوات الاحتلال البريطانية التى كانت ترابط فى الجنوب لكى تتسلم روتشمان من الشرطة النمساوية .. وقد كان .. حيث وُضِعَ تحت حراسة بريطانية فى القطار المتوجه إلى معسكر الاعتقال النازى « داخاو » الشهير فى ألمانيا ، حيث كانت تقام هناك فى ذلك الوقت محاكمات النازيين .

إلا أن النازى السابق نجح فى خداع الحراس البريطانيين وقفز من القطار واختفى عن الأنظار .. وعندما عُرِفَ أنه خرج من أوروبا مستقراً فى

بحر الكتب
bahr.alktob

الأرجنتين تحت اسم جديد هو فريدريكو فيجنر كان الرجل قد رحل مرة ثانية إلى البرازيل لكى تختفى آثاره تماماً .

نعود مرة ثانية إلى عام ١٩٧٢م .. فقد وافقت بعد تردد قصير فى مساعدة كاتب السيناريو الأمريكى « فورثايث » بشرط أن نقوم برسم ملامح الشخصية الرئيسية فى الفيلم لكى تتطابق مع حياة وظروف هروب روتشمان .. أيضاً فإننى قمت بزرع مشهد من بنات أفكارى فى السيناريو لكى يكون كقنبلة موقوتة تستهدف حرمان روتشمان أى تعاطف باقٍ يكنه له زملاؤه ورفاقه من النازيين السابقين .. المشهد جاء كالتالى :

أثناء انسحاب القوات الألمانية تحت وطأة الهزيمة ، يقوم روتشمان على الشاشة بإطلاق النار على زميل له من القوات الألمانية لكى يحتل مكانه على السفينة المزدحمة بالركاب ..

ذلك المشهد لم يكن يمتّ للواقع بصلة ، ولكنه كان واحداً من عدة قنابل موقوتة زرعتُها فى السيناريو على أمل !!

ولم يمض عامان حتى خرج العمل أولاً فى شكل « كتاب » نال صيتاً ذائعاً وتُرجِم إلى ١٤ لغة مختلفة ، ثم عُرِضَ الفيلم فى شهر أكتوبر عام ١٩٧٤م فى جميع أنحاء العالم ، حيث لعب دور النازى روتشمان الممثل العالمى (ماكسميليان شل) ولعب دورى أنا كصائد النازيين الممثل الإسرائيلى (شموئيل رودونسكى) .

وفى الشهور التى واكبت عرض الفيلم بدأت فى جنى الثمار ، فقد تلقيت مئات من المكالمات التليفونية من أنحاء متفرقة من العالم تؤكد ظهور روتشمان هنا وهناك .. وبالطبع فإن أغلبها لم يكن صحيحاً وخاصة أن غالبية البلاغات ربطت بين مواصفات الممثل العالمى (ماكسميليان شل) و (روتشمان) بالرغم من الاختلافات الكثيرة بينهما فى الحقيقة .

إلا أن الأثر الأهم للفيلم وبشكل أخص ذلك المشهد الخيالى المدسوس الذى صورنا فيه روتشمان وهو يقتل أحد زملائه من النازي ، بدأ فى الظهور والتأثير على الجاليات الألمانية النازية والمتعاطفة مع النازية – كجزء من

بحر الكتب
bahr.alktob

التراث الألمانى من وجهة نظرهم – فى أمريكا اللاتينية .. فقد أبلغتنى العديد من المصادر الألمانية هناك أن الدوائر النازية هناك بدأت فى الحنق على روتشمان والشك فيما إذا كان المشهد فى الفيلم صحيحاً وواقعياً .. وهذا بالضبط ما كنا نريده .

فى بداية شهر يوليو عام ١٩٧٧م قامت الشرطة الأرجنتينية بإلقاء القبض على روتشمان بناء على بلاغ من مجهول ضده .. وللمرة الأولى توافق الأرجنتين على طلب رسمى من ألمانيا الغربية – فى ذلك الوقت – على تسليم روتشمان ليحاكم أمام محكمة ألمانية إلا أن ذلك الموقف لم يستمر سوى ثلاثة أيام أمام نفوذ الجالية الألمانية فى « بيونس أيرس » التى خشى العديد من أفرادها من تلك السابقة الخطيرة .

وفى غضون أيام خرج روتشمان من السجن لكى يغادر البلاد إلى باراجواى حيث استقر فى فندق متواضع فى العاصمة أوسونسيون متخفياً حتى عن زملاء الماضى الذين أصبح يخشاهم .. وعلمت من مصدر – عاملة يهودية فى الفندق – أن الرجل انعزل عن العالم ، فأصبح رهين غرفته التى تحولت إلى عالمه الخاص ، وأنه لا ينام الليل ، وكل ما يفعله هو التجول داخل الغرفة ذهاباً وإياباً والتدخين بشراهة .. وفى نهاية شهر يوليو من نفس العام وأثناء استعداده للرحيل إلى مكان آخر مجهول فاجأته أزمة قلبية حادة أودت بحياته .

عقب الوفاة .. كلفت اثنين من الصحفيين فى باراجواى بإحضار صورة للمتوفى وصورة من بصمات أصابعه التى تطابقت مع البصمات فى ملف روتشمان .

انتهى فيزنتال من روايته والتفت إلىّ قائلاً :

« هكذا ترى أننى لم أعدم وسيلة فى السعى الدائب لمطاردة النازيين .. حتى وإن كان من خلال الأفلام السينمائية .. ولكن ليست كل القضايا

بحر الكتب
bahr.alktob

التى أتابعها فى مثل هذا التوفيق الذى صادفته فى قضية روتشمان .. فهناك العديد من الملفات المفتوحة منذ عام ١٩٤٦م ولم تغلق حتى الآن !!

ويتابع الرجل حديثه بنشوة غريبة :

إننى لا أغلق ملفاً حتى أتأكد من صحة شخصية المقبوض عليه أو صحة موته .

●● وسألت الرجل : كيف ؟

● فقال : لدى خبراء فى الطب الشرعى هنا فى المركز وفى العديد من أنحاء العالم .. فإذا ما خامرنا الشك فى هوية رفات أو جثمان الميت ومدى تطابقها مع الملف الطبى للنازى الهارب .. فإن ملفه يظل مفتوحاً لمزيد من البحث والتقصى !!

اللقاء مع فيزنتال ما زال مفتوحاً ..

وعندما ذكرت اسماً هو (ألويس برونر) لمعت عينا الرجل بشدة ولعبت عضلات وجهه فى توتر وهو يصيح بى :

الذراع اليمنى للشيطان ؟!!

هكذا يُلَقَّبُ فيزنتال ذلك الرجل الذى ادعى صائد النازيين بأنه يعيش فى سوريا بعد هروبه من أوروبا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية .. ولعل الدعاية التى أطلقها فيزنتال والتضليل الإعلامى الذى مارسته وسائل الإعلام الغربية اليهودية المسيطرة كانت أحد الأسباب الرئيسية فى دفع أمريكا لوضع سوريا ضمن الدول التى توصف برعاية الإرهاب .. كيف ؟ .. ولماذا ؟ .. القصة لم تنته بعد !!

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

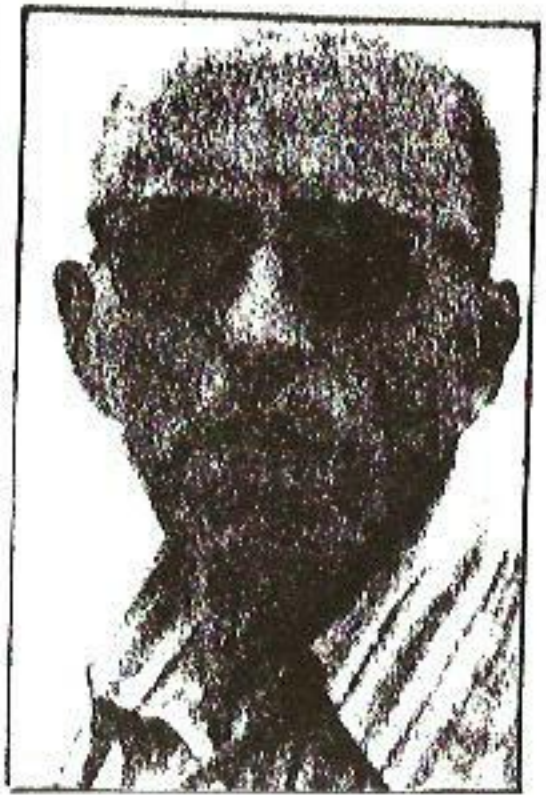

ثلاث صور نادرة للنازى الراحل « ألويس برونر » من اليسار قبل الحرب العالمية الثانية .. وفى الوسط أثناء الحرب .. وإلى اليمين فى دمشق حسب رواية صائد النازيين « سيمون فيزنتال »

بحر الكتب
bahralktob

الفصل الثانى

« ميليشيات يهوذا » .. تطارد سوريا !!

فيزنتال استغل قضية برونر لوضع سوريا
على قائمـة الدول الراعيـة للإرهـــاب

بحر الكتب
bahr.alktob

أحد أبرز زعماء النازية بالرى العسكرى أثناء توليه قيادة الجستابو [المخابرات الألمانية] فى فرنسا وقد ظل الرجل مطارداً حتى توفى عام ١٩٩١م فى إحدى مستشفيات فرنسا عن عمر يناهز السبعين عاماً

أحدث صورة نشرها صائد النازيين وهى لأنطون برجر أحد أبرز من تولوا مسئولية السلطات النازية فى اليونان خلال الحرب العالمية الثانية والذى ما زال فيزنتال يطارده .. ويرجع تاريخ هذه الصورة المنشورة إلى فترة الحرب العالمية الثانية

بحر الكتب
bahr.alktob

منذ عدة شهور دقت أجراس وكالتى الأنباء (أسوشيوتد برس) و(رويتر) معلنتين عن بث خبر عاجل وهام .. كان الخبر مفاده أن مصادر فى إسرائيل ذكرت أن النازى السابق الهارب (ألويس برونر) المطلوب القبض عليه فى ألمانيا والنمسا وفرنسا وأمريكا قد نجح مؤخراً فى التسلل من مقر إقامته فى سوريا إلى مصر، وأنه أجرى عملية تجميل جراحية غيرت من ملامح وجهه، وأنه توجه إلى السفارة النمساوية فى القاهرة .. حيث استخرج جواز سفر نمساوياً جديداً باسم جديد .. وأنه يعيش حالياً فى مكان ما بالقاهرة .. ثم أرفقت الوكالتان الخبر بصورة فوتوغرافية للمدعو برونر، وهى صورة له وهو شاب يخدم فى جهاز البوليس السرى الألمانى النازى أثناء الحرب وقد كُتِبَ بأسفلها تعليق تضمن إشارات موجزة عن جرائمه المزعومة فى حق اليهود أثناء الحرب .. انتهى الخبر !!

الخبر بدا غريباً فى مضمونه وشكله وتوقيته .. فبرغم صحة ما تردده الدوائر اليهودية من أن المدعو (برونر) اتخذ من سوريا مرفأ آمناً منذ خمسينيات هذا القرن .. فلماذا يترك الرجل - وبعد أن تجاوز السبعين من عمره - هذا الملجأ إلى مكان آخر ؟!

ولماذا يترك ملجأ آمناً - من الصعب نسبياً وصول اليهود إليه - ويتوجه إلى مكان آخر مفتوح أمام اليهود بشكل أكثر نسبية ؟! ولماذا إعلان مثل هذا الخبر الصعب التصديق فى ذلك الوقت بالذات وهو الذى كانت تتعرض فيه مصر لحملة عدائية ضارية من جانب وسائل الإعلام الدولية بتضخيم حجم الإرهاب، والحديث عن السقوط الوشيك للنظام، ومثل هذه الأوهام ؟!

عشرات الأسئلة التى تنفى إجاباتها احتمالية مثل هذا الخبر الغريب المشكوك فيه .. وبالرغم من ذلك ظهرت صحف ومجلات الغرب فى اليوم التالى والأيام التالية وهى تحمل على صفحاتها صورة كبيرة للمدعو (برونر) وتحتها الخبر الغريب !!

بحر الكتب
bahr.alktob

فمن هو ذلك « البرونر » ؟!! وما هى قصته ؟!! وما المقصود بحشر اسم مصر فى هذه الأوهام والخيالات ؟!

سيمون فيزنتال .. الملقب بصائد النازيين .. أو كلب الصيد يُعَدُّ بالنسبة للدوائر الغربية والإسرائيلية المعنية بشئون النازية المرجع الأهم والأكثر توثيقاً فى كل كبيرة وصغيرة فيما يخص النازيين السابقين .. سواء كانوا أحياء غير هاربين أو أحياء هاربين أو ميتين !!

وقد كان برونر هدفاً لأسئلتى عندما التقيت صائد النازيين فى مقره الحصين فى فيينا .. فقد كان السؤال : ما هى قصة برونر ؟

انسابت كلمات « فيزنتال » بغزارة وكأنه يعرف الرجل معرفة شخصية بالرغم من عدم لقائهما من قبل واقتصار العلاقة على مطاردة شرسة استمرت ما يزيد على ٤٤ عاماً .. وسوف نُسْقِطُ الكثير من العبارات الوصفية والتفاصيل الدقيقة التى ذكرها فيزنتال عن برونر والتى استغرقت ما يزيد على ٤٠ دقيقة كاملة .

وسوف يلاحظ القارئ على الفور الحقد الشديد ضد الرجل .. والمفاجأة هى أن هذا الحقد الهائل ليس لحجم ما يزعمه عن جرائم الرجل فى حق اليهود .. وإنما لأن الرجل نجح فى تجنيد آلاف اليهود فى جميع أنحاء أوروبا للإيقاع بإخوانهم من اليهود مقابل رواتب شهرية وجوائز رمزية !

لقد نجح برونر فى إخراج أسوأ ما فى النفس البشرية لدى الآلاف المؤلفة من اليهود تجاه إخوانهم اليهود مقابل بضع دريهمات محدودة .

ولعل أفضل تسمية لهؤلاء اليهود هى تسميتهم : (كتائب يهوذا) .. وهو الاسم الذى أطلقه برونر على أعوانه من المخبرين اليهود فى طول وعرض أوروبا . وما نجح فى فعله برونر من وضع صورة مكبرة وحديثة ومتطورة « ليهوذا » السيد المسيح متمثلاً فى الآلاف من اليهود ممن باعوا إخوانهم

بحر الكتب
bahr.alktob

مقابل المال .. الأمر الذى لا يستطيع اليهود حتى الآن نسيانه لهذا الرجل !! فقد أثبت برونر - بدون أن يدرى - قول الله تعالى : ﴿ .. **بأسهم بينهم شديد** ... ﴾ صدق الله العظيم .

تحدث فيزنتال عن برونر فقال :

من بين جميع مسئولى النازية السابقين فإن برونر يُعَدُّ أخطرهم .. ولا يساويه فى مستوى الخطورة سوى أدولف أيخمان .. وإذا اعتبرنا أيخمان هو الرأس المدبر لخطة إبادة اليهود فإن برونر هو ساعده الأيمن كما كان الاثنان يحبان أن يصفا نفسيهما .

ولد برونر عام ١٩١٢م ، وبالرغم من اضطلاعه فيما بعد بتنفيذ خطط تصفية اليهود ، إلا أنه كان أقرب إلى شكل اليهود الشرقيين بالذات .. وقد شاع عنه ذلك طوال حياته ، وبعد دراسة قصيرة فى كلية الشرطة فى مدينة جراتز فى جنوب النمسا انضم إلى الحزب النازى فى إقليم « ستايريا » وتم تصعيده فى غضون عام واحد وهو عام ١٩٣٣م إلى القيادة فى الحزب مع عدد من الأسماء التى لمعت فى سماء النازية فيما بعد مثل : هايدر [والد جورج هايدر زعيم الحزب اليمينى المتطرف فى النمسا الآن] .. أدولف أيخمان .. كارل ريدر [أدميرال البحر العبقرى فى سلاح البحرية الألمانية وواضع أسس حرب الغواصات الحديثة] .

وفى نفس العام رحل برونر إلى مدينة ميونيخ بألمانيا ، حيث التحق فيما عرِفَ بفرقة النمسا والتى كانت تُعِدُّ للاستيلاء على النمسا بقوة السلاح وضمها إلى امبراطورية الرايخ ، إلا أن النمسا فى ذلك الوقت لم تكن تحتاج لقوة السلاح لكى تتحقق « الأنشلوس » أى الوحدة باللغة الألمانية .. فعندما عبرت القوات الألمانية الحدود النمساوية فى ١١ مارس عام ١٩٣٨م كانت العقبة الوحيدة أمامها هى حشود البشر من النمساويين التى كانت ترتمى أمام القوات الألمانية مرحبة بها !!

فى بداية شهر أبريل - الشهر التالى للغزو - أنشأ أيخمان ومساعده

بحر الكتب
bahr.alktob

برونر ما عُرِفَ باسم « المكتب المركزى لتهجير اليهود » متخذين قصر عائلة روتشيلد الشهيرة مقراً للمكتب ، وقد شملت أنشطة المكتب : منح تأشيرات هجرة لليهود من النمسا ، ولمن ليس لديه مكان للذهاب إليه لم يكن أمامه سوى الترحيل الجماعى إلى بولندا ، حيث معسكرات الاعتقال .

ولنجاح الثنائى « أيخمان - برونر » .. فقد تم إنشاء مكتب مماثل فى براغ عاصمة تشيكوسلوفكيا - سابقاً - عقب دخول القوات النازية هذا البلد الذى يقع فى وسط أوروبا .

ثم كانت الطامة الكبرى بالنسبة لليهود - والتى كانت انتصاراً عظيماً لبرونر - فقد تفتق ذهنه عن فكرة تجنيد الآلاف من اليهود بالترغيب والترهيب وبضمان مرتبات عالية وحماية دائمة لهم .. وذلك لكى يعملوا كمرشدين وموظفين وقوات ضبط وترحيل لإخوانهم من اليهود !!

وقد كان تدبير « برونر » شديد الإحكام حيث إن العديد من اليهود كانوا هاربين تحت الأرض هرباً من الترحيل الجماعى ومعسكرات الاعتقال .. وكان أفضل من يعرف مخابئهم هم أقرانهم من اليهود .

والغريب أن برونر كان يعتمد فى تجنيد هؤلاء العملاء من اليهود على ترشيحات من زعماء الجالية اليهودية هناك !! وقد أطلق على هذه الميليشيات اليهودية المتعاونة مع النازى اسم Jupo وهو اسم من مقطعين Judas أى يهوذا و Polizei أى شرطة .. الأمر الذى تطور فيما بعد إلى ما عُرِفَ باسم (ميليشيات يهوذا) وذلك فى إشارة لا يخفى مغزاها التاريخى (!!) .

وقد انتهى الحال بأيخمان لأن يكون مسئولاً عن إدارة اليهود فى جهاز الشرطة السرية الألمانية ، وأن يكون برونر مساعده الرئيسى الذى يتخذ من مكتب فيينا مقراً له ، وفى نفس الوقت يعمل مشرفاً على جميع المكاتب الفرعية فى أوروبا النازية .

ومن أشهر عمليات الترحيل الجماعية لليهود - والتى استدعى لها برونر

بحر الكتب
bahr.alktob

خصيصاً للإسراع بها - عملية ترحيل يهود سالونيكا فى اليونان .. وقد نجح بالفعل الرجل فى ترحيل ٥٠ ألف يهودى شكلوا العمود الفقرى للجالية اليهودية هناك التى كانت تعيش حتى الحرب العالمية الأولى فى أمان تحت حماية الخليفة العثمانى السلطان عبد الحميد !

إلا أن أيخمان أرسل إلى برونر فى يونيو عام ١٩٤٣م يطلب منه التوجه إلى باريس على وجه السرعة للإسراع بترحيل البقية الباقية من يهود فرنسا .. وقد كان .. ففى غضون ١٤ شهراً نجح الرجل فى مهمته .. وذلك بعد أن قام بتشكيل «شرطة يهوذا» من اليهود الفرنسيين بالإضافة إلى الاستعانة بجهود ما أطلق عليه (الاتحاد العام الإسرائيلى ليهود فرنسا)، والذى ضم العديد من الشخصيات اليهودية البارزة المتعاونة مع النازى !!

إلا أن الشهور تسارعت حتى جاء شهر أبريل عام ١٩٤٥م عندما أدرك برونر- وهو فى مهمته الأخيرة فى تشيكوسلوفاكيا - أن الهزيمة حلت ببلاده .. هناك نزع الرجل ملابسه العسكرية .. وتسلل بعد ذلك بشهور بأوراق مزيفة باسم (ألويس شمالدانيست) إلى ألمانيا الغربية وتحديداً إلى ميونيخ ومنها شمالاً إلى ميناء هامبورج .. حيث نجح فى العمل كسائق شاحنات لدى القوات الأمريكية هناك ، ثم نجح فى الحصول على جواز سفر مزور عن طريق شراء الجواز من شخص تم القبض عليه فيما بعد واسمه (جورج فيشر) .

وتحت اسم جورج فيشر حصل برونر على تأشيرة دخول إلى مصر فى عام ١٩٥٤م وذلك فى الوقت الذى أصبحت فيه منطقة الشرق الأوسط سوقاً خصبة للخبراء الألمان فى العديد من المجالات .

فيما بعد ، وفى حديث أدلى به برونر لمجلة (شتيرن) الألمانية قال : أمضيت بضعة شهور فى مصر أبحث عن عمل ولم أوفق .. قابلت خلال إقامتى العديد من الألمان من بينهم خبير دعاية اسمه (جوهانس فان لير) .. ثم قابلت الشيخ أمين الحسينى مفتى القدس الذى نصحنى بالرحيل إلى دمشق .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

ويستكمل فيرنتال حديثه قائلاً :

وقد كان .. فقد وصل برونر إلى دمشق فى عام ١٩٥٥م قبل أن تلقى الشرطة السورية القبض عليه ويعترف بشخصيته الحقيقية .. وخلال النصف الثانى من الخمسينيات وطوال الستينيات استعانت سلطات الأمن السورية بخدمات برونر وخاصة فى لبنان وذلك فى الوقت الذى ظلت فيه السفارة الألمانية فى دمشق تواصل تجديد جواز سفره تحت اسم (جورج فيشر) ، وقد نجح برونر بفضل تلك المساعدات التى قدمها إلى السوريين فى اكتساب احترام السلطات السورية وجميع أنظمتها المتعاقبة .

ثم ينتقل فيرنتال إلى أحداث شهر مارس عام ١٩٦١م حيث يقول :

فى هذا الشهر وأثناء محاكمة أدولف أيخمان فى إسرائيل زارنى صديق يدعى (أليكس) وهو مسيحى كاثوليكى ومتعاون مع مركزى المخصص لمطاردة النازيين .. حيث أبلغنى معلومات مذهلة عن قيام برونر بوضع مخطط محكم لاختطاف ناحوم جولدمان ، رئيس المجلس الصهيونى العالمى أثناء زيارته للعاصمة الألمانية بون للقاء المستشار الألمانى (كونراد أديناور) فى ذلك الوقت .

وأوضح « أليكس » الذى كان مزروعاً فى إحدى المنظمات النازية السرية أن الهدف من العملية هو مقايضة جولدمان بأيخمان ، وأن حلقة الوصل بين برونر فى سوريا وشركائه من فرقة « براندنبرج » – وهى تعنى (القوات الخاصة جداً) الألمانية فى عصر هتلر – هو لبنانى من منطقة « عاليا » ويعرف باسم حركى هو « الريس » .. فقط كانت مشكلة برونر هى إدراكه أنه لن يجد دولة عربية تقبل بالاحتفاظ بجولدمان على أرضها أثناء اختطافه .

وفى مرحلة لاحقة تم تعيين « الريس » ممثلاً للبنان لدى مكتب جبهة التحرير الجزائرية فى جنيف ، والتى كانت تسيطر على ما يقرب من نصف

بحر الكتب
bahr.alktob

مساحة الجزائر أثناء الثورة الجزائرية .. ومن خلاله تم ترتيب عملية نقل جولدمان إلى أحد معاقل الجبهة داخل الجزائر .

وفى نفس الوقت أسرعت إسرائيل بإجراءات محاكمة أيخمان ، وذلك فى الوقت الذى تأكد فيه الجميع - بما فى ذلك برونر - أن إسرائيل لن تقبل بمقايضة أيخمان ولو مقابل جولدمان وذلك حتى تم تنفيذ حكم الإعدام شنقاً فى أيخمان .

فى عام ١٩٨٥م وفى مقابلة مع صحفى ألمانى فى سوريا أكد برونر صحة هذه القصة ، فيما عدا نفيه لوجود شخصية « الريس » واستبدله بشخص آخر ولقبه « لحان » إلا أنه وقبل ذلك بسنوات .. وتحديداً فى سبتمبر عام ١٩٦٧م عاد المدعو أليكس لكى يبلغنى - من خلال موقعه فى تلك المنظمة النازية - بأن برونر سوف يطير فى غضون شهرين فقط إلى سويسرا ، حيث تم الحجز له فى مصحة لإجراء جراحة عاجلة فى إحدى عينيه والتى تأثرت بانفجار قنبلة أثناء الحرب .. ظللنا نتابع تحركات برونر وزملائه لمدة ثلاثة أسابيع قبل أن تخرج صحيفة « ليتسر » التى تصدر فى مدينة ليتس فى جنوب النمسا بعناوين رئيسية فى الصفحة الأولى لتقول : « تحذير من الصليب الأحمر النمساوى » وتحت المانشيت تحذير إلى عشرة أشخاص ألمان مذكورة أسماؤهم وتواريخ ميلادهم وكافة المعلومات الشخصية الخاصة بهم ، ومن ضمنهم ألويس برونر .. ذلك التحذير كان يقضى بعدم التوجه إلى عدة مناطق فى أوروبا من بينها فرنسا .. حيث إن ذلك من شأنه أن يعرضهم للمساءلة القضائية !!

وقد صاحب ذلك تحذير مباشر لعائلة برونر فى النمسا .. وبمزيد من التحقيقات اتضح أن الصليب الأحمر الألمانى والعديد من كبار الشخصيات المسئولة فى الحكومة الألمانية فى ذلك الوقت كانت وراء هذا التحذير الغريب فى توقيته والذى أدى لإفلات برونر من المصيدة التى كانت قد أعدت له فى سويسرا .. وقد أكد ذلك - مع مزيد من الأدلة الأخرى -

بحر الكتب
bahr.alktob

وجود شبكة قوية فى ذلك الوقت واستمرت حتى بداية الثمانينيات فى ألمانيا والنمسا من النازيين السابقين والمتعاطفين معهم .. هذه الشبكة ضمت (د.يورجن روفوس) وآخرين فى القضاء والشرطة ، حيث إنه كان من المستحيل التخلص من كل الكوادر النازية والمتعاطفة معها بعد الحرب .. كان ذلك معناه انهيار أجهزة الدولة برمتها .

ومنذ ذلك الحين تكررت ضغوطى على الحكومة الألمانية بالذات لكى تقدم طلباً لسوريا بتسليم برونر المدعو هناك باسم فيشر .. وبالفعل تكررت الطلبات وكان آخرها فى عام ١٩٨٨م .. وتكرر الرد السورى بأنه لم يُستدل على عنوان للمذكور ، وذلك بالرغم من أن ساعى البريد السورى لم يجد صعوبة فى توصيل طرد باسم برونر مبعوث له من الجمعية النمساوية للعلاج بالأعشاب .. وصل الطرد لبرونر فى ١٥ يوليو عام ١٩٨٠م .. وعندما فتحه برونر انفجر الطرد المفخخ من جانب جماعة مجهولة مما أسفر عن بتر أصابع يمينه فيما عدا الإبهام ونجح الرجل فى الإفلات حتى من الطرد الملغوم !! .

* * *

●● تردد أنك تدخلت لدى الولايات المتحدة بهدف توتير العلاقات مع سوريا بزعم إيواء برونر .. بل تردد أنك أسهمت بشكل مؤثر فى وضع سوريا فيما يسمى بقائمة الدول راعية الإرهاب .. ما تعليقكم ؟

● **فيزنتال : أنا أعرف برونر جيداً .. إنه أحد كبار مجرمى النازية .. ولفداحة ما أقدم عليه قامت العديد من الدول بمطالبة الولايات المتحدة وخاصة وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر بالتدخل لدى سوريا فى هذا الشأن .. إلا أن الإجابة السورية كانت كالعادة : لم يُستدل عليه ..**

●● ألم تتدخل شخصياً لدى الولايات المتحدة ؟

● **فيزنتال : (... ... ... صمت) .**

بحر الكتب
bahr.alktob

●● وما هى أحدث ورقة أضفتها فى ملف برونر ؟

● **لقد قلت من قبل : إننى لا أغلق ملف نازى سابق هارب إلا بعد تأكدى من وفاته أو إلقاء القبض عليه .. وفى حالة الوفاة لا أغلق الملف إلا بعد أن أوفد خبراء فى الطب الشرعى تابعين لى لفحص الجثة قبل دفنها .. أو نبش القبر واستخراج الرفات ومطابقتها على الملف الطبى للنازى المطلوب .. هذه هى الطريقة الوحيدة لكى أغلق ملف الرجل !!**

●● وماذا عن برونر ؟

● **فيزنتال : دعنى أقولها لأول مرة .. إننى وبعد مطاردة برونر عشرات السنوات أجزم بأنه مات منذ بضع سنوات وقد دفن فى منفاه الاختيارى فى سوريا !!**

●● أى أنك أغلقت هذا الملف نهائياً ؟

● **فيزنتال : نعم .**

●● القضية إذن منتهية ؟

● **فيزنتال : (... ... ... صمت) .**

ملحوظة :

الخبر الغريب والمكذوب الذى نقلته وكالات الأنباء العالمية ونقلته صحف العالم عن هروب برونر من سوريا إلى مصر وإجرائه عملية تجميل فى وجهه واستخراجه جواز سفر جديد من السفارة النمساوية بالقاهرة باسم مستعار تم بثه بعد ستة أسابيع من الحوار المطول مع فيزنتال .. والرجل كما هو معروف هو المرجعية الوحيدة فى هذا الشأن لدى جميع الدوائر المهتمة بشئون النازيين الهاربين والذى أكد لى شخصياً موت برونر بشكل قاطع !!.

فكيف ينهض الموتى من قبورهم ؟ .. بل وينتقلون لبلد آخر ؟ .. بل ويجرون عمليات تجميل يغيرون بها ملامحهم ؟ .. ويستخرجون جوازات سفر جديدة ؟!

بحر الكتب
bahr.alktob

لقد نطق صائد النازيين بالصدق قبل قيام مصادر غربية مغرضة بشن حملة التضليل تلك ضد مصر .. إلا أنه يبقى أن يعلنها الرجل « سيمون فيزنتال » على الملأ :

« لقد مات برونر وشبع موتاً .. وفاتت الفرصة على اليهود لكى ينتقموا ممن أسس ميليشيات يهوذا خلال الحرب العالمية الثانية .

الحديث مع فيزنتال لم ينته بعد .. فهنالك المزيد من الملفات التى لم يكشف عنها بعد .. وأخرى كُشِفَ عن جانب منها ولم يُكْشَفْ عن معظم تفاصيلها .

وقد كان سؤالى التالى والمنطقى لفزنتال :

●● لقد تحدثت عن الذراع اليمنى للعقل المدبر .. فماذا عن العقل نفسه ألا وهو أدولف أيخمان ؟

انتفخت أوداج فيزنتال تيهاً ومباهاة وهو يقول :

● **(نعم .. هذه هى القضية التى فتحت أبواب الشهرة أمامى .. كما أثبتت مدى كفاءة شبكة معلوماتى !! .**

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

الفصل الثالث

إسحاق شامير ..
يطارد أيخمان فى مصر !!

فيزنتال :

- شامير ينتحل شخصية ضابط بحلف الأطلنطى ويجند ضابطاً ألمانياً فى مصر !!!
- المؤرخـــون كلهـم نازيـون كاذبـون .

مقابلة مع المؤلف

بحر الكتب
bahr.alktob

الحاخام كاهانا الذى جندته نائبة الكنيست الإسرائيلى جيؤلا كوهين وسط أنصاره

بحر الكتب
bahr.alktob

الحديث عن تصيّد النازيين لم ينته بعد .. فالملفات المجهولة كثيرة .. وحتى ما أعلن من أجزاء من بعض الملفات يُعد قاصراً بشكلٍ مخلٍّ .

كان هذا سؤالى لسيمون فيزنتال صائد الألمانيين .. اعتدل الرجل قبل أن يقول :

● منذ بداية عملى هذا عام ١٩٤٦م وحتى الآن ضمت مكتبتى وأدراجى أكثر من ثلاثة آلاف ملف لأكثر من ثلاثة آلاف نازى هارب .. نجحتُ فى إحكام قبضتى على ما يقرب من الألف منهم .. والباقون لا تزال ملفاتهم مفتوحة .. غير أنها تتناقص بسرعة بسبب تسارع معدل الوفيات بين النازيين الهاربين لارتفاع أعمارهم .. إلا أننى أعود فأقول : إننى لا أغلق ملف ميت إلا بعد تأكدى ١٠٠٪ من وفاته بطرقى الخاصة !!

●● تحدثتَ كثيراً عن أيخمان خلال حديثك عن (النازى برونر) .. فماذا يمثل أيخمان لك ؟

● فيزنتال : على الصعيد العام فإن أيخمان كان المسئول الأول فى إدارة الإشراف على اليهود بالبوليس السرى النازى .. أما على الصعيد الخاص فإن قضية أيخمان ونجاحى فيها أكسبتنى شهرة كبيرة ، وشجعت العديد من المسئولين فى جميع أنحاء العالم على مساعدتى ، وتقديم كافة أنواع العون لى فى عملى .

●● وماذا كان يميز أيخمان عن بقية رفاقه ؟

● فيزنتال : الفارق كبير جداً .. فشخص مثل (ألويس برونر) على سبيل المثال كان يتميز بكراهية شديدة لليهود لأسباب عديدة .. الأمر الذى ساعده على التفنن والابتكار فى وسائل الإيقاع بهم ومن ثَمَّ

بحر الكتب
bahr.alktob

ترحيلهم .. فهو لم يكن ينفذ الأوامر بشكل أعمى فقط .. وإنما كان ينفذها عن اقتناع، والدليل على ذلك أنه فى عام ١٩٨٥م وفى تصريحات صحفية قال :

« الشيء الوحيد الذى أندم عليه حتى الآن هو أننى لم أجد الوقت الكافى للقضاء على جميع اليهود !! » .

أما أيخمان فهو شخصية مختلفة تماماً .. فهو يمثل قمة البيروقراطية عندما تفقد إنسانيتها !! أيخمان لم يحمل حقداً دفيناً تجاه اليهود .. وإنما كان منفذاً حرفياً للأوامر .. وأتصور أنه إذا كانت أوامر القيادة الألمانية فى ذلك الوقت هى نقل اليهود من أوروبا إلى فلسطين كان أيخمان أول المنفذين وبنفس الحماسة والكفاءة .. وفى رأيي فإن نوع أيخمان أخطر بكثير .. فالعاطفة المشبوهة فى مثل هذه الأعمال قد تؤدى إلى مذابح .. إلا أنها متقلبة ويمكن أن تنقلب إلى الضد ، كما أن صاحبها يمكن أن ينقلب على زملائه فى حين أن النوع الثانى لا يحيد عن الأوامر والهدف !!

●● كل ما أذيع عن قضية أيخمان لا يتضمن اسمك .. فالمعروف أنه اختطف على أيدى رجال الموساد الإسرائيلى .. فما هو دورك بجوار أشخاص مثل أتسر هارئيل المدير الأسبق للموساد ؟

● فيزنتال : أنا كنت شخصاً ضمن فريق ضم ١٢ ضابطاً بالموساد ، وكان يرأس الفريق مدير للموساد شخصياً فى ذلك الوقت أتسر هارئيل .. لقد كانت عملية قام بها فريق وليس فرداً واحداً وخاصة فى مراحلها الأخيرة .

●● كيف بدأت العلاقة بينك وبين أيخمان ؟

● فيزنتال : بدأت فى بداية الخمسينيات عندما كنت أعيش فى مدينة لينتس فى جنوب النمسا ، وقد سمعت اسم أيخمان مرة من كابتن أمريكى كان صديقًا لى وكان يرأس وحدة المخابرات الأمريكية بالمدينة فى

بحر الكتب
bahr.alktob

ذلك الوقت .. ومنذ ذلك الحين ارتبطت حياتى بموت هذا الشخص !! وقد اكتشفت بالمصادفة أن مدينة لينتس هى مسقط رأسه ، وبأن والديه يعيشان على بعد منزلين من المنزل الذى أعيش فيه فى الشارع الرئيسى بالمدينة .. منذ سمعت اسم أيخمان من صديقى الضابط الأمريكى جعلت حياتى وقفاً على هـذا الرجـل حتى عرفنى أهالى المدينة باسم « أيخمان ».

●● قليلون من الناس ممن خلوا من نقاط الضعف التى قد تودى بهم .. هل كانت توجد نقطة ضعف لدى أيخمان هى التى أودت به ؟

● فيزنتال : هذه نقطة جيدة .. نعم كانت لديه نقطة ضعف خطيرة ، وهى ارتباطه الشديد بزوجته وعائلته .. فبالرغم من الحرص الشديد الذى كان يتميز به أيخمان والذى دفعه مثلاً لعدم السماح تحت أى ظرف كان لأى شخص حتى من أفراد عائلته بتصويره فوتوجرافياً لدرجة أننا ظللنا سنوات نبحث عن صورة حديثة له ولم نفلح إلى أن وجدنا صورة قديمة تعود إلى مطلع شبابه فى ثلاثينيات هذا القرن .. أقول إنه بالرغم من هذا الحرص الشديد فإنه لم يتردد فى أن يركب مخاطر جمة حين اقتحم – ولا أقول تسلل – المدينة التى تعيش بها فيرونيكا زوجته لكى يستمتع بلحظات من القرب منها ! .. الرجل كان يعيش على أمل الاستمتاع بهذه اللحظات وبالمشاركة فى الحياة الأسرية .. تلك كانت نقطة ضعفه الوحيدة .. ومن هنا أوقعت به !!

○ كيف ؟

● فيزنتال : لم يغادر أيخمان النمسا قبل عام ١٩٥٠م .. قبل ذلك ظل يتنقل من مخبأ لآخر داخل البلاد ، وكان اعتمادى كله على رغبته المحمومة فى الاتصال بزوجته حتى جاءتنى معلومة فى شهر ديسمبر عام ١٩٤٥م بأنه سيذهب إلى منزل زوجته فى منطقة « ألتوسى » لكى يقضى فيه ليلة رأس السنة معها .. وبالطبع أعددتُ جميع الترتيبات

بحر الكتب
bahr.alktob

اللازمة بالتعاون مع الشرطة المحلية .. ثم كانت الغلطة القاتلة عندما قررت الاستعانة بجهود أحد الشبان الإسرائيليين والذى كان قد وصل حديثاً من إسرائيل عقب انتهاء حرب فلسطين .. وفى اليوم المشهود ، وبالرغم من تعليماتى المشددة له ذهب الإسرائيلى إلى الحانة الوحيدة فى المدينة الصغيرة وشرب كميات كبيرة من الخمر ، لعبت الحسناوات النمساويات برأسه ، فبدأ الحديث عن دوره فى الحرب ضد العرب ، وعن مهمته الجديدة فى النمسا .. وبالطبع فإن مثل هذه الأمور تنتشر مثل انتشار النار فى الهشيم فى مثل هذه القرى الصغيرة .. وطار أيخمان من قبضتنا .. فيما بعد علمت من ضابط ألمانى صديق يعمل فى إدارة مكافحة التجسس أن لجنة دعم النازية – الكرواتية هى التى نجحت فى تهريبه إلى النمسا إلى يوجوسلافيا « سابقاً » ومنها إلى دير فى روما حيث حصل على جواز سفر من الفاتيكان ، ومنها إلى مكان ما فى أمريكا الجنوبية .. وفشلت كل جهودى لإثارة اهتمام الأمريكيين والنمساويين حيث انشغل الجميع بقضايا مثل : الحرب الباردة .. والحرب الكورية .. وغيرهما من القضايا الدولية الساخنة .. إلا أنه وبعد هروب أيخمان من المصيدة التى كنت أعدها له فى النمسا بستة أشهر وصلت إلىَّ معلومات تفيد باختفاء زوجته وابناه من منزلهم فى النمسا بشكل مفاجئ وغامض ، فى حين ترك المنزل على حالته بعد أن دفع إيجاره لمدة عام مقدماً .. وقد تردد أن الزوجة ذهبت مع أبنائها وراء أيخمان إلى أمريكا الجنوبية .. وأشارت المعلومات إلى البرازيل تحديداً .

بعد ذلك مرت شهور أخرى قبل أن أتعرَّف على (بارون نمساوى) طاعن فى السن فى إحدى جلساتى فى نادى هواة جمع طوابع البريد فى مدينة ليتس والذى دعانى بعد ذلك إلى منزله لكى يطلعنى على مجموعة من الطوابع النادرة ، ثم تحولنا بالحديث إلى فترة النازية حيث قال لى : إنه كان يعمل ضابطاً فى المخابرات الألمانية وتحديداً فى إدارة

بحر الكتب
bahr.alktob

مكافحة التجسس تحت قيادة الأدميرال الشهير «كناريس» إلا أن قيادات المخابرات لم تكن تثق فيه لانتمائه الكاثوليكى والموالى للنظام الإمبراطورى .. وعندما أخبرته بطبيعة عملى قام وأحضر خطاباً من مكتبه وقال :

لدىَّ شىء يمكن أن ينفعك .. مشيراً إلى أنه تلقى هذا الخطاب مؤخراً من أحد زملائه السابقين فى الجيش الألمانى الذى هاجر عقب الحرب واستقر فى الأرجنتين ، حيث يعمل مستشاراً عسكرياً للرئيس خوان بيرون .

وأضاف « البارون النمساوى » أنه سأل صديقه المهاجر فى أحد خطاباته إذا ما كان قد صادف أحد الأصدقاء الألمان القدامى .. فجاء الرد على النحو التالى : صدق أو لا تصدق !! ..

لقد رأيت أدولف أيخمان يعيش فى أطراف العاصمة بيونس أيرس وهو يعمل فى محطة تنقية لمياه الشرب وقد قابلته مرتين وتحدثت معه .

●● وماذا كان رد فعلك أمام هذه المعلومات ؟

● فيزنتال : شعرت بإحباط شديد .. والسبب فى ذلك هو أن الأرجنتين فى ذلك الوقت كان يحكمها من وراء الستار الضباط الألمان المهاجرون والذين تولوا مهام إعادة تنظيم وتسليح وتدريب الجيش فى الأرجنتين ، كما أنهم تولوا عمليات التصنيع وضخ كميات كبيرة من النقود السائلة فى بنوك الأرجنتين ، الأمر الذى جعل لهم نفوذاً وسيطرة فى هذا البلد .. ولهذا فإننى على الفور استشرت إرى إيشيل قنصل إسرائيل فى ذلك الوقت فى فيينا ، الذى طلب منى إعداد تقرير من نسختين بهذا الشأن ، متضمناً جميع المعلومات التى لدىَّ عن أيخمان ، وإرسال نسخة منه إلى الدكتور ناحوم جولدمان رئيس المجلس الصهيونى العالمى ، والأخرى إلى إسرائيل .

بحر الكتب
bahr.alktob

وبعد شهرين تلقيت رداً من جولدمان من نيويورك طالباً منى أن أمده بعنوان أيخمان بالتحديد فى العاصمة الأرجنتينية .. وقد أجبته بأننى على استعداد لإيفاد أحد رجالى هناك لجلب المعلومات شريطة أن يقوم المجلس بالتكفل بنفقات السفر والإقامة وإعطاء الرجل ٥٠٠ دولار.. وجاءنى الرد بأنه ليست هناك مخصصات مالية ، وبأن الدكتور جولدمان تسلم من مكتب التحقيقات الفيدرالية الأمريكى تقريراً فى هذا الشأن الذى أبلغه بأن أيخمان يعيش فى العاصمة السورية دمشق !! ويبدو أن يهود أمريكا فى ذلك الوقت كانت لديهم مشاكل أخرى أكثر أهمية ، وأن إسرائيل كانت منكفئة على نفسها بسبب حالة الحرب مع جيرانها العرب .. ولذا فقد شعرت بأننى وحدى فى الميدان .. الأمر الذى دفعنى إلى أن أغلق مركز توثيق جرائم الحرب وأن أرسل جميع ملفاتى عن النازيين الهاربين إلى مركز أرشيف «ياد فاشيم» بالقدس .. إلا أننى ولأسباب نفسية احتفظت بملف وحيد معى ألا وهو ملف أيخمان .

* * *

بعد خمس سنوات ، وتحديداً فى ٢٢ أبريل عام ١٩٥٩م وعندما كنت أطالع صحيفة «أوبر أوستراييخ ناخريشتن» أى صحيفة أخبار جنوب النمسا فوجئت فى الصفحة الأخيرة بإعلان نعى لوفاة زوجة والد أيخمان وهى السيدة ماريا أيخمان .. وفوجئت مرة ثانية عندما قرأت اسم فيرونيكا أيخمان زوجة أدولف الهارب التى زعمت بعد هروبها من النمسا بأنها طلقت من زوجها وتزوجت رجلاً يدعى ريكاردو كليمنت الذى يعيش فى الأرجنتين .. وبالطبع فإنه فى هذه الحالة لم يكن هناك داعٍ لنشر اسمها فى النعى .. ناهيك عن نشره وهى تحمل اسم زوجها السابق !!

وأبلغت إسرائيل التى قامت بتحريات هناك وتأكدت من أن السيدة

بحر الكتب
bahr.alktob

ماريا تعيش مع ألمانى مهاجر للأرجنتين يحمل اسم ريكاردو كليمنت . ثم جاء إعلان الوفاة الثانى فى نفس الصحيفة فى شهر فبراير عام ١٩٦٠م، عندما توفى والد أيخمان وقد نشر ضمن أسماء الأقارب اسم زوجة أيخمان مرة ثانية وهى تحمل اسم زوجها الحقيقى .

وعدت مرة أخرى لأتصل بإسرائيل التى اهتمت هذه المرة .. حيث أبلغتنى سفارتها فيما بعد بأن مندوباً من المخابرات الإسرائيلية « الموساد » سيزورنى فى منزلى فى مدينة « لينتس » .. وقد كان .. حيث حمل الفريق المعلومات التى كانت بحوزتى وقصاصات الصحف .

وفى ٢٣ مايو وقف رئيس الوزراء الإسرائيلى فى ذلك الوقت ديفيد بن جوريون أمام الكنيست لكى يعلن للعالم وقوع أيخمان فى يد إسرائيل .

وكما قلت لك من قبل فإن الارتباط العاطفى بين أيخمان وأسرته وحبه لزوجته ورغبته فى مواصلة حياته الاجتماعية بشكل عادى .. كان هو السبب الرئيسى الذى أوقعه فى أيدينا .. وبدون ذلك فيمكن أن تكون العملية أصعب بكثير !!

* * *

●● لقد اجتمعت مع كل من السيدين شوموئيل توليداتو - وهو قيادى كبير سابق فى الموساد وكانت من بين الإدارات التى تولاها فى الموساد إدارة تعقب النازيين .. بالإضافة إلى إتسر هارئيل المدير الأسبق للموساد خلال فترة اختطاف أيخمان ، وقد أكدا لى أنك لم تلعب أى دور فى هذه القضية ، وبأن الموساد بقيادة هارئيل هو الذى تولى القضية من الألف إلى الياء .. ما هو تعليقك ؟

● فيزنتال : هناك مثل أظنه شائعاً لديكم أيضاً أنتم العرب وهو : « الفشل يتيم .. والنجاح له ألف أب » !!

بحر الكتب
bahr.alktob

●● دعنى أكون أكثر تحديداً .. فقد اتهمك السيد هارئيل بالكذب والتضليل، وبأنك استغللت الظروف الدولية فى ذلك الوقت والتى كانت تمنع إسرائيل من الإعلان عن أن الموساد هو الذى خطط ونفذ عملية الاختطاف من الأرجنتين لِمَا كان يشكل ذلك من انتهاك للقانون الدولى، وذلك لكى تنفرد بخشبة المسرح وتدَّعى أنك أنت الذى قمت بالعملية وحدك كما أكد هارئيل باعتباره كان المسئول الأول عن المخابرات الإسرائيلية .. وبالتالى عن العملية .. أكد أنك لم يكن لك أى دور فى هذه العملية سواء فى مرحلة الإعداد والتخطيط، أو فى مرحلة التنفيذ .. ما ردك ؟

● **فيزنتال : بعد كل هذه السنوات من خدمة إسرائيل وشعبى من اليهود يأتى هارئيل بكل بساطة لكى يمحو كل ذلك بجرة قلم .. أهذا هو جزائى ؟ أهذا هو الرد على كل ما فعلته ؟ عموماً أنا لن أرد على هذه الصفعات القاسية بصفعات مماثلة ..إن هارئيل يُعد من أبرز من تولى منصب رئيس الموساد الإسرائيلى ، بل إن شهرته فى عالم المخابرات على المستوى الدولى فاقت جميع أقرانه فى العالم .. ولعله ضجر من الركون إلى حياة الهدوء والظل فقرر أن يعود من خلال مهاجمتى!!**

●● لدينا معلومات تقول إن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق إسحاق شامير بقيادة فرقة اغتيالات ضد النازيين السابقين .. الأمر الذى شمل العلماء الألمان الذين كانوا يعملون فى مصر فى فترة الستينيات .. هل لديك معلومات فى هذا الشأن ؟

● **فيزنتال : من الجائز .. أنا أعلم أنه كان يوجد هناك عدد من هؤلاء العلماء الألمان فى مصر فى عهد الرئيس المصرى جمال عبد الناصر .. وكانوا متخصصين فى صناعة الصواريخ .. الأمر الذى كان يُعد تهديداً لأمن إسرائيل .. وما أعرفه أنه عندما استدعت ألمانيا هؤلاء العلماء فإنهم توجهوا للصين للقيام بنفس العمل .**

●● إلا أن بعضه قُتِلَ داخل مصر !؟

● **فيزنتال : نعم .. نعم .. إلا أن ذاكرتى لا تسعفنى الآن إذا**

بحر الكتب
bahr.alktob

ما كان رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت ديفيد بن جوريون قد أقال مدير المخابرات الإسرائيلية « الموساد » لذلك السبب أم لا .. وقد كانت الإقالة فى عام ١٩٦٣م !!

●● المعلومات التى لدىَّ تؤكد أن شامير كان ضالعاً فى قضية العلماء الألمان فى مصر ، وبأنه كان فى ذلك الوقت هو (كلب الصيد) الذى أطلق عليهم من تل أبيب ؟

● فيزنتال : أنا لم أنف ذلك ولعل البداية الحقيقية والمؤثرة لشامير فى هذا المجال كانت عندما تولى منصب مدير محطات الموساد فى غرب أوروبا ، وكان فى ذلك الوقت يتخذ من باريس مركزاً له ، وكانت بداية شامير مع هذه القضية مع بول سكوتونسى !!

●● هل لنا أن نعرف التفاصيل ؟

● فيزنتال : سكوتونسى هذا كان أحد العباقرة الألمان فى المجال العسكرى .

فى عام ١٩٤٣م كان سكوتونسى شاباً فى السادسة والعشرين من عمره ، إلا أنه كان من أصحاب العقليات الحربية الفذة ، وبالإضافة إلى ذلك كان من أقرب الشباب النازى إلى قلب الزعيم الألمانى هتلر .

فى ذلك العام قرر هتلر تشكيل وحدة كوماندوز (خاصة جداً) تحت رئاسة هذا الشاب الألمانى المتحمس .. وقد تميزت هذه الوحدة بالولاء الشديد – المطلق – للزعيم ، وبالإضافة إلى تميز عناصرها قتالياً بشكل غير طبيعى .

أيضاً فقد حرص خلال تشكيلها أن تشتمل على شباب ألمانى مثقف ثقافة عالية ويجيدون عدة لغات رئيسية بلهجات أبنائها .. حيث كان أغلب هؤلاء الشباب الألمانى ممن درسوا فى الخارج وخاصة فى الولايات المتحدة .. إلا أن ولاءهم ظل فقط للنازية .. وقد كان قائدهم سكوتونسى أبرعهم فى هذا المجال .

بحر الكتب
bahr.alktob

ولم يطل المقام بهذا الشاب الألماني وصحبه من عناصر وحدته الخاصة ، ففي ذلك الوقت حدث انقلاب في إيطاليا ضد الحليف الأول في أوروبا لهتلر .. ألا وهو (بنيتو موسوليني) وقد قام الانقلابيون بوضع موسوليني رهن الاعتقال في شهر سبتمبر عام ١٩٤٣م في قلعة تقع في قلب جبل أبروتسي في شمال إيطاليا .. كانت تلك هي أول مهمة لسكوتونسي ، وكانت مهمة في غاية الصعوبة .. حيث إن حجم القوات التي وضعت حول جبال أبروتسي لتأمين الزعيم المخلوع لا تقل عن ٢٠٠ ضعف حجم قوات سكوتونسي .. بالإضافة إلى وعورة المنطقة – مسرح العملية – وغيرها من الصعوبات الكثيرة .. وبالرغم من ذلك نجح هذا « الشيطان » في وضع خطة جهنمية ، استغل خلالها قوته الصغيرة عدداً [٢٦ عنصراً] من الكوماندوز – في شَلّ هذه القوة الهائلة وتحرير موسوليني والعودة به إلى سيده هتلر في برلين .

وقد حرصت قوات الحلفاء على التعتيم على ما حدث في تلك العملية .. حيث إن ذيوعها كان سينال من كرامتها ومن معنويات جنودها بشكل خطير .. أيضاً فإن ألمانيا – بالرغم من كون مثل هذا العمل العسكري الناجح الذي من شأنه أن يرفع من الروح المعنوية لقواتها – قد حرصت على ألا تذيع تفاصيل تلك العملية حتى لا تضطر إلى الكشف عن أسرار هامة عن تلك الوحدة الخاصة وعن قائدها الفذ مما قد يقلل من فاعلياتها في عمليات مقبلة .

وبالفعل وبعد شهور قليلة من عملية موسوليني تم تكليف سكوتونسي ووحدته بترتيب عملية اختطاف مذهلة في جرأتها لابن زعيم المجر في ذلك الوقت « هورتي » وذلك لمحاولة الضغط على هذا الزعيم ومنعه من توقيع هدنة مع الزعيم السوفييتي في ذلك الوقت ستالين .. وبعد تنفيذ المهمة بنجاح اضطر الزعيم « هورتي » أن يقدم استقالته وأن يفسح المجال أمام نظام آخر مُوالٍ لهتلر .

بحر الكتب
bahr.alktob

ثم جاءت أخطر وأهم مهمة لسكوتونسى ووحدته الخاصة جداً عندما كلفوا بانتحال شخصيات جنود وضباط صف وضباط أمريكيين وتم تزويدهم بأوراق هوية أمريكية مزورة بإتقان .. كل هذا بالإضافة إلى إتقانهم الإنجليزية باللهجات الأمريكية المختلفة ، وتم إسقاطهم وراء خطوط القوات الأمريكية فى منطقة « الأردين » فى شمال فرنسا حيث قاموا بقطع خطوط الاتصال بين القوات الأمريكية بعضها البعض ، وبينها وبين قيادتها .. بالإضافة إلى عمليات تخريب واسعة النطاق .. الأمر الذى أصاب القوات الأمريكية هناك بالشلل التام ، مما مهد لهجوم ألمانى متميز على هذه المنطقة الحصينة جداً ، وانتهى بنصر كاسح للألمان .

●● رواية مثيرة .. ولكن ما علاقتها بعمل شامير ضد علماء الصواريخ الألمان فى مصر فى الستينيات من هذا القرن ؟!

● فيزنتال : لم يغادر سكوتونسى ألمانيا لعدة سنوات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى قامت الموساد باغتيال عالم الألكترونات وخبير الرادارات الألمانى (باول جوركا) فى مصر وأظن أن ذلك كان فى عام ١٩٥٩م .. عندئذ شعر سكوتونسى بالخطر ، ومن خلال زوجته التى تنتمى إلى عائلة ألمانية فى غاية الثراء لجأ إلى أسبانيا التى كان يحكمها فى ذلك الوقت الجنرال فرانكو ، المتعاطف بقوة مع النازية وأبنائها .. سكوتونسى هذا أصبح فيما بعد الهدف الأول لشامير الذى حاول بشتى الطرق السيطرة عليه ليكون مفتاحه إلى العلماء الألمان فى مصر .. وبالطبع فإن شامير كان سيواجه بالصد من جانب سكوتونسى ، إذا ما حاول الأول أن يجنده لحساب الموساد بشكل مباشر ، فكان أن عمل على التعرف عليه تحت غطاء أنه يعمل لحساب حلف الأطلنطى « الناتو » .

كان اللقاء الأول بينهما فى منزل سكوتونسى فى العاصمة الأسبانية مدريد فى أوائل عام ١٩٦٠م .. فى هذا اللقاء أبلغ شامير سكوتونسى بوجود أحد أصدقاء سكوتونسى القدامى من الوحدة الخاصة التى كان

بحر الكتب
bahr.alktob

يرأسها فى مصر ، وبأنه – شامير – يرغب فى تجنيد هذا الرجل لحساب حلف الأطلنطى لمعرفة الاستعدادات المصرية العسكرية فى ظل تقاربها مع الاتحاد السوفيتى .

وبالفعل وبعد فترة تردد قصيرة أرسل سوكوتونسى إلى صديقه القديم فى وحدته الخاصة والذى كان فى ذلك الوقت يعمل لدى الحكومة المصرية لكى يحضر للقاء بعض الأصدقاء القدامى من الوحدة الألمانية المتميزة .. وجاء الرجل إلى مدريد .. غير أنه بدلاً من أن يجد الأصدقاء القدامى فوجئ بشامير وعدد من كبار ضباط الموساد الذين قدموا أنفسهم له على أنهم ضباط فى حلف الاطلنطى ..

وكانت تلك البداية الحقيقية لشامير فى تعقب علماء الصواريخ الألمان فى مصر ، مستغلاً هذا الكوماندوز الألمانى السابق المتميز الذى كان يعمل فى مصر والذى كان يظن منذ عام ١٩٦٠م أنه يعمل لحساب حلف الأطلنطى .. وليس الموساد .

●● هل كانت تلك هى المهمة الوحيدة التى أنيط بها لشامير ؟

● فيزنتال : بالطبع لا .. الرجل كان يرأس جميع محطات الموساد فى أوروبا الغربية فى تلك الفترة ، وكانت بين يديه مهام أخرى جسيمة .. إلا أن تلك المهمة كانت أبرزها على الإطلاق ، لخطورتها على الأمن القومى الإسرائيلى .

فى عام ١٩٦٥م انتقل شامير إلى الحياة السياسية فى حزب حيروت اليمينى ، إلا أنه لم يستطع الابتعاد عن العمل السرى بشكل كامل !! ففى عام ١٩٦٨م قام بالتعاون مع الموساد بتشكيل خلية سرية خارجية تقوم بتنفيذ مهام تخريبية وإرهابية ضد أهداف ألمانية وسوفيتية فى أوروبا الغربية وأمريكا!!

●● هل كانت معه فى تلك الخلية السرية التخريبية أسماء برزت فيما بعد فى إسرائيل ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● فيزنتال : نعم .. ففى شهر ديسمبر عام ١٩٦٩م انضمت إلي الخلية جيئولا كوهين التى انتخبت فيما بعد نائبة فى الكنيست .. وفى نفس العام قامت كوهين بناء على تعليمات من شامير بتجنيد الحاخام مائير كاهانا الذى كان فى ذلك الوقت لا يحمل سوى الجنسية الأمريكية وكان قد أسس لجنة الدفاع اليهودية فى أمريكا والتى استهدفت الأمريكيين السود .

واستمر شامير فى عمله العلنى كقيادى فى حزب حيروت ، وفى نفس الوقت قيادى سرى فى تلك الحركة السرية حتى عاد مرة ثانية إلى الموساد بعد ذلك بسنوات ليرأس الجهاز .

●● ولكن بسؤالى للسيد (توليدانو) القيادى السابق فى الموساد حول حقيقة دور شامير فى الموساد قال : إن شامير لم يكن طوال عمره سوى (عمالة مؤقتة) استعانت به الموساد فى مهام معينة ومحدودة ؟!

● فيزنتال : لقد قلت ما أعرفه .. لقد تولى شامير لفترة طويلة وحساسة ملف العلماء الألمان فى مصر، وكان الاسم الحركى لهذه العملية « داموكليز » وأؤكد مرة ثانية أن كلًا من المدعو سكوتونسى وصاحبه الألمانى الآخر الذى كان يعمل فى مصر قد تم تجنيدهما بأسلوب يُعْرَفُ فى عالم المخابرات باسم « الأعلام المتداخلة المزيفة » أى أن يختفى رجل المخابرات الذى يقوم بعملية التجنيد تحت ساتر آخر وجنسية أخرى .

وعلى أية حال فإن الرجلين قد توفيا منذ سنوات ، وكانت وفاة الداهية سكوتونسى فى أسبانيا عام ١٩٧٥م .

●● بصفتك المسئول الأول عن تعقب وتَصَيُّد النازيين .. هل تعاونتم بأى شكل من الأشكال مع شامير فى ذلك الوقت فى وتَصَيُّد علماء الصواريخ الألمان فى مصر خلال الستينيات على اعتبار هؤلاء العلماء نازيين سابقين ؟

● فيزنتال : نعم .. ولكن التعاون جاء من خلال قضية واحدة وهى قضية النازى أيخمان !

بحر الكتب
bahr.alktob

●● فى شهر يوليو عام ١٩٩٢م قام المؤرخ البريطانى الأشهر ديفيد إيرفينج بنشر المذكرات الأصلية - بعد تحقيقها وتدقيقها - لوزير الدعاية النازى الراحل (جوبلز) .. هذه المذكرات المكتوبة بخط يد الوزير الألمانى كشفت عن أن معظم ما قيل عن تاريخ المذابح النازية ضد اليهود كان مبالغاً فيها .. أنت كصائد للنازيين اعتمد تاريخه على تعقب النازيين أغلب حياته .. ما هو رأيك فى هذا الادعاء ؟

● فيزنتال : لقد تعودنا من وقت لآخر أن يأتى من يشكك فى حقيقة أبعاد المذابح النازية ضد اليهود .. وأن يزعم البعض بأن هتلر لم يكن على علم بتلك المذابح ، أو أن عدد الضحايا لم يصل إلى ستة ملايين وأنه لا يتجاوز بضعة آلاف .

●● ولكن إيرفينج يُعد واحداً من كبار المؤرخين فى العالم !

● فيزنتال : الدليل الذى ساقه إيرفينج ، يتمثل فى قوله : إنه لم يعثر على أية وثيقة تتعلق بمذابح اليهود وعليها توقيع الزعيم النازى الراحل هتلر .. لقد كان « ألبرت شبير » وزير الصناعات الحربية فى ألمانيا النازية والصديق المقرب لهتلر صديقاً لى !

وقد حُكِم على (شبير) فى محاكمات نورمبرج - لزعماء النازية عقب الحرب العالمية الثانية - بالسجن لمدة عشرين عاماً ، وقد اعترف شبير أثناء محاكمته بأنه مذنب ليس فقط عما قام به ، وإنما هو مذنب لكونه عضواً فى الحكومة النازية .. وقد طلبت من الرجل فيما بعد أن يضع كتاباً يكون بمثابة الإنذار للشباب الألمانى بناء على تجربته الشخصية .. حيث إن هتلر لم يدمر اليهود فقط .. وإنما دمر ألمانيا نفسها .

لقد دعت جماعات النازية الجديدة فى ألمانيا المؤرخ البريطانى إيرفينج لإلقاء خطاب فى هذا الشأن .. وقد قامت السلطات الألمانية بتوقيع غرامة عليه قدرها ١٠ آلاف مارك بسبب الخطاب الذى ألقاه فى مدينة ميونيخ .. والآن فإن المانيا والنمسا تحظران دخول المؤرخ إيرفينج

بحر الكتب
bahr.alktob

باعتبار أنه يقوم بالدعاية لهذه الجماعات النازية الجديدة .. أيضاً فإن كندا رحّلته من أراضيها فى عام ١٩٩٢م .

●● ولكنك تغفل شيئاً هاماً .. ألا وهو أن إيرفينج هو أحد القليليين الذين يستطيعون أن يتعرفوا على خط يد جوبلز ، الأمر الذى يؤكد أصالة هذه المذكرات .. أى أن الرجل لم يأتِ بشىء من بنات أفكاره .. أيضاً فإن المؤرخ الكبير لم يقم بالدعاية لجماعات النازية الجديدة ، وإنما تعرض لنقطة محددة ألا وهى مذكرات النازى السابق .

● فيزنتال : إنه كاذب .. !! انظر .. لقد نشرت كتاباً ضد المؤرخ إيرفينج فى بريطانيا بعنوان « رغبة الزعيم » وقد ضَمَّنْتُ هذا الكتاب جميع الأدلة فى هذا الشأن .. لقد قام (رودلف هيس) نائب هتلر بالتوقيع على وثيقة مؤتمر نورمبرج بشأن السياسة ضد اليهود .. وفيما بعد قام (هيرمان جورنج) قائد القوات الجوية بالتوقيع على وثيقة مؤتمر فانزينج الخاص بالمذابح ضد اليهود ، ثم قام جورنج بإعطاء الأوامر إلى (هايدريش) مدير جهاز « الجوستابو » المخابرات الألمانية فى ذلك الوقت .. أما الوثيقة الوحيدة التى وقعها هتلر بيده فكانت الخاصة بإعدام المرضى والعجزة .

●● كما قلت توأ .. كانت هناك أوامر بإعدام المرضى والعجزة .. وما لم تقله هو إعدام الغجر والعديد من الشعوب السلافية .. والحقيقة هى أن الملايين قد لقوا حتفهم بسبب سياسات ألمانيا النازية التوسعية فى ذلك الوقت وليس اليهود فقط .. اليهود كانوا يمثلون فئة قليلة العدد إذا ما قورنوا بغيرهم من الأجناس الأخرى ، وكذا أصحاب الديانات .. فلماذا إذن البكاء والصراخ والمطاردة من جانب اليهود فقط ؟!

● فيزنتال : ... ... صمت) .

لقد نشأ خلاف بينى وبين إيلى فيزل وهو يهودى حاصل على جائزة نوبل وذلك بسبب هذه النقطة وبسبب إصرارى على خطتنا بالتركيز على

بحر الكتب
bahr.alktob

ضحايا النازية ، فقد كان رأيى أنه يجب توسيع جبهة المواجهة مع جرائم النازية ضد ملايين البولنديين والسلاف والغجر وغيرهم .

●● ولكنك لم تفعل .. ولم يفعل أى شخص آخر ؟!

● **فيزنتال : ... ... صمت) .**

●● لقد قام الكاتب الأمريكى الشهير (آرثر بوتس) بوضع كتاب بعنوان « خدعة القرن العشرين » حيث قرر بعد دراسة مستفيضة ومفصلة بأنه لم تقع عملية إعدام واحدة سواء بالغاز أو بالحرق فى معسكر الاعتقال الشهير أو شفيتس .. وبناء على أبحاث علمية مكثفة قام بها الكاتب مستعيناً بفريق من الخبراء استمرت لمدة ١١ عاماً أكد أن غاز الزيليكون الذى أشيع أنه كان يستخدم فى عمليات الإعدام كان يستخدم فى الحقيقة كمطهر لزنازين المعسكر من الأوبئة والحشرات وخاصة القمل الذى انتشر فى المعسكر وأدى لانتشار وباء التيفود الخطير الذى تسبب وفاة آلاف من المعتقلين .. ما ردك على ذلك ؟!

● **فيزنتال : أنا أعرف السيد بوتس وهو أستاذ فى علم الألكترونيات فى جامعة شمال شرق شيكاجو ، وإذا كنت شخصياً أستطيع أن اضع كتاباً فى الألكترونيات ، فإن السيد بوتس يستطيع أن يضع كتاباً عن مذابح اليهود (!!) .**

●● إلا أن ذلك لا ينفى قيام الرجل بهذه الدراسة العلمية المستفيضة التى استمرت ١١ عاماً استعان خلالها بمعامل بحثية محترمة .. كما أن تخصص الرجل فى علوم الالكترونيات ليس دليلاً ضده ولا ضد دراسته ، فهناك العديد من الأساتذة المتخصصين فى فروع معينة من العلوم ولكنهم يبرعون فى مجالات أخرى .. ويكفى فى هذا المجال أن نسوق اسم العلامة ناعوم تشومسكى الذى يعتبر حجة فى مجال الرياضيات إلا أنه فاق أقرانه فى مجال علم اللغويات والعلاقات الدولية .. بل إنه وضع نظريات جديدة فى مجال اللغة والعلاقات الدولية .

بحر الكتب
bahr.alktob

● **فيزنتال : هناك مركز يسمى « مركز مرجع التاريخ » ومقره فى مدينة تورانس بولاية كاليفورنيا الأمريكية .. ولهذا المركز ينتمى أشخاص مثل : أرثر بوتس ، والمؤرخ ديفيد إيرفينج وآخرين .. ولكن المفارقة هى أنه ليس من بين هؤلاء مؤرخ واحد (!!) .**

●● كيف ذلك ؟ أنت بنفسك اعترفت لتوك بأن إيرفينج يعمل مؤرخاً .. وليس مؤرخاً عادياً .. وإنما هو واحد من أكبر المؤرخين فى العالم ؟!

● **فيزنتال : نعم .. إنه مؤرخ ، غير أن هذا المركز ليس للتأريخ .. وإنما لهستريا التأريخ (!!) .**

●● فى رأيك .. ما هو الدافع وراء قيام كل هؤلاء العلماء بالتشكيك فى مذابح اليهود ؟

● **فيزنتال : إنهم يكذبون بسبب ميولهم النازية (!!) .**

●● كلهم نازيون ؟

● **فيزنتال : نعم (!!) .**

●● دعنا ممن تدعوهم نازيين ممن ينتمون لمركز « مرجع التاريخ » .. ماذا عن (فريد لاوشتر) فهو مؤرخ ألمانى ومعروف بدقته وبراعته العلمية وموضوعيته ، وهو لا ينتمى إلى مركز « مرجع التاريخ » .. وهو ينفى وقوع مثل هذه المذابح الهائلة المزعومة ضد اليهود ؟!

● **فيزنتال : إنه كاذب هو الآخر .. وسأخبرك بقصة عنه .. لقد ثبت أثناء إدلائه بالشهادة أمام محكمة تورنتو الكندية بشأن مذابح اليهود .. أنه لم يكمل تعليمه (!!) .**

●● وبفرض صحة هذه القصة .. فما علاقتها بما نحن بصدده ؟!

● **فيزنتال : ... ... صمت) .**

●● السيد فريد لاوشتر ، عُرِفَ بأنه مؤرخ متخصص .. ولا يُعقَل أنه لم يُكْمِلْ تعليمه .. وعلى مدار سنوات طويلة قام بأخذ عينات من غرف الإعدام بالغاز فى (معسكر اعتقال بيركناو) فى بولندا والكشف عليها

بحر الكتب
bahr.alktob

بالكربون المشع لتحديد عمرها بدقة وتحليلها كميائياً لاكتشاف بقايا الغازات السامة بها والتى تترك أثراً لعشرات السنين وخرج بنتيجة مؤداها أن غرف الغاز لم يتم بناؤها إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وأنها لا تحمل بقايا آثار للغازات السامة .. ثم كان الكشف التالى وهو أن السلطات البولندية قامت ببناء هذه الغرف بعد الحرب تحت ضغط من اليهود .. ما هو تعليقك ؟

● **فيزنتال : أعلم ذلك .. لقد جاء بعد ٤٠ عاماً لكى يأخذ عينات من أحجار هذه الغرف ولكى يقول إنه لم يجد بقايا آثار غاز الإعدام عليها .. ويكفى اعتراف مسئول مثل ألبرت شبير وزير الصناعات الحربية الألمانى .**

●● من الممكن أن يكون قد اعترف لتخفيف العقوبة عليه وهو نظام قضائى معروف فى الغرب ؟!

● **فزنتال : كلا ...**

●● جون ستيلماكوس [أمريكى من أصل ليتوانى] .. جاك ريمر [أمريكى من أصل أوكرانى] .. ومايكل شميت وفالتر كوتشمان [الأرجنتينيان من أصل ألمانى] كل هؤلاء اتهموا من خلالك بارتكاب جرائم نازية ضد اليهود ، وتم ترحيلهم من دول المهجر وتسليمهم أو فى طريقهم للتسليم لإسرائيل .. هل لديكم شبكة بمثل هذا الاتساع من العملاء فى جميع أنحاء العالم لتزويدكم بمعلومات فى هذا الصدد والمشاركة فى تعقب هؤلاء المتهمين ؟

● **فيزنتال : نعم .. إذا ما وصلتنا معلومات عن وجود أحد المطلوبين فى مكان ما فإننى أطلب من أحد الزملاء السابقين من اليهود – منذ أيام معسكرات الاعتقال والذين هاجروا على سبيل المثال إلى الإكوادور فى أمريكا الجنوبية – بأن يبعث لى بمعلومات عن الشخص المطلوب .. وفى هذه الحالة .. إما أن أتصل به تليفونياً أو أرسل إليه خطاباً حسب الظروف المحيطة طالباً منه أن يؤكد لى حقيقة هذا الشخص وماذا يعمل .. إلخ .. وعندئذ أضع هذه المعلومات فى ملف أسلمه للسلطات الألمانية**

بحر الكتب
bahr.alktob

أو النمساوية وأطلب منهما أن يطالبا بتسليم هذا الشخص .. وفى نفس الوقت أتابع شخصياً التحريات وتعقب الشخص المطلوب فى جميع تحركاته ، كما أقوم بمتابعة طلب التسليم وأجرى اتصالات دولية بهذا الشأن .

●● ونتيجة هذه التحركات تكون مضمونة ١٠٠٪ ؟

● **فيزنتال : نعم ..**

●● وماذا عن (قضية ديمانيوك) الشهيرة التى تم خلالها ترحيل الرجل الهَرِم من أمريكا وانتزاع جنسيته الأمريكية وفضحه فى العالم كله ووصمه بارتكاب إثم ضد الإنسانية واليهود خلال محاكمته فى إسرائيل .. قبل أن يتضح بالدليل القاطع أن الرجل ليس هو المطلوب ، وإنما هو تشابه فى الشكل والملامح ومسقط الرأس مع الشخص المطلوب .. إذا لم يكن دليل النفى هذا قد ظهر ، فربما ذهب هذا الرجل البرىء ظلماً .. ألا تؤمن بالقاعدة القانونية التى تقول : أن يترك مائة مجرم طلقاء أفضل من إدانة برىء واحد ؟!

● **فيزنتال : ديمانيوك هو حالة ضمن حالات قليلة لم أتابعها بنفسى وليس لدىَّ ملفات عنه ..!**

●● مطاردة النازيين مهمة تنطوى على مخاطر .. ألم ينقلب الحال فى بعض الأحيان إلى العكس .. أى أن تكون أنت مطارداً ؟

● **فيزنتال : عندما كنت أعمل فى النمسا وحتى الستينيات كانت علاقتى بأجهزة الأمن فى الجيش الأمريكى أكثر من ممتازة ، وأيضاً أجهزة الأمن النمساوية وحتى الآن .. وقد تستغرب إذا ما عرفت بأن المرات القليلة التى تعرضت فيها للخطر لم تكن على أيدى النازيين أيام هتلر ، وإنما على أيدى يهود ممن تعاونوا مع الجوستابو وكونوا ما عُرِف باسم « البوليس اليهودى » أو « ميليشيات يهوذا » .. أحدهم يدعى ديفيد زيميت الذى اقتحم علىَّ مكتبى فى مدينة لينتس وحاول طعنى بسكين !**

بحر الكتب
bahr.alktob

.. إلا أن الأمر لم يكن بهذا السوء فى معظم الوقت .. فى الخامس من شهر مايو من كل عام يقام احتفال تذكارى على مشارف مدينة لينتس أمام معسكرات ماتهاوزن الألمانية .. فى ذلك اليوم من هذا الشهر فى عام ١٩٧٠م حضرت هذه الاحتفالات التى حضرها وفد من الاتحاد السوفيتى ضم عدداً من المعتقلين فى المعسكرات النازية سابقاً .. وتحدثنا معاً حيث أننى أجيد اللغة الروسية .. إلا أننى لاحظت أحدهم وكان شاباً صغيراً يتحدث الروسية بلكنة ثقيلة جداً وواضحة .. وقد أخبرنى هذا الشاب أنه ليس سوفيتياً وإنما من أمريكا الجنوبية ويدرس فى جامعة لومومبا فى موسكو .. وخلال اللقاء قام الأصدقاء السوفييت بشرح عملى فى مطاردة النازيين للشاب الصغير ، وأننى لعبت دوراً هاماً فى الإيقاع بأدولف أيخمان .. وعندئذ اقترب الشاب منى وأمسك بى بكلتا يديه وتحدث بصوت هادئ قائلاً : أنا أشكرك .. أشكرك كثيراً جداً .

فى عام ١٩٧٨م انشق هانز يواخيم كلاين أحد أعضاء ما عُرِفَ بالخلايا الثورية – والذى شارك فى الهجوم على مؤتمر الدول المصدرة للبترول فى فيينا عام ١٩٧٤م – .. أقول إنه فى بداية الثمانينيات أجرت (صحيفة ليبراسيون) الفرنسية اليسارية حديثاً مع كلاين الذى قرر أنه فى وقت من الأوقات وضع اسمى على قائمة الشخصيات المستهدفة بالتصفية الجسدية من قبل الخلايا الثورية لعلاقاتى بالموساد ، وعندما علم كارلوس بذلك عارض بشدة قائلاً : سيكون من الجنون إطلاق النار على مثل هذا النوع « فيزنتال » .. فهو مناهض للنازية .. إن هذا الشاب الصغير الذى كان يدرس فى جامعة لومومبا هو (كارلوس) الذى اشتهر فيما بعد بعملياته الإرهابية الجريئة !!

●● ألم تفشل أبداً فى مهمتك ؟ .. وإذا كان يوجد هناك فشل .. فما هو مداه وما هو أثره على نفسك ؟

● فيزنتال : بالطبع .. فقد قلت لك إننى تعقبت ونجحت فى

بحر الكتب
bahr.alktob

الوصول إلى ما يقرب من ألف من النازيين الهاربين .. إلا أن ذلك العدد يأتى من أصل ما يقرب من ٣٠٠٠ قضية كنت أتابعها ومازلت أتابع بعضها حتى الآن .. أما أبرز فشل واجهته فى هذا الصدد فهو قضية الدكتور جوزيف منجليه .. فقد كان ولا يزال هذا الطبيب هاجساً وشبحاً يطاردنى .. أو بمعنى آخر أطارده أنا .. وللطبيب هذا قصة أخرى .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

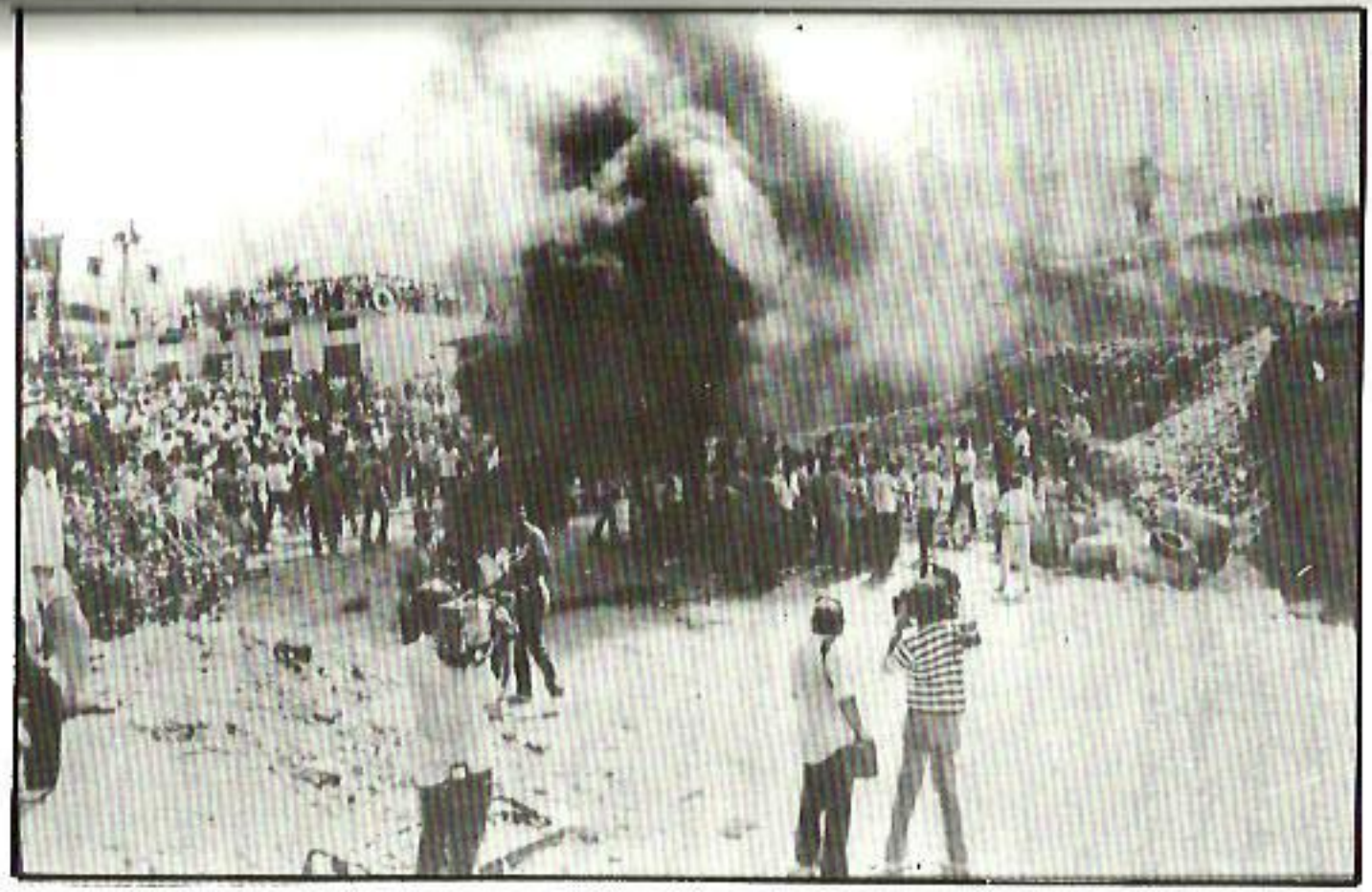

هذا المشهد تعامت عنه أنظار أدعياء الديمقراطية فى الولايات المتحدة وفى عالم الغرب .. سلطات الاحتلال الإسرائيلية تقوم بتفجير
منازل قادة المقاومة الفلسطينية تحت سمع وبصر وسائل إعلام العالم !!

بحر الكتب
bahr.alktob

الفصل الرابع

صائد النازيين .. يتجسس على المفاعل الإيرانى !

بحر الكتب
bahr.alktob

طاردت إسرائيل هذا الرجل الذى يظهر وقد غُلّت يداه فى القيد الحديدى الأمريكى حيث قبض عليه داخل الأراضى الأمريكية .. ويرى هنا بعد أن هبط من الطائرة التى أقلته من الولايات المتحدة إلى تل أبيب لمحاكمته بتهمة (اضطهاد اليهود) أثناء الحرب العالمية الثانية .. ومن الطريف أن هذا الرجل قد برئت ساحته بعد محاكمة استمرت أربعة أعوام عندما اتضح أنه ليس أكثر من شبيه للمتهم الحقيقى « جون ديانيوك » ترى كم من برئ تكررت معه هذه الصورة دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه ؟!!

بحر الكتب
bahr.alktob

الحديث عن مطاردة النازيين واصطيادهم لم ينته بعد .. فمازال فى جعبة سيمون فيزنتال البولندى المولد .. النمساوى التجنس .. اليهودى الجنسية .. فما زال فى جعبته الكثير من الملفات والمعلومات المجهولة وكذلك المؤامرات الشيطانية .

فى هذا الفصل سنتحاور مع (فيزنتال) صائد النازيين حول العديد من هذه المؤامرات والتى يبدؤها هو بالحديث عن فشله الكبير وخيبته الكبرى ، ومؤامراته التى أحبطت .. والتى أحبطته حتى يومنا هذا .. يتحدث فيزنتال عن ذلك الشبح الذى طارده هو أو العكس صحيح ! .. الشبح الذى قض مضاجع ذلك اليهودى .. وهو الدكتور جوزيف مينجلة .. يقول فيزنتال :

بداية فإن أسهل الأشياء أن يرتب أى شخص ظروفاً معينة لكى يعطى انطباعاً خادعاً للناس بأنه قد رحل عن الدنيا .. ولذا فإن إعلانات وفيات النازيين السابقين من أكثر الأشياء التى قد تخدع الناس .. فقد فعلها نازيون سابقون أمثال : « ادولف أيخمان » ، و « دكتور هايد سافاد » و « هاينريش مولر » مدير جهاز المخابرات الألمانية « الجوستابو » .. كل ذلك دفعنى لكى أتعامل مع هذه الإعلانات بحذر وريبة شديدين .. أيضاً فإننى يجب أن أقر بأن الرغبة القاتلة فى مطاردة هؤلاء الألمان كانت فى كثير من الأحيان تدفعنى إلى استبعاد فكرة وفاتهم ، أو بمعنى آخر تمنى عدم وفاتهم حتى يمكن الإيقاع بهم قبل ذلك !!

وبطل هذا الملف هو الدكتور « مينجله » .. الذى يصفه زملاؤه ومعاصرون له بأنه لم يكن طبيباً عادياً .. فبجانب شهاداته الطبية فهو حاصل على شهادة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة ميونيخ ! .. وقد تخصص مينجله فيما بعد فى مجال طبى كان جديداً فى ذلك الوقت .. ألا وهو علم الأجنة ومواليد التوائم .

بحر الكتب
bahr.alktob

إلا أن الرجل قد وصل به الشطط إلى الحد الذى دفعه إلى محاولة تحويل الجنس البشرى إلى جنس من الشقر ذوى العيون الزرقاء طوال القامة .. الأمر الذى جعله يجرى أبحاثاً فى منتهى الخطورة أدت لقتل العديدين .

وعلى العكس من أيخمان الذى ظل مكان اختبائه غير معلوم لفترة طويلة ، فإن مينجله لم يكترث بأن يختفى عن الأنظار .. ففى نهاية الحرب عام ١٩٤٥م ترك الطبيب العبقرى معسكر أوشفيتس وعاد إلى بلدته جينزبيرج الواقعة على نهر الدانوب .. حيث أقام علانية حتى عام ١٩٥١م عندما ظهر اسمه خلال متابعات قضايا النازيين .. فى تلك اللحظة اختفى الرجل من بلدته فاراً إلى مورانو فى إيطاليا مستعيناً بمنظمة « أوديسا » التى أوصلته إلى العاصمة الأرجنتينية بيونس أيرس عبر أسبانيا .. وصل مينجله إلى هناك عام ١٩٥٢م وهو يحمل اسماً ألمانياً أرستقراطياً وهو (فريدريش فون برينباخ) لكى يفتتح عيادة طبية خاصة .

فى عام ١٩٥٤م نجح صديق لى هو (هيرمان لانجبياين) سكرتير عام ما يعرف بلجنة معسكر أوشفيتس فى التعرف عليه والحصول على عنوانه .. وترتيباً على ذلك طالبت السلطات الألمانية رسمياً حكومة الأرجنتين بتسليمه .. وكالعادة فى ذلك الوقت رفضت الأخيرة التسليم بحجة عدم استطاعتها العثور عليه .. وتكرر الطلب وكذا تكرر الرفض حتى جاء عام ١٩٥٩م عندما نجح أحد رجالى فى الحصول على عنوان الطبيب الألمانى بدقة شديدة وتم تسليمه للسفارة الألمانية فى بيونس أيرس .. وهذه المرة جاء الرد كالتالى :

« إذا كان الرجل موجوداً فى الأرجنتين فإن الاتهامات الموجهة إليه يغلب عليها الطابع السياسى أكثر منها الجنائى » .. إلا أن مينجله قرر أثناء طلب التسليم الثالث أن يغادر البلاد مؤقتاً إلى باراجواى .. حيث صدر قرار بعد أسبوع من وصوله بمنحه جنسية باراجواى تحت اسمه الحقيقى جوزيف مينجله ، ثم عاد إلى الأرجنتين لكى يتخذ من منطقة باريلوخ تحت سفوح

بحر الكتب
bahr.alktob

جبال الإنديز مقراً له والتى تبعد عدة كيلو مترات على حدود شيلى لكى يكون على أهبة الاستعداد لأى طارئ .

فى عام ١٩٦٠م وعقب اختطاف المخابرات الإسرائيلية أيخمان شعرت الأرجنتين بالقلق والحرج مما دفعها لأول مرة لإصدار أمر بالقبض على جوزيف مينجله .. إلا أنه فى ذلك الوقت لم يكن الطبيب الألمانى الهارب موجوداً فى الأرجنتين ولا فى القارة الأمريكية على الإطلاق .. كان الرجل فى آخر مكان يمكن أن يتصوره شخص فى العالم وخاصة السلطات الألمانية .. كان الرجل فى ذلك الوقت فى مسقط رأسه جينزبيرج فى قلب ألمانيا .. حيث غامر بحياته لحضور جنازة والده مستعيناً فى ذلك بشبكة من أصدقائه الأوفياء ممن كانوا يعملون كعيون له فى كل مكان .. قضى الرجل عدة أيام قبل أن يعاود الكرّة إلى أمريكا الجنوبية مرة ثانية ، فيماعدا أنه ذهب هذه المرة إلى باراجواى .. حيث استقر فى العاصمة « أوسنسيون » .. الغريب أن جميع أهالى البلدة - مسقط رأس مينجله - تعرّفوا عليه أثناء زيارته الخاطفة .. إلا أن أحداً منهم لم يفكر - مجرد التفكير - فى الإبلاغ عنه لدرجة دفعت النائب العام الألمانى فى ذلك الوقت لكى يصف أهالى هذه البلدة بأنهم تصرفوا كمتآمرين !

فى ذلك الوقت كانت باراجواى مرفأ آمناً لجميع النازيين السابقين .. حيث كان يبلغ تعداد الجالية الألمانية فى البلاد ٣٠ ألف مواطن من أصل تعداد سكان يقل قليلاً عن المليونين .. فى الوقت نفسه كان ديكتاتور باراجواى ورئيسها فى ذلك الحين هو الجنرال « الفريد شترونسير » وهو من أصل ألمانى ويعشق كل ما هو ألمانى وخاصة فى المجال العسكرى .

فى نفس العام وصلتنى معلومات عن اعتزام « رولف » ابن الدكتور مينجله والذى يعمل محامياً فى برلين القيام برحلة عاجلة للبرازيل .. فى السابع من فبراير عام ١٩٧٩م ترددت أنباء عن غرق مينجله أثناء قيامه بالسباحة فى أحد الأنهار .. إلا أن نبأ الغرق لم يذع إلا فى عام ١٩٨٥م ..

بحر الكتب
bahr.alktob

وعلمت بالنبأ وأنا أهبط من الطائرة التي كانت تقلني من النمسا إلى مطار جون كيندى في نيويورك .. وعندما سألني الصحفيون عن تعليقي على النبأ المفاجئ كان ردى : هذه هي المرة السابعة التي يموت فيها مينجله منذ أن بدأت أطارده .

وعلمت فيما بعد أن خبر الوفاة عرف عندما تلقى مكتب المدعى العام في فرانكفورت إخبارية من مجهول تقول : إن وثائق خاصة بمينجله موجودة في مكتب محامي الأسرة الذى كان في خارج البلاد ولم يستدل على عنوانه .. وبتفتيش المكتب وجدت مراسلات من بينها واحدة تقول : إن مينجله مات غرقاً في الزمان الذى ذكرناه من قبل وأنه مدفون تحت اسم فولفجانج جيرهارد في مقبرة إيمبو في مدينة ساو باولو بالبرازيل .

وللوهلة الأولى تبدو الأمور منطقية جداً .. فإن كان الأمر مجرد تمثيلية .. فلماذا تم الانتظار منذ تاريخ الوفاة في عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٥م للإعلان عنها .. في حين أنه من المنطق الإسراع في الإعلان عن الوفاة في أعقابها ؟!

إلا أنني عدت مرة ثانية لأطرح سؤالاً هو :

إذا ما كنا نرغب في تمثيل الوفاة .. أليس من الأفضل الادعاء في عام ١٩٨٥م بأن الوفاة تمت في عام ١٩٧٩م ؟!

وطبقاً لمحاضر شرطة ساو باولو ، فإن مينجله كان يقوم برحلة على الشاطئ مع أسرة تمساوية تدعى بوسيرت .. رب العائلة كان ضابطاً سابقاً في قوات العاصفة النازية .. الرجل كان بعيداً عن الشاطئ لحظة الحادث ، إلا أن زوجته سمعت صراخ مينجله وهو يغالب المياه أثناء الغرق .. فخاضت المياه ونجحت في سحبه للشاطئ إلا أنه كان قد أصبح جثة هامدة ..

وفي اليوم التالي تم ترتيب الجنازة التي رفض المشاركون فيها قيام اللَّحاد

بحر الكتب
bahr.alktob

بفتح التابوت لدقائق أمام الحضور كما هى العادة فى هذه المناسبات .. ثم اتضح أن اسم فولفجانج جيرهارد الذى دفن به مينجله هو اسم مواطن نمساوى كان يقضى الأجازة مع العائلة النمساوية المذكورة .. وأنه ترك أوراقه الشخصية لمينجله لكى ينتحلها لنفسه رغبة منه فى مساعدته .. إلا أن جيرهارد - الذى كان يصغر مينجله بـ ١٦ عاماً - توفى عقب عودته إلى مدينة جراتز بالنمسا بعد الحادث مباشرة وفى ظروف غامضة!! أشياء كثيرة تثير الشكوك مثل : كيف تتمكن سيدة من انتشال جثة رجل فى حجم مينجله من النهر ؟! .. كيف لرجل فى السبعين من عمره أن يذهب بعيداً إلى أماكن عميقة من النهر ؟! وإذا كان ذلك .. فكيف سمعت السيدة صرخته ؟!

إلا أن جميع هذه الشكوك تقرر حسمها بتشكيل لجنة طبية ضمت أطباء بارزين من جنسيات مختلفة وفى مجالات مختلفة لنبش قبر مينجله وتشريح رفاته ومضاهاتها بملفه الطبى لدىّ ..

وقد ضمت هذه اللجنة أسماء مثل : على الحملى رئيس قسم الطب الشرعى فى معامل ديلاوير الأمريكية - وهو مصرى الأصل - وكلايدسنو من إدارة الطب الشرعى فى ولاية أوكلاهوما الأمريكية ، وجون فيتز باتريك رئيس قسم الأشعة بجامعة شيكاجو .. والثلاثة شاركوا مع غيرهم فى تشريح جثة الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى ، بالإضافة إلى خبراء ألمان وبرازيليين .

وكانت النتيجة بعد التشريح أنهم توصلوا إلى احتمال يقترب من التأكيد من أن الرفات تعود إلى مينجله .. ولم تساورنى الشكوك القوية بأن الرجل ما زال حياً حتى الآن .. فبالرغم من أن التقرير الطبى العسكرى لمينجله يقول بأن طوله يبلغ ١٧٤ سم .. وبالرغم من أن هذا الطول يقل كثيراً مع تحلل اللحم والجلد من فوق القدمين ومع سقوط شعر الميت ومع تآكل الغضاريف بين فقرات العمود الفقرى .. إلا أن طول الهيكل العظمى كان لا يزال ١٧٤ سم ؟!

بحر الكتب
bahr.alktob

أيضاً فإنه طبقاً لشهادة عائلة « بوسيرت » النمساوية فإنه تم وضع الجثمان بعد إلباسه بذلة كاملة وحذاء جديداً .. ومع ذلك لم يتم العثور حتى على قطعة صغيرة من أى حذاء ولا على أى قطعة ملابس ؟! ومع ذلك فأنا لا أشك فى آراء خبراء مشهورين ، فرأيهم فيصل .. إلا أننى وحتى الآن أحتفظ بملف مينجله مفتوحاً ومستعد لتقصى أى معلومة تفيد بظهوره مرة أخرى فى أى مكان !!

* * *

●● فى رأيك .. ماذا يعنى قرار كل من استراليا وكندا بوقف عمليات مطاردة محاكمة مسئولى النازية السابقين فوق أراضيهما ؟ .. ألا يعنى ذلك شكوكاً قوية فى عدالة مثل ما تقوم به من عمل ؟

● **فيزنتال : بالنسبة لاستراليا أعتقد أن الأمر يتعلق بالميزانية .. أما بالنسبة لكندا فالأمر مختلف .. ولذا فإننى قررت مقاطعة كندا ولن أقبل أى دعوة للزيارات أو لإلقاء المحاضرات أو ما شابه هناك !**

●● دعنا من ذلك واسمح لى أن أطرح أمامك معلومة محققة لدىّ وهى قيام مؤسساتكم بجمع معلومات سرية عن أنشطة إيران النووية .. والمسئول عن هذا النشاط أمريكى كان يعمل مسئولاً أمنياً أمريكياً سابقاً يدعى (كينيث تيمرمان) .. بماذا تفسر هذا النشاط التجسسى الذى لا يتفق مع نشاط مؤسستكم ؟

● **فيزنتال : نعم .. لقد قام بذلك النشاط مركز يحمل اسمى** – مركز سيمون فيزنتال – **وهو يتخذ من مدينة لوس أنجلوس الأمريكية مقراً له .. وبالفعل كان القائم على هذا المشروع خبيراً أمريكياً اسمه « كينيث تيمرمان » .. ولكن ما أحب أن أؤكده أن هذا المركز مستقل عن مركزى !!**

●● ولكنكم كان لديكم دور معين من قبل فى بعض الأنشطة البعيدة عن تعقب النازيين مثل قضية العلماء الألمان فى مصر .. فما يمنعنا من الاعتقاد بوجود نفس هذا الدور مع إيران الآن ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● **فيزنتال : (... ... ... صمت) .**

●● ما هو الهدف ؟ .. وهل تتوافر لهذا المركز فى لوس أنجلوس الإمكانيات لجمع معلومات سرية من هذا القبيل ؟ وإذا توافرت .. فما هى ؟

● **فيزنتال : لم أعلم بهذا الموضوع قبل أن يتم (!!) .**

●● بعد كل هذه السنوات فى مطاردة النازيين السابقين .. وبعد ظهور زعماء متطرفين عنصريين فى أوروبا مرة ثانية أمثال (جورج هايدر) زعيم الحزب اليمينى فى النمسا ، و(جان مارى لوبن) فى فرنسا وغيرهما كثير .. كيف ترون المستقبل فى أوروبا ؟ .. وألا يُعد ذلك مخالفاً لما تسعى إليه ؟

● **فيزنتال : هذه الشخصيات خطيرة .. لقد أصدرت تصريحات هاجمتُ فيها « هايدر » مما دفعه إلى مقاضاتى ، إلا أنه تنازل عن القضية فيما بعد .. والسبب فى ذلك معرفته التامة بأن لدىَّ أدلة على اتهاماتى الخطيرة له .. نعم .. لا يمكن ولا يجوز أن نتوقع خيراً من هؤلاء الناس .**

●● ألا ترى أنه والحال كذلك فى أولوية وأفضلية التركيز فى جهودكم وإمكاناتكم ضرورة محاربة مثل هذا الخطر العنصرى الجديد المنطلق من أوروبا مثل الاتجاهات العنصرية لدى الصرب وغيرهم .. بدلاً من الاستمرار فى محاربة ومطاردة أشباح الماضى النازية ؟!

● **فيزنتال : إن جرائم النازية أكبر من أن يتم إغفالها .. وما أحاول أن أفعله هو أن أحذر مجرمى الغد الذين قد يولدون اليوم !!**

●● ولكن مع ظهور اليمين المتطرف فى أوروبا ومع المد العنصرى هنا .. ألا يعنى ذلك نتيجة سلبية لاهدافكم .. وبالتالى ضرورة النظر لما هو واقع حالياً ويمثل خطورة فى المستقبل ؟

● **فيزنتال : نحن نتحرك فى هذا الاتجاه أيضاً ..**

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

على مدار أربعة فصول .. طاردنا خلالها صائد النازيين .. وتعرفنا على بعض من جوانب هذا العالم السرى المثير الذى تختلط فيه جميع أشكال التخابر ، ويتعدد فيه اللاعبون من إسرائيليين ، بعضهم ينتمون لمؤسسات أمنية رسمية مثل الموساد ، وآخرون فى خلايا سرية غير رسمية مثل جماعة شامير جيئولا كوهين .. إلا أننا فى سعينا لاستكمال هذا الملف الهام عدنا مرة أخرى إلى شموئيل توليدانو .. فالرجل كان من أبرز ضباط ومسئولى المخابرات الإسرائيلية فى السابق .. وترقى فى دهاليزها حتى وصل إلى مناصب عليا فى الموساد .. وكانت النقطة هى إدارة تعقب النازيين فى الموساد .. تلك الإدارة التى كانت - حيث تم إلغاؤها منذ سنوات - إدارة بارزة فى المخابرات الإسرائيلية .

كان السؤال الأول :

●● هل تعاملت وتعاونت مع فيزنتال خلال عملك فى الموساد ؟

وجاء رد توليدانو :

● نعم .. ولكن بشكل محدود .. فقد كانت عملية اختطاف أدولف أيخمان تقريباً عملية خطط لها وقام بتنفيذها الموساد وحده .. فيزنتال ساعدنا بقدر معين .. وخاصة فى المعلومات الشخصية الخاصة بأيخمان .

●● هل نستطيع أن نصدق ما يذاع عن أن فيزنتال هو صائد النازيين الأوحد فى العالم تقريباً ؟

● توليدانو : فيزنتال أعرفه جيداً وبشكل شخصى وله خبرة واسعة وتاريخ .. إلا أن الإدارة فى الموساد كان لها نشاط وتحرك كبير جداً .. جداً .

●● هل توافرت لك الفرصة فى العمل فى إدارة تعقب النازيين مع رئيس الوزراء السابق إسحاق شامير عندما كان ضابطاً في الموساد .. وفى فرق الاغتيال ؟

بحر الكتب
bahr.alktob

● توليدانو : كلا .. فشامير مع آخرين لم يكونوا ضباط موساد دائمين .. فقد كان يتم الاستعانة بهم فى أوقات معينة محددة ولمهام أخرى محددة .. ومحدودة !!

* * *

الملفات فى أروقة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية لم تنته تماماً .. ومن أجل ذلك كان الترتيب لهذا اللقاء المثير مع واحد من أخطر وأهم من ترأس الأجهزة الأمنية الإسرائيلية .. كان اللقاء مع الداهية وخبير الشئون العربية الأكبر فى إسرائيل والمدير الأسبق للمخابرات العسكرية المعروفة باسم «أمان» الجنرال يهشوفاط هركابى ..

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

في يوم السادس من فبراير عام ١٩٩٦م كان مواطنو غزة على موعد مع جثمان الشهيد يحيى عياش .. ويرى الشباب الفلسطيني بمختلف طوائفه وهم يرفعون الأعلام الفلسطينية التي تحمل شعارات الثأر وقد تدافعت أيديهم حول النعش

بحر الكتب
bahralktob

الجزء الرابع

الجلوس فى « أمان »

مع مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية (!!)

بحر الكتب
bahr.alktob

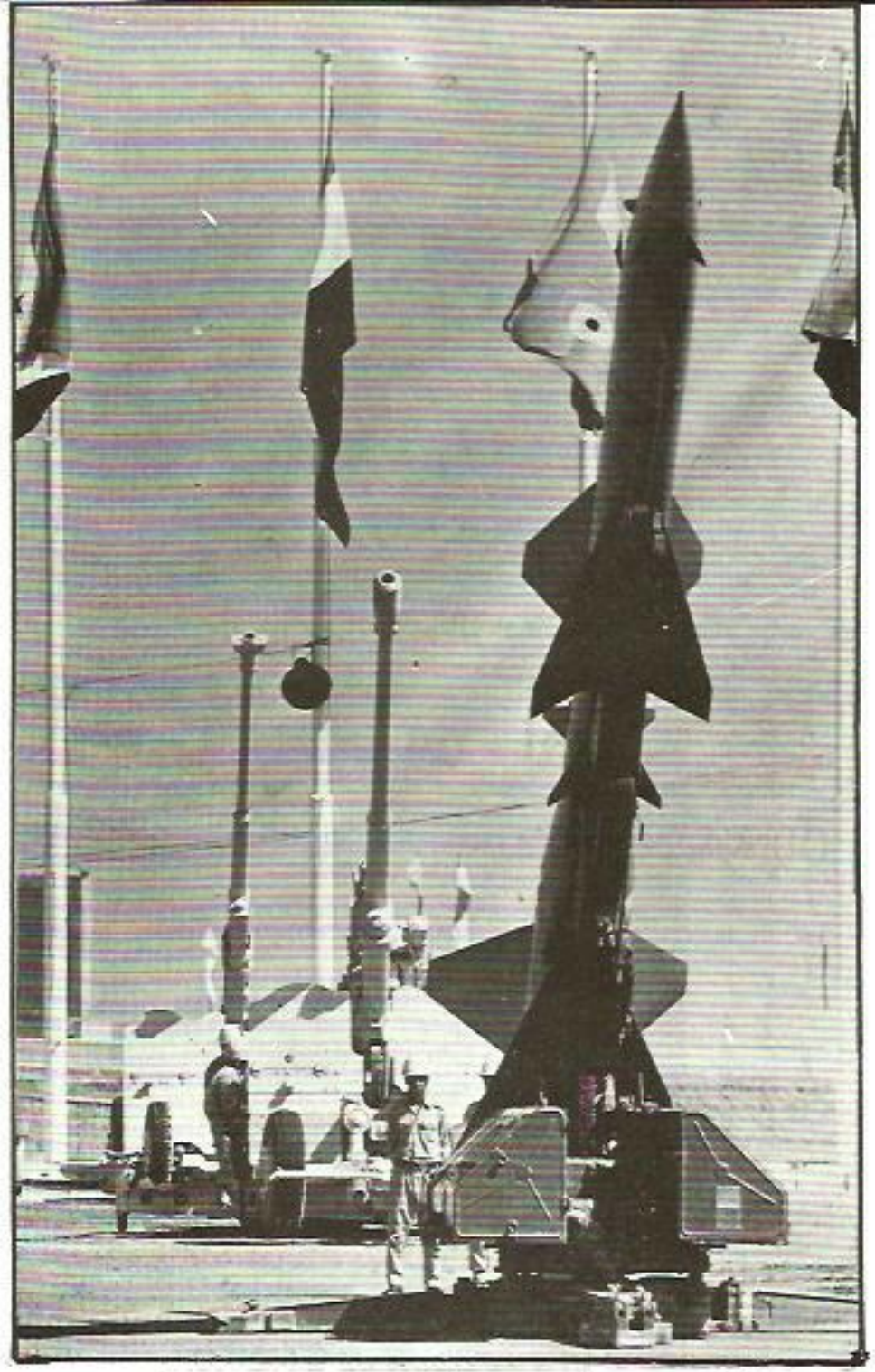

صاروخ « الظافر » ذلك الإنجاز العلمى العسكرى الذى وضع مصر على مشارف عصر الفضاء والذى سبقت فيه مصر جميع دول الشرق الأوسط بما فى ذلك إسرائيل بشهادة رؤساء أجهزة مخابراتهم .. هذا الإنجاز المصرى بالتعاون مع بعض العلماء الألمان تحول إلى تكتة سخيفة بفضل عدد من سياسينا وصحفيينا اللامعين !!!

بحر الكتب
bahr.alktob

« فى الماضى كنا نقول :

كل يهودى .. جاسوس لإسرائيل ..

وفى الخمسينيات والستينيات أصبح كل عربى عميل محتمل (لناصر) .. حتى نساء العرب فى إسرائيل كُنَّ يتطوعن للعمل لحساب الرجل .. » .

« يهشوفاط هركابى »
مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية الأسبق
فى مقابلة مع المؤلف

بحر الكتب
bahr.alktob

« أمان » .. كلمة عبرية لها نفس المعنى العربى .. وعندما تذكر « أمان » فى إسرائيل فإن المفهوم الذى يتبادر إلى الذهن هو المخابرات العسكرية الإسرائيلية التى تحمل هذا الاسم (!!) .. والمخابرات العسكرية هى الضلع الثالث للمثلث الأمنى الإسرائيلى بجانب الضلعين الآخرين .. وهما :

•• « **الموساد** » وهو جهاز المخابرات الخارجى .

•• « **الشين بيت** » وهو جهاز المخابرات الداخلى .

وإذا كنا قد تحدثنا فى الأجزاء السابقة عن المخابرات الخارجية « الموساد » فإن الحديث لا يستقيم بدون التعرض لدور المخابرات العسكرية التى تتحمل جانباً كبيراً من المسئوليات الأمنية فى إسرائيل ، كما أنها قامت بدور فاعل وهام فى إدارة وتحريك الصراع (العربى / الإسرائيلى) منذ بداية ظهور الدولة العبرية .

كان هدفى فى تلك المرحلة : « **يهشوفاط هركابى** » المدير الأسطورى للمخابرات العسكرية الإسرائيلية .. وخاصة فى مراحلها المبكرة فى الخمسينيات والستينيات .

وهركابى هذا تولى « جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية » فى فترة من تاريخ إسرائيل تعتبر الأخطر على الإطلاق بكل المقاييس .. وذلك لأسباب سوف نتعرض لها بالتفصيل فى موضع قادم بإذن الله تعالى .. كما أن هذا الرجل يُعَدُّ من أهم المتخصصين فى الشئون العربية داخل إسرائيل على الإطلاق .

عندما عرفت فى ذلك اليوم أن (هركابى) على وشك الوصول بدأت على الفور فى الإعداد الدقيق لمقابلة محتملة ، كما أنها لا تحتمل أدنى فرصة للفشل .. فالمقابلات من هذا النوع قد لا تتكرر مرتين فى العمر .. وبالفعل فإننى بعد مقابلة مطولة مع (هركابى) كنت أخطط للإعداد للمقابلة الثانية فى إسرائيل .. إلا أن القدر الحكيم لم يمهلنا نحن الاثنين .. حيث توفى

بحر الكتب
bahr.alktob

الرجل قبل اللقاء الجديد بأسابيع قليلة .

فى تلك الليلة جلست إلى الرجل الذى كان يقترب فى ذلك الوقت من الثمانين من العمر بسرعة كبيرة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة بريئة أبرزتها ملامح وجه طفولية لا تتناسب مع التاريخ المثير لهذا الرجل والذى امتد لعشرات السنين .. ابتسم الرجل قائلاً : هات ما عندك .. لقد فهمت بأنك مُحَمَّلٌ بالأسئلة .. فابدأ حتى ننتهى سريعاً .. وكانت البداية ..

●● أين كانت البداية ؟

● ولدت فى مدينة حيفا فى فلسطين فى عام ١٩١٨ م وذلك قبل قيام دولة إسرائيل .. ولدت لأب يهودى كان يتحدث العربية والعبرانية .. بالإضافة إلى أنه تعلم اللغة التركية بجانب العلوم العسكرية فى العاصمة السورية دمشق .. وذلك فى عشرينيات وبداية ثلاثينيات هذا القرن .. نعم .. أعلم أنها مفارقة غريبة أن يكون أبى الذى حارب فيما بعد – كما حاربت أنا – ضدكم أنتم العرب فى عام ١٩٤٨م قد تلقى علومه العسكرية فى دمشق بالذات .. ولكن دعونى أوضح حقيقة تاريخية .. وهى أن العلاقات بيننا وبين العرب قبل قيام دولة إسرائيل كانت على ما يرام .. وخاصة العلاقات بين العرب واليهود فى الدول العربية خارج فلسطين .. نعم .. يجب أن نعترف بأن اليهود كانوا مُكرَّمين وهم يعيشون بين العرب .. وخاصة قبل قيام دولة إسرائيل .

●● الآن .. وبعد أن تم توقيع اتفاقيات أوسلو للحكم الذاتى بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين إسرائيل .. هل يمكنك أن تقول لنا إذا ما كانت هناك محاولات بُذِلَتْ من أحد الجانبين لفتح قنوات اتصال سرى مع الآخر فى تلك الفترات الذى كان فيها العداء الظاهرى مستحكم ؟

● أنت تتكلم عن أشياء إن تمت فإنها فى غالب الأحيان تتم عبر قنوات سرية مخابراتية .. وليس الاتصال الذى تسأل عنه يأتى بالضرورة للوصول إلى تسوية على غرار ما حدث فى أوسلو ! بالطبع لقد كانت هناك محاولات لفتح قنوات اتصال .. ولكننى لأسباب عديدة لن أفصح عن الطرف الذى بدأ بها ، ولا عن مدى التقدم الذى تم إحرازه فى هذا

بحر الكتب
bahr.alktob

الصدد .. يكفى فقط أن أقول لك بكل ثقة : إنه كانت هناك محاولات فى فترات مختلفة لفتح قنوات سرية للاتصال ، كما أن بعضاً من هذه المحاولات تمت فى فترات كان العداء فيها مستحكماً بشكل شديد (!!) .

●● ولماذا تمتنع عن الكشف عن هذه الاتصالات السرية الآن خاصة بعد ما تم التوصل إليه من اتفاقات للحكم الذاتى مع الفلسطينيين ؟

● هناك عدة أسباب تدفعنى إلى التمسك بالسرية ومنها :

أولاً : إنه بالرغم من التوصل إلى اتفاقات الحكم الذاتى فإن هناك بعض الأشياء التى من المفضل أن تبقى فى طى الكتمان على الأقل لفترة أخرى قادمة .

ثانياً : يمكن ان تكون بعض هذه المحاولات قد تمت فى مراحل متقدمة نسبياً من الصراع وبوساطات مختلفة .. وبالتالى فإن الحساسية تقل فى حالة الكشف عن مثل هذه المحاولات .. أما بالنسبة للفترة التى كنت أتولى فيها الجهاز فى مرحلة عنفوان الصراع والتى وصلت إلى ذروتها فى الستينيات .. فإن الكشف عن مثل تلك المحاولات يمكن أن يكون ضاراً ..

●● ولكن أنت تتحدث عن اتصالات سرية تمت منذ ما يقرب من ٣٠ عاماً .. ومع ذلك تقول إنها يمكن أن تضر إذا تم الكشف عنها .. إن الجهات الأمنية فى الديمقراطيات الغربية تقوم بالكشف عن وثائقها السرية كل ربع قرن أو على الأكثر ثلاثين عاماً كما يحدث فى بريطانيا !؟

● نعم .. إنها تكشف عن وثائقها ولكن ليس كلها .. فهناك العديد من الوثائق فى مجالنا هذا لا يتم الكشف عنها أبداً حتى ولو بعد مائة عام .. بالإضافة إلى ذلك فإن طبيعة الصراع الذى نحن بصدده فى المنطقة مختلفة .. أيضاً لا يجوز أن ننسى أن الصراع فى منطقة الشرق الأوسط لم ينته بعد .. وفى رأيي فإن هذا الصراع مرشح لكى يستمر لفترة طويلة قادمة .. وإن اتخذ أشكالاً مختلفة .. وعلى أية حال ، وطالما أنك تسأل عن الاتصالات فسوف أكشف لك عن حادث غريب وطريف فى نفس الوقت :

بحر الكتب
bahr.alktob

فى نهاية الستينيات وبداية السبعينيات عندما تقاعدت عن العمل كرئيس للمخابرات العسكرية – بعد سنوات طويلة من ترؤس هذا المكان – اتجهت إلى التدريس فى الجامعة فى مجال الشئون العربية وشئون الشرق الأوسط كمحاضر غير متفرغ .. وفى بداية السبعينيات تعاقدت مع جامعة هارفارد الأمريكية للعمل كمحاضر فى موضوع الصراع (العربى – الإسرائيلى) والشئون الشرق أوسطية .. فى أحد هذه الأيام ، وعقب إلقائى إحدى المحاضرات فوجئت بأحد المسئولين فى الجامعة وهو يدخل علىَّ حاملاً طرداً كبيراً يحمل اسمى ، كما أن عنوان المُرسِل كان فى منتهى الغرابة .. كان اسم المرسل « هانئ الحسن » أحد كبار مسئولى منظمة التحرير الفلسطينية ، كما كان عنوان المرسل هو عنوان المنظمة أيضاً (!!) .. كان الموقف غريباً ومريباً فى نفس الوقت .. فإذا كان الأمر هو محاولة فتح قناة اتصال فليس هكذا تتم مثل هذه الأمور فى مثل هذا المجال .. وإذا كانت المحاولة لا تخرج عن محاولة اغتيال بطرد ملغوم فلماذا يكتب الراسل عنوانه بهذا الوضوح الفاضح الذى من شأنه أن يترك كما يقول الغربيون « مسدساً يفوح من فوهته الدخان » أى دليل إدانة ؟! وإذا كانت المنظمة ليست بهذه السذاجة فمن يكون الفاعل الذى يريد أن يضرب ضربته ويلقى اللوم على المنظمة ؟! .. العديد من الأسئلة التى طَرَحتْ نفسها جملة وفى وقت واحد .. وعلى الفور اتصلت بالسفارة والقنصلية الإسرائيلية اللتان تصرفتا على الفور بإرسال مندوبين عنهما إلى الجامعة ، وبالإضافة إلى خبير مفرقعات لفحص الطرد المريب .. وكانت المفاجأة .. فبدلاً من أن نجد قنبلة داخل الطرد فوجئت بأحدث (كتاب لى) كنت قد أصدرته منذ شهور فى ذلك الوقت فى إسرائيل بالعبرية وكان عنوانه : « استراتيجيات إسرائيل .. قرارات حاسمة » أقول فوجئت بنسخة من هذا الكتاب مترجماً إلى العربية بمعرفة منظمة التحرير الفلسطينية .. ومع النسخة العربية للكتاب وجدت رسالة رقيقة من (هانى الحسن) يشكرنى فيها على رؤيتى لتسوية الصراع (العربى – الإسرائيلى)

بحر الكتب
bahr.alktob

سلمياً .. وقد كانت هذه الرؤية جديدة تماماً فى إسرائيل فى ذلك الوقت (!!) كانت المفاجأة تامة من جراء البادرة غير المتوقعة فى ذلك الوقت من « العدو » .

●● هل توافرت فرصة بعد بدء مسيرة التسوية مؤخراً لكى تلتقى بهانى الحسن ؟

● كلا .. ولكننى أتطلع بشوق للقائه فى القريب العاجل لكى أطالبه بدفع جميع حقوق النشر للنسخة العربية من كتابى هذا والتى أكلتها علىَّ منظمة التحرير كل هذه السنوات (!!) .

●● بالطبع ستكون دعابة لطيفة منك أن تلتقى معه ، وتطالبه بعد كل هذه السنوات بدفع حقوق النشر للطبعة العربية من الكتاب ..

● أنا لم أكن أمزح فى هذا الصدد .. لسوف أطالبه حقيقة بذلك ؛ فليس هناك أى مجال للمزاح فى هذا الموضوع .. حتى وإن أثار ذلك تعليقكم التقليدى عن حرصنا نحن اليهود من منطلق الآية القرآنية ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة .. ﴾ !

●● هل لنا أن نعرف ماهية العلاقات بينك وبين (إيتسر هارئيل) المدير الأسبق للموساد ؟

● علاقة وطيدة امتدت منذ أيام الصبا قبل قيام دولة إسرائيل واستمرت حتى الآن .. لقد كنا رفقاء سلاح ، وجمعتنا مهنة واحدة .. ألا وهى المخابرات .

●● متى ، وكيف كانت بداياتك فى جهاز المخابرات العسكرية ؟

● لم أكن أنا مؤسس المخابرات العسكرية الإسرائيلية على عكس (هارئيل) الذى يعد بحق المؤسس الأول والفعلى لجميع أجهزة المخابرات فى إسرائيل .. لقد توليت رئاسة هذا الجهاز بتكليف من هارئيل فى مرحلة لاحقة على تأسيس هذا الجهاز بسنوات عدة .. ففى عام

بحر الكتب
bahr.alktob

١٩٥٧م تم إعادة تنظيم جهاز المخابرات العسكرية ، وذلك بعد اكتشاف بعض أوجه الخلل عقب اكتشاف عِمَالةَ (إسرائيل بيير) مستشار رئيس الوزراء بن جوريون للمخابرات السوفييتية « كى. جى. بى » عند ذلك أعيد تنظيم المخابرات الحربية تحت إشراف (إيتسر هارئيل) الذى كان يشغل فى ذلك الوقت مدير عام أجهزة المخابرات فى إسرائيل ، وقد قام باستدعاء الكولونيل (حاييم هرتزوج) وقام بترقيته إلى رتبة الجنرال وكلفه بقيادة وحدة المخابرات العسكرية .. حاييم هرتزوج هذا هو الذى أصبح فيما بعد رئيساً لدولة إسرائيل .

●● نعم .. ولكن ماذا كانت ظروف توليكم لهذا المنصب ؟ وهل كان لذلك علاقة بعملية « كافوك » ؟!

● لقد توليت منصبى فى وقت لاحق .. ولا أدرى ما هى علاقة ما تسميه بعملية « كافوك » بهذا ؟!

(.....)

نستأذن القارئ فى التعريف بهذه القضية التى كانت من أهم العمليات التى قامت بها المخابرات الإسرائيلية داخل مصر فى فترة نهاية الخمسينيات وحتى بداية الستينيات والتى عرفت باسم عملية « كافوك » .. على أن نعود إلى الحديث مرة أخرى مع البروفيسور (هركابى) بعد ذلك .. لقد كان ضرب هذه الشبكة التجسسية - التى تعتبر من أخطر الشبكات التجسسية التى أنشأتها إسرائيل داخل مصر - بمثابة لطمة قوية أثرت على أجهزة المخابرات الإسرائيلية فى ذلك الوقت مما أدى إلى إجراء تغييرات واسعة النطاق فى داخلها .

ملحوظة : المعلومات التى سَتَرِدُ مستقاة من واقع اعترافات أطراف القضية الذى أقدموا على التخابر على بلدهم مصر ..

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

عملية « كافوك »

فى بداية عام ١٩٥٦م كان المدعو جان توماس المصرى - من أصل أرمنى - قد اتخذ مقعده على طائرة الخطوط الجوية الألمانية « لوفتهانزا » فى طريقه إلى العاصمة الألمانية بون فى محاولة للالتحاق بعالَم غربى كان يعتبره هو الأحق بأن يعاش به .. إلا أن الغرب الذى فتن (جان) لم يكن لديه نفس الشعور المتبادل بالإعجاب .. الأمر الذى أدى بهذا المصرى الناقم على بلده إلى مقهى يرتاده العرب المغتربون فى ألمانيا بدون عمل .. وذلك بعد أن خذلته قدرات وخبرات فشل فى أن يحصل عليها فى بلده .

فى صباح ذلك اليوم تقدم شخص تبدو عليه ملامح عربية وجلس إلى جوار (جان) وبدأ التعارف .

قدم الرجل نفسه إلى جان على أنه تونسى اسمه (إميل) ، وأنه قد قَدِمَ إلى مدينة كولونيا الألمانية لكى يتسوق قطع غيار ماكينات نسيج يصدرها إلى المنطقة العربية ، وأنه يمكن أن يستعين به فى بعض هذه الأعمال التجارية و... بدأت علاقة وطيدة بين هذا الشاب المصرى وبين صاحبه (إميل التونسى المزعوم) ، تخللتها العديد من السهرات الحمراء التى تميزت بفتيات ألمانيات حسان ، وبكميات هائلة من الخمور .. وبعد مرور فترة بدأ بعدها إميل فى الوثوق من جان صارحه بشكل ليس فيه مواربة - وذلك على غير العادة فى مثل هذه الأمور بحقيقة هدفه وشخصيته - بأنه إسرائيلى الجنسية ، وبأنه يعمل لحساب المخابرات الإسرائيلية ، وأنه يرغب فى تجنيده لحساب إسرائيل .

وعلى الفور استجاب جان لهذا العرض بحماس منقطع النظير .. وبدأت مرحلة من التدريب فى شقة فى الدور الثانى فى المنزل رقم ١٧ الواقع فى ميدان رودلف فى قلب مدينة كولونيا ، والذى لم يكن غير منزل

بحر الكتب
bahr.alktob

آمن للمخابرات الإسرائيلية .. فى ذلك اليوم سجلت ملفات المخابرات الإسرائيلية ميلاد جاسوس فى منتهى الخطورة ضد الجمهورية العربية المتحدة كما كانت تعرف مصر فى ذلك الوقت .

وبالطبع فإن إميل الإسرائيلى لم يكن سوى قمة جبل الجليد .. حيث أن المحطة التالية له كان ضابط حالة[1] إسرائيلى تولى فيما بعد تدريب وتشغيل جان الذى تصاعدت أسهمه فى غضون السنوات التى تلت ذلك بشكل أتاح له فرصة مقابلة الرأس الكبير للمخابرات الإسرائيلية فى ألمانيا فى ذلك الوقت وكان يعرف باسم حركى هو « جون » .

أيضاً قامت المخابرات الإسرائيلية بتزويج جان فتاة ألمانية جميلة تعمل لحسابهم اسمها (كيتى بيتر أودولف) وذلك إمعاناً فى التمويه ولكى تعاونه فى مهامه التجسسية داخل مصر .. وبعد فترة التدريب تم إعادة جان إلى مصر مع زوجته تحت غطاء أنه يعمل فى مجال التجارة والاستيراد وأنشطة الترجمة .

كان من الطبيعى أن يتجه جان أول ما يتجه فى تجنيد عملاء فى شبكته إلى أصدقائه القدامى الذين يثق بهم ويعرف أحوالهم المادية المتعثرة ، والنفسية غير السوية ؛ فكان محمد حسن طلعت هو أول من انضم إلى الشبكة .. ومحمد حسن هذا كان قد حصل على الثانوية العامة فى عام ١٩٤٨ م ، وذلك قبل أن يجد وظيفة (كاتب فى وزارة الحربية) فى عام ١٩٥١ م بمرتب شهرى ستة جنيهات .. وبالطبع فإنه فى مثل حالة محمد حسن وإدمانه الشديد على الخمر والساقطات من النساء فإن هذه الجنيهات الستة كانت قد أدت به إلى أن يكون فى حالة عوز دائم ، وأن يثقل بديون لا تنتهى .. ومع اجتماع الفقر ، والديون ، وسوء الخلق لم يتردد محمد حسن فى قبول العرض المغرى الذى تقدم به جان وخاصة بعد أن رصد له

---

(١) ضابط الحالة Case Officer وهو ضابط المخابرات الذى يقوم بتشغيل العميل وتوجيهه وتحديد الطلبات المكلف بها بشكل مباشر .

بحر الكتب
bahr.alktob

مرتباً شهرياً وصل فى وقت من الأوقات إلى ١٢٠ جنيهاً ، بالإضافة إلى وضع تسعيرة حوافز للوثائق التى يقوم بسرقتها من الوزارة وكانت كالتالى :

- الوثيقة التى تحمل شعار سرى ٢٥ قرشاً مصرياً .
- الوثيقة التى تحمل شعار سرى جداً ٥٠ قرشاً مصرياً .
- الوثيقة التى تحمل شعار سرى جداً للغاية ١٠٠ قرشاً مصرياً .

ثم جاء الدور على العضو الثانى فى الشبكة واسمه (جاربيس) والذى نسبت العملية إلى اسم استديو التصوير الذى كان يعمل به وهو (استديو كافوك) الذى كان من أشهر استديوهات التصوير فى القاهرة ، وأشهرهم فى حى شبرا ، حتى تم هدمه فى نهاية عام ١٩٩٥ م بسبب أعمال الحفر فى مترو الأنفاق فى شارع شبرا .

يقول جاربيس فى معرض اعترافاته :

تعرفت على (جان) فى عام ١٩٥١م على طاولات الخمر فى (بار سان جيمس) الذى كان حتى سنوات قريبة يقع فى شارع الجمهورية فى وسط القاهرة .. توثقت صداقتنا حتى جاء ذلك اليوم الذى اختفى فيه جان بشكل مفاجئ ، ثم قابلته بالصدفة فيما بعد فى شارع سليمان باشا ، وعرفت منه أنه سافر إلى ألمانيا ، وأنه قد حصل على تعاقدات من الخارج ، وأنه استأجر شقة فاخرة فى شارع عثمان بن عفان فى مصر الجديدة ، وأخرى فى حى جاردن سيتى وعنوانها ٦ ميدان السراى الكبرى .. كان جان ينفق فى بذخ شديد ، حيث كان يقيم السهرات الحمراء فى شقته فى مصر الجديدة بحضور الحسناوت وأغلبهن من الفتيات المصريات من أصول أرمنية وإيطالية وعلى رأسهن راقصة فرنسية اسمها (باتريشيا) جمالها مثير كانت تعمل راقصة فى ملهى مشهور بالقرب من حى عابدين .

بعد فترة عرض علىّ (جان) أن أقوم بتحميض وطبع بعض الأفلام التى يقوم هو بتصويرها .. ولكن على شرط أن أقوم بذلك فى منتهى

بحر الكتب
bahr.alktob

السرية .. وسألته : ما معنى « فى سرية » ؟ هل معناها أنها أفلام جنسية ؟! ضحك جان وقال : أنا لا يمكن أن أخالف القانون (!!) .

كان من الصعب علىّ أن أرفض ذلك حتى بعد أن اكتشفت أن الأفلام عبارة عن صور لمواقع عسكرية ، وقطع حربية .. وخاصة بعد أن عرض علىّ راتباً شهرياً يبدأ من ٣٠ جنيهاً قابلة للزيادة .

كنت أقوم بخداع أصحاب الاستديو وأتذرع بالحجج لكى أبقى فى الاستديو بعد ساعات العمل للانتهاء من بعض الأعمال المتأخرة ، وأقوم فى تلك الفترة بتحميض وطبع الأفلام التى يعطيها إلىّ جان ، وفى بعض الأحيان أقوم بتصغيرها إلى حجم طابع البريد الصغير .. كنا نلتقى فى أغلب الأحيان فى نادى الأرمن ، حيث المكان هادئ ومأمون ، ولا يرتاده فى الغالب سوى الأرمن مثلنا ، فأقوم بتسليمه الأفلام ويسلمنى النقود .

بعد فترة أبلغنى جان بأنهم فى المخابرات الإسرائيلية معجبين جداً بعملى ، وبأنهم قرروا لى زيادة فى المرتب ، كما قرروا أن يسمونى اسماً حركياً هو « جيجلو » .. وشرح لى أن معنى كلمة « جيجلو » بالإنجليزية هو الرجل الذى يعيش من كد وعمل المرأة (!!) .

مر ما يزيد على العامين حتى جاءنى جان فى يوم ليقول لى إن المخابرات الإسرائيلية قررت أن يقوم هو بتدريبى على جميع طرق التمويه ، والحصول على المعلومات ، وطرق الإرسال .. سواء باللاسلكى أو بالبريد على عنوان المخابرات الإسرائيلية فى ألمانيا .. حيث تقرر أن يَنْقُلَ جان نشاطه هو وزوجته إلى أوروبا .. إلا أن الكارثة لم تبدأ عند ذلك .. وإنما بدأت بذلك اليوم الأغبر الذى حضر فيه الرائد أديب حنا كرولس إلى الاستديوم لالتقاط صورة زفافه (!!) .

فى ذلك اليوم قلت لنفسى هذا الرجل هو أنسب من ينضم إلى الشبكة .. فهو ضابط فى القوات المسلحة ، كما أنه مسيحى مثلى ومثل جان ، ونحن المسيحيون نتعاطف مع بعضنا البعض .. وبعد أيام من التفكير

بحر الكتب
bahr.alktob

مع جان قررنا أنه إذا لم يتجاوب معنا فإنه لن يفضح سرنا .

في الأيام التي أعقبت ذلك تعمدت أن أماطل الرائد أديب في تسليمه صور الزفاف بحجة رغبتي في إتقان عمل الرتوش المناسبة للصور، وفي نفس الوقت كنت أقوم بتوطيد الصداقة بيني وبينه ، وذلك من خلال دعوات الغداء التي كنت أدعوه إليها هو وزوجته في كازينو الفونتانا على النيل [والذي كان يحتل منذ سنوات طويلة الموقع الحالي لفندق المريديان ..] وبعد أيام من قيامي بمفاتحة الرائد في الموضوع فإنه قد وافق على الانضمام إلى الشبكة نظير :

- مرتب شهري قدره ستون جنيهاً .
- محاضرة الضباط .. خمسة جنيهات .
- الخريطة .. عشرة جنيهات .

و.. لم أكن أعلم أن جميع هذه الأموال تدخل خزينة المخابرات العامة ، وأن الخرائط والمذكرات تأتي من نفس المكان .. لقد فعلها الرائد أديب وأبلغ عنا .. لقد كان قراري بتجنيده كارثة .. إلا أن الكارثة الحقيقية بدأت باستجابتي لجان .. يقول جان في اعترافاته :

بعد اللقاء الأول في مدينة كولونيا والتدريب في مدينة دوسولدورف ، تعددت سفراتي إلى ألمانيا كل بضعة شهور لتلقي تعليمات هامة أو تدريبات .. في المرة الثانية تعرفت على الرأس الكبيرة للإسرائيليين في غرب أوروبا واسمه (جون) الذي نصحني بفتح مكتب ترجمة لكي أستخدمه كساتر للتمويه .. بعد ذلك بدأ جون في تدريبي على الأساليب النفسية لاستدراج المرشحين للتجنيد .. وقبل أن أعود إلى مصر كلفني بجمع معلومات عن الرأي العام في مصر ، وموقفه من القيادة السياسية ، ومدى تجاوب الرأي العام مع شخصية الرئيس جمال عبد الناصر ، وقراراته الاشتراكية ، بالإضافة إلى العديد من المعلومات الأخرى في شتى المناحي

بحر الكتب
bahr.alktob

مثل : النكات السياسية السائدة فى الشارع المصرى .. حركة الأسعار .. رد فعل الناس إزاء ما أعلنه المهندس عزيز صدقى وزير الصناعة عن طفرة الصناعة .. رد فعل الناس إزاء الإصلاح الزراعى .. التأكد من عدد الجمعيات الزراعية فى مصر والتى كانت قد وصلته من مصدر آخر لا أعرفه ، وكان العدد الذى لديه هو ١٣٨٩ جمعية زراعية .

فى إحدى الزيارات أخذنى (جون) فى سيارته إلى منزل فى مدينة دوسولدورف حيث عرض علىّ ضابط مخابرات إسرائيلى اسمه (ألبرت) يبلغ من العمر ٣٥ عاماً ويتحدث العربية باللهجات السورية واللبنانية والمصرية .. وطلب منى جون رأيى الدقيق وغير المتهاون فى لهجة الضابط المصرية ، حيث أبلغنى أن هذا الضابط سيتم إدخاله إلى مصر قريباً ، وبأن قرار إدخاله سيتوقف على حكمى على درجة إجادته للهجة المصرية و .. قد تصحته بمزيد من التدريب على اللهجة المصرية ، حيث كانت هناك مواضع يمكن بسهولة كشفها داخل مصر .

فى البداية كنت أحصل على النقود من الإسرائيليين خلال زياراتى إلى ألمانيا .. ولكنه وبعد أن تزايدت أعباء الشبكة بدأت سفراتى إلى ألمانيا تتباعد .. الأمر الذى حتم قيام الإسرائيليين بإرسال النقود إلىّ فى القاهرة خلال فترة قصيرة مع مندوبين :

الأول : رجل فرنسى الجنسية .

الثانى : سيدة بولندية الجنسية .

فيما بعد لجأنا إلى أرمنى مصرى ابنه يدرس فى الولايات المتحدة ، حيث كانت المخابرات الإسرائيلية تقوم بتحويل المبالغ اللازمة بالدولارات إلى الابن فى أمريكا .. فى حين يسلمنى الأب ما يعادل هذه الدولارات بالعملة المصرية .

بعد ما يقرب من العام ونصف العام من العمل المكثف وصلتنى

بحر الكتب
bahr.alktob

تعليمات مشددة من تل أبيب بوقف استخدام جميع أنواع الحبر السرى فى مراسلاتى على مكاتبهم السرية فى ألمانيا الغربية .. وذلك بسبب توالى الضربات الأمنية التى كانت المخابرات المصرية تكيلها فى تلك الفترة لشبكات التجسس الإسرائيلية داخل مصر .. ويبدو أن المخابرات الإسرائيلية كانت تريد أن (تهدئ اللعب) ظاهرياً مع المصريين .. بالإضافة إلى حرصهم الشديد على تأمين هذه الشبكة بالذات التى كانت قد استفحلت وتشعَّبتْ وأصبحت هامة جداً لديهم .. وقد طمأننى هذا على اهتمامهم بتأمينى أنا وشبكتى .. بعد مرور فترة تم استدعائى إلى ألمانيا حيث قام لفيف من ضباط الموساد بتدريبى على عدد كبير من وسائل الاتصال المختلفة ، اقوم بالتنويع فى استخدامها بهدف تشتيت انتباه المخابرات المصرية .. من بين هذه الأساليب الطرود والهدايا التى كنت أرسلها بالبريد على عناوين سيدات فى ألمانيا بحجج واهية تدور فى معظمها حول الزواج أو الخطوبة أو للاستشفاء .. إلخ .

كنت أنزل إلى محلات اللعب فى وسط البلد كى أختارها بعناية ، وأقوم بتفكيكها وأضع الخرائط والوثائق بها بعد أن يقوم جاربيس بتصغيرها فى استوديو كافوك .

وسيلة أخرى من وسائل الاتصال التى تم الاتفاق عليها مع الرأس الكبيرة للمخابرات الإسرائيلية فى ألمانيا .. كانت عبارة عن شفرة خاصة تم اختيارها لكى أتراسل بها أنا ومدير محطة المخابرات الإسرائيلية فى غرب أوروبا وكانت كالتالى :

١ - إذا أعلنت حالة الطوارئ فى القوات المسلحة بجميع أفرعها أقوم بإرسال برقية تهنئة موجزة مفادها : « عيد ميلاد سعيد » .

٢ - إعلان التعبئة العامة بدون إعلان حالة الطوارئ : « مع خالص التهانى » .

٣ - إعلان حالة الطوارئ فى سلاح المدفعية فقط : أبعث ببرقية بها جملة تتضمن كلمة « نحاس » .

بحر الكتب
bahr.alktob

٤ – الطوارئ فى سلاح المشاة : « شكراً .. وصلت الهدية » .

٥ – الطوارئ فى سلاح الطيران .. أى جملة فيها عبارة : « المجوهرات النفيسة » .

٦ – الطوارئ فى سلاح المدرعات : أى جملة فيها عبارة « سرج الجمل » .

٧ – الطوارئ فى سلاح البحرية : « شكراً على عقد اللؤلؤ الثمين » .

وقد تم إلقاء القبض علىَّ أثناء تسلمى آخر برقية مشفرة وكانت مرسلة لى من مدير عموم مكاتب المخابرات الإسرائيلية فى غرب أوروبا وكان اسمه الحركى « ليزا » .. كان مضمون البرقية :

(عزيزى جان .. مضت فترة طويلة ولم تتصل بنا .. هل وصلتك هدية علبة السيجار ؟! أتعشم أن يكون كل شىء على ما يرام .. نحن هنا بخير ونهديك السلام) .

وعلبة السيجار فى الشفرة التى اتفقنا عليها تعنى « آخر التعليمات » ، حيث أننى لم أكن قد رددت عليهم بأننى قد استلمتها بالفعل .

وبالنسبة إلى زوجتى كيتى فإنها ولكونها ألمانية الجنسية كانت تتحرك بسهولة بين ألمانيا ومصر ، كما أنها فى كثير من الأحيان كانت تقوم بجلب التكليفات والأموال وجوازات السفر الأجنبية المزورة للخروج من البلاد بسرعة إذا ما اقتضى الأمر ذلك .

أيضاً فإن (كيتى) هى التى كانت تقوم بجميع عمليات الإرسال بجهاز اللاسلكى من شقة جاردن سيتى معتمدة فى ذلك على شفرة مزدوجة متفق عليها مع مدير المخابرات الإسرائيلية فى غرب أوروبا وهى شفرة مأخوذة من رواية الأدبية العالمية الأمريكية (بيرل باك) : « الأرض الطيبة » .

بحر الكتب
bahr.alktob

فى السنة الأخيرة قبل السقوط فى بداية عام ١٩٦١ م انتابت المخابرات الإسرائيلية فكرة محمومة .. هى تجنيد أحد طيارى المقاتلات المصرية وإقناعه بالهرب بطائرته الميج ٢١ روسية الصنع والتى كانت تعد أحدث ما أنتجته الترسانة العسكرية الروسية فى هذا المجال إلى تل أبيب أو إلى قبرص .

وفى سبيل ذلك تم تخصيص عملية منفصلة ذات ميزانية مفتوحة جزءا منها مبلغ مليون دولار تعطى إلى الطيار فى حالة تجنيده وهربه من مصر .. وقد أدار العملية ضابط مخابرات إسرائيلى كبير اسمه « مايكل » وكان يعمل تحت ساتر سكرتير أول فى سفارة إسرائيل فى قبرص ، وأطلق على هذه العملية اسم كودى هو « ماريا » .

وقد اجتمعت مع الضابط مايكل فى قبرص عدة مرات .. حيث قام بتدريبى على طرق استدراج الطيارين وتجنيدهم .. وكان لى فى ذلك عدة محاولات فى هذا الشأن .. إلا أنها لم تنجح .. حيث أظن أن الأمر برمته كان قد أصبح تحت سيطرة المصريين .

فى أكتوبر من عام ١٩٦٠م كنت أستعد للخروج مع زوجتى كيتى من مصر .. حيث وافقت المخابرات الإسرائيلية على أن أمارس نشاطى فى أوروبا الغربية .. إلا أننى فشلت فى الحصول على إذن بالسفر خارج البلاد فسافرت زوجتى كيتى إلى ألمانيا لكى تحضر لى جواز سفر أجنبى مزيف أهرب به من مصر .. فى هذه الأثناء قمت بإخفاء كل ما لدىَّ من وثائق سرية فى أنابيب موقد بوتاجاز وفى منتجات خان الخليلى وأودعتها لدى قريب لى يدعى (فاهى أوهانيس جويدجيان) وهو مصرى من أصل أرمنى كان يعيش فى منزل بشارع راتب باشا فى منطقة شبرا .. ولكن يبدو أن المخابرات المصرية كانت تراقب تحركاتى جيداً منذ فترة .. حيث أنها لم تعطنى الفرصة .. فقد ألقت القبض علىَّ بعد ذلك مباشرة .

نعم .. لقد كنت أعلم بموعد وساعة وقوع العدوان الثلاثى على مصر

بحر الكتب
bahr.alktob

فى شهر أكتوبر عام ١٩٥٦م .. وذلك قبل وقوع العدوان بأسبوعين على الأقل أنا ومحمد حسن وجاربيس ... (!!) .

لقد قمنا من خلال الشبكة بإرسال ما يزيد على ٣٥٠٠ تقرير سرى عن أحوال مصر فى غضون السنوات التى عملنا فيها فى التخابر ، وذلك بخلاف آلاف الصور .. (!!) .

نعم .. ليس هناك ما يبرر الخيانة .. ولكنها الخمر .. والنساء .. والحياة الناعمة .. والسفر إلى أوروبا و ... لا شيء يبرر الخيانة التى تؤدى فى النهاية إلى حبل المشنقة .

وبالفعل فى ذلك الصباح المشبع برطوبة أشهر الصيف من عام ١٩٦١م كان (جان توماس) يقف مرتعد الفرائص بين يدى عشماوى فى سجن الاستئناف لكى يردد قبيل أن يلتف حبل المشنقة حول رقبته :

« كنت أظنهم سيحموننى فى إسرائيل .. ! » .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

عودة إلى اللقاء مع الجنرال هركابى

●● متى كان تاريخ انضمامك إلى المخابرات العسكرية ؟

● فى شهر فبراير من عام ١٩٥٥م .

●● ماذا كانت تمثل لك مصر فى ذلك الوقت ؟

● الخطر الأعظم ..

●● هل كنت تكره المصريين ؟

● كلا .. لم أكن أكرههم .. وإنما كنت أخشاهم وأقدرهم حق قدرهم .. لقد كانوا أَكْفَاءَ وعلى درجة عالية من المهارة فى أغلب ما يفعلونه .. بما فى ذلك العمل السرى .

●● كانوا ؟!!! .

● أنا خرجت من الخدمة منذ سنوات ، ولا أدرى شيئاً عن التطورات التى طرأت عليهم الآن .. ولكن على أية حال فإن مصر دولة كبيرة لديها إمكانيات بشرية ومادية كبيرة .. وهذا النوع من الدول يحتفظ فى الغالب الأعم بحد أدنى من مستويات الأداء .. ففى هذا المضمار وخاصة فى المجال الأمنى يكون التراث والخبرات المتراكمة أساساً لأى عمل فى المستقبل .

●● تقول إنك كنت تخشى المصريين .. ما هى الفترة التى وصلت فيه هذه الخشية إلى الذروة ؟

● من قبل أن تقوم دولة إسرائيل فى عام ١٩٤٨م .. فمصر كانت – ولا تزال – أكبر دولة عربية سواء من ناحية الإمكانيات أو من ناحية قوة التأثير على الدول العربية والأفريقية .. وفى مرحلة من المراحل فى دول العالم الثالث .. سواء فى آسيا أو أمريكا اللاتينية .

بحر الكتب
bahr.alktob

●● ولكن متى كانت مرحلة الذروة فى هذا الخوف ؟

● كانت بداية ذلك فى منتصف الخمسينيات عندما نجحت مصر فى التخطيط ثم تنفيذ صفقة الأسلحة التشيكية .. وذلك من تحت أنوفنا فى إسرائيل .. بل من تحت أنوف كل الدول الغربية ومن قبلها الولايات المتحدة .. إلا أن ذروة الإحساس بالخطورة بدأت مع سعى مصر فى أواخر الخمسينيات لتطوير أول صواريخ أرض - أرض ذاتية الدفع فى منطقة الشرق الأوسط بالاستعانة بعلماء صواريخ ألمان كانوا بالفعل أفذاذاً فى هذا المجال ، ونجح المصريون بمساعدتهم فى الوصول إلى نتائج كبيرة فى هذا المجال ، بالرغم من محاولاتنا المستميتة وضع حَدٍّ لهذا المشروع الخطير من خلال عمليات سرية شديدة التعقيد شاركت فيها جميع الأجهزة الأمنية فى إسرائيل .

●● وماذا عن الدول العربية الأخرى ؟

● فى هذا المجال إذا استهترت بخصمك تأكد عندئذ من أنك الخاسر فى النهاية .. وبناء على ذلك فإنه ممنوع تماماً التهوين من أى خصم مهما كان قدره طالما أنه يحمل صفة « الخصم » .. إلا أن هذا لا يعنى أنه لم تكن لدينا قائمة أولويات هى مرآة دقيقة لأولويات الأمن القومى الإسرائيلى .. وطبقاً لهذه القائمة فقد كانت مصر على قمة الأولويات .. المشكلة ليست فى الدول التى تستورد احتياجاتها من السلاح من الخارج .. حيث إنه فى هذه الحالة يمكننا أن نبث العيون فى المطارات والموانئ فى أى دولة من دول العالم بما فى ذلك مطارات وموانئ الكتلة الشيوعية فى ذلك الوقت .. ومن خلال هذه العيون كان يمكننا أن نرصد الغالبية العظمى من شحنات السلاح المتجهة إلى الدول العربية ، ومن ثَمَّ نعرف نواياها العسكرية تجاهنا فى إسرائيل .

ولكن الخطر الأكبر فى أن تبدأ دولة من هذه الدول سياسة تصنيع سلاح طموحة .. ففى هذه الحالة يكون من الصعب علينا أن نرصد هذه

بحر الكتب
bahr.alktob

النوايا .. وهذا بالضبط ما أقدمت عليه مصر فى تلك الفترة .. لقد بدأت برنامجاً طموحاً لتصنيع السلاح .. جميع أنواع السلاح .. وحتى فى مجال الطائرات .. أيضاً فإن الخطورة بجانب ما ذكرت فى هذا الشأن كانت تتمثل فى احتمالات تحول مصر إلى نموذج تحتذى به دول أخرى فى المنطقة فى هذا المضمار .. أيضاً فإن مصر فى تلك الفترة كانت قد بدأت خطة تنمية اقتصادية طموحة أثمرت معدلات تنمية قياسية .. لقد أصبحت مصر فى طريقها لكى تكون نموذجاً فى المنطقة .

كنا فى تلك السنوات لا نَخْلُدُ إلى الراحة فى الأجهزة الأمنية بإسرائيل بسبب كثرة المتابعات والرصد ووضع الخطط بناء على الاحتمالات التى نستشفها من خلال ما يصلنا من معلومات عن سياسات التصنيع الحربى فى مصر .. لقد كانت سنوات شاقة بحق ، وكان العمل فيها مرهقاً للغاية فى مرحلة من أشد المراحل خطورة فى تاريخ إسرائيل .

●● تقول إن العمل فى تلك الفترة كان شاقاً .. هل معنى ذلك أن التكنولوجيا الحديثة سهلت هذا العمل السرى فى هذه الأيام ؟

● لا شك فى أن التكنولوجيا الحديثة هذه الأيام – وخاصة إذا امتَلَكْتَها – قد سهلت إلى حد ما عملية الحصول على نوع معين من المعلومات مثل الأقمار الصناعية التى تسهل عليك رصد تحركات القوات ، وانتشارها ، وغير ذلك من المعلومات التى يمكن الحصول عليها من خلال المراقبة الفضائية والجوية المتقدمة .. إلا أن التحديات التى تواجهها اليوم الجهات الأمنية لم تكن موجودة من قبل – على الأقل بالصورة التى توجد بها اليوم – مثل :

١ – محاولات بعض أطراف الصراع امتلاك قدرات عسكرية نووية .

٢ – انتشار جماعات التطرف الدينى التى توجه جل عدائها إلى إسرائيل .. وغير ذلك من التحديات التى تظهر تباعاً ولا تنتهى !! أيضاً يخيل إلىَّ أن الناس كانوا فى الماضى أسهل من حيث سهولة جلب

بحر الكتب
bahr.alktob

المعلومات منهم الآن (!!) .. [قالها البروفيسور هركابى وهو يضحك ..]

●● طالما نحن نتكلم عن مصر التحدى الأكبر فى الخمسينيات والستينيات .. ماذا كانت صورة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى مخيلتك فى ذلك الوقت ؟

● **أرجو أن تعفينى من الإجابة على هذا السؤال .. (!!)**

●● هل الإجابة تمثل لك أى نوع من الإحراج ؟

● **كلا .. ولكننى لا أرغب فى الخوض فى هذا الموضوع الذى يمكن أن يستثير مزيداً من الأسئلة فى هذا المجال (!!) .**

●● الامتناع عن الإجابة يمكن أن يثير فى أذهان القراء إجابات ليس لها علاقة بما لديك .. فلماذا لا نكون واضحين .. وخاصة وأننا نتكلم عن تاريخ وعن زعماء فى ذمة الله فأصبحوا تاريخاً ؟!

● **كإسرائيلى لم أكن أكره عبد الناصر .. بل على العكس فقد كنت أقدره تماماً .. وإذا كنت مصرياً لعشقت هذا الرجل (!!)**

●● هذه إجابة غير متوقعة بالمرة .. فالمعروف أن عبد الناصر كان مكروهاً جداً لديكم فى إسرائيل لمواقفه منكم ، وللتهديد الذى مثله لكم فى تلك الفترة ؟!

● **لقد سألتنى وأجبت بعد أن وعدتنى ألا تطلب توضيحات !**

●● ولكن المسألة تحتاج إلى توضيح بالفعل ..

● **فى مجال العمل السرى هناك قواعد ذهبية ، من بينها ومن أهمها : الاستبعاد المطلق لأى احتمالات لحدوث مشاعر بينك كضابط مخابرات وبين الهدف .. سواء كان دولة أو شخصية .. وسواء كانت تلك الشخصية هدفاً أم مصدراً .. فالمشاعر فى تلك الحالة يمكن أن تؤثر على الموضوعية فى الحكم على الأمور .. ومن ثَمَّ اتخاذ القرار .**

وبناء على ذلك فإن الحب والإعجاب وفى بعض الأحيان الكراهية

بحر الكتب
bahr.alktob

فى عملنا هذا ممنوع تماماً .. وأنا عندما أجبت على السؤال لم أقل إننى أحببت عبد الناصر، كما أننى لم أقل إننى أعجبت به .. أنا قلت بالتحديد : إننى كنت أقدره .. وهذا التقدير مطلوب فى مجالنا هذا .. أما إذا كنت قد دهشت من قولى : «لو كنت مصرياً ، لكنت قد عشقته» فأنا فى هذا لم أكن أبالغ، أو أقول شيئاً مفاجئاً للآتى :

أولا : أن الجملة افتراضية – شرطية .. فأنا لست مصرياً .

ثانياً : أننى لم أقرر سوى واقع، حيث أن غالبية الشعب المصرى كان يحب هذا الرجل .

●● لقد قلت إنك كنت تقدر الرجل .. لماذا ؟

● الرجل كان مناوراً بارعاً بشكل يصعب على خصمه أن يتنبأ بماذا سوف تنتهى إليه مناورته بعد أن يبدأها .. بالإضافة إلى ذلك فإنه لا يمكن أن نقلل من أهمية عنصر الشخصية الكاريزمية التى لا يتمتع بها إلا قليلون من زعماء العالم .. تلك الشخصية التى يمكنها حشد المشاعر والمواقف للرأى العام فى أى لحظة وتحت أى ظروف .. لهذا كله ولأشياء أخرى لا مجال هنا لذكرها كنت أُقَدِّرُ الرجل .

●● ماذا كانت تمثل لك الضربة التى تلقيتموها فى إسرائيل وهى سقوط أكبر مركز للتجسس على مصر والذى كان يتخذ من مدينة أسمرة التابعة لأثيوبيا فى ذلك الوقت مركزاً له حتى بداية الستينيات ؟

● دعنى أتذكر .. نعم .. أعتقد أن تلك كانت عملية هامة لنا .. كما أن المصريين تدخلوا فيها فى مرحلة متقدمة ونجحوا فى ضربها .. نعم .. نعم !! .

ملحوظة : هذه الضربة التى وجهتها مصر لإسرائيل فى ذلك الوقت كانت من أكثر الهزائم مرارة فى تاريخ الأجهزة الأمنية الإسرائيلية .. حيث نجحت مصر فى السيطرة الكاملة على هذه الشبكة الضخمة والخطيرة التى كان يديرها عدد من أكفأ ضباط الموساد فى عدد من العواصم الأوروبية وكان مقرها يتخذ ساتراً عبارة عن شركة لتجارة اللحوم اسمها «أناكوندا»

بحر الكتب
bahr.alktob

في مدينة أسمرة .. وقد كان نتيجة لنجاح مصر في زرع وتجنيد العديد من عملائها داخل هذه الشبكة أن استمرت القاهرة في تحريك هذه الشبكة الخطيرة على مدار سنوات لصالحها وبدون أن تدرك ذلك المخابرات الإسرائيلية .

وفور قيام مصر بالكشف عن هذه العملية بعد أن استنفدت أهدافها قام (مائير عميت) خليفة (إيتسر هارئيل) في رئاسة الموساد بتقديم استقالته من منصبه حتى قبل أن يعود من بلجيكا ، حيث كان في مهمة هناك ، وبدلاً من ذلك سافر مباشرة إلى السويد .. أيضاً فإن الجنرال (زفاى تسور) رئيس أركان الجيش قدم استقالته من منصبه .. في حين أقيل الكولونيل (يوسف عتسمون) الملحق العسكرى الإسرائيلى فى كل من باريس وبلجيكا حتى قبل أن يعود إلى تل أبيب .

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

أخيراً .. وليس آخراً

على مدى الأجزاء الأربعة الماضية بالإضافة إلى الجزء التمهيدى للكتاب ، أُتيحت لنا الفرصة للاقتراب بشدة - وبشكل لم يسجل من قبل - من ذلك العالم السرى للمخابرات الإسرائيلية .

وقد كان مقصدى منذ البداية هو :

أولاً : إتاحة الفرصة للقارئ العربى للتعرف على بعض الجوانب من هذا العالم الغامض للعمل السرى المخابراتى الإسرائيلى - الذى طالما نظرنا إليه من خلال عيوننا نحن فقط .. وفى أحيان قليلة أخرى كنا ننظر إليه من خلال عدسات وسائل الإعلام الغربية - وذلك من خلال عيون وأفئدة كبار قيادات أجهزة المخابرات الرئيسية فى إسرائيل وهى :

الموساد والمخابرات العسكرية « **أمان** » .

ونحن فى هذا المقام لا ننفى أهمية الحصول على المعلومات حول هذا المجال من خلال وسائل الإعلام الأجنبية ، ولا من خلال أعيننا نحن فقط دون الآخرين .. ولكننا نؤكد أن الاقتصار على هذين السبيلين للحصول على هذه المعلومات يمكن أن يعرضنا للوقوع فى بعض السلبيات التى قد تصل فى بعض الأحيان إلى حد المخاطر .

فالاعتماد على « الآخرين » فى الحصول على المعلومات فى هذا المجال ، يجعلنا أكثر عرضة لما يسمى « بالتضليل الإعلامى » وخاصة إذا ما كانت الأهداف والمصالح الاستراتيجية لهؤلاء « الآخرين » تتفق فى أغلب الأحيان مع « الهدف » موضع جمع هذه المعلومات شديدة الحيوية والحساسية .

ويزيد من خطورة هذا الأمر حقيقة أن الغالبية العظمى من وسائل الإعلام هى هدف لتأثير أجهزة المخابرات فى العالم كله .. وهذا الأمر

بحر الكتب
bahr.alktob

منطقى وطبيعى ولا يمكن أن يتغير .. وذلك لخطورة تأثير وسائل الإعلام على الرأى العام فى كل من الدول التى تصدر أو تبث منهاهذه الوسائل ، والدول التى تصلها خارج الحدود .

وهناك أمثلة كثيرة فى هذا الشأن نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر قضية فنى المفاعلات النووية الإسرائيلى « موردخاى فنانو » الذى زعم أنه نجح فى الهروب من إسرائيل إلى بريطانيا فى منتصف الثمانينات ، ولجأ إلى الصحافة البريطانية لكى يكشف عن أسرار السلاح النووى الإسرائيلى .. وبتحليل مضمون وملابسات عملية هرب هذا الفنى الإسرائيلى إلى بريطانيا وما أعقب ذلك من تصريحات له ، ثم عملية اختطافه بواسطة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية نجد أن الأمر لم يكن سوى عمل مسرحى كبير ، قصد به توصيل رسالة هى أقرب إلى الواقعية والتصديق إلى الدول « الأهداف » من وجهة نظر إسرائيل .. ألا وهى الدول العربية ، بالإضافة إلى دولتين غير عربيتين فى منطقة الشرق الأوسط وهمـا :

إيران .. وباكستان .

الرسالة التى كان المراد توصيلها هى أن إسرائيل لديها إمكانات نووية هى كذا ... وكذا ... وبناء على ذلك فإن الدول فى المنطقة عليها أن ترتب أوضاعها وطموحاتها ومطالبها المشروعة فى استعادة أراضيها المحتلة طبقاً لهذه الحقائق المعلنة .

وقد يطرح البعض سؤالاً فى منتهى الأهمية .. وهو :

لماذا اللف والدوران ؟! ولماذا لا تعلن إسرائيل على الملأ عما لديها من أسلحة نووية وبشكل يضمن لها وصول الرسالة التحذيرية إلى الدول الأهداف بدون أى لبس لكى تحقق الهدف منها ؟!

والإجابة التى يقدمها لنا خبراء الاستراتيجية لا تقل أهمية عن السؤال نفسه .. وطبقاً لهؤلاء الخبراء فإن إسرائيل فى تعاملها مع القدرات النووية

بحر الكتب
bahr.alktob

التى تحوزها تعمد إلى ما يعرف باستراتيجية « الردع بالشك » !!

والردع لكى يتحقق بفاعلية يجب أن تتوافر له شروط وعناصر هى :

الأول : امتلاك السلاح الذى يمثل وسيلة الردع .

الثانى : امتلاك الإرادة السياسية للاستخدام الفعلى للسلاح ضد العدو إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك .

الثالث : إعلان الخصم بشكل ليس به أى شك .. بقدرتك .. وإرادتك فى الاستخدام الفعلى لهذا السلاح إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

الرابع : عدم التردد فى الاستخدام الفعلى لأداة الردع فى المواضع التى تحقق فيها أمنك القومى .

وبالنظر إلى إسرائيل نجد أنها عمدت منذ نشأتها على الاستخدام الواعى لاستراتيجية الردع هذه .. ففى حالة تعرض أمنها فى الشمال « منطقة الجليل الأعلى » الواقعة على الحدود اللبنانية إلى الخطر من جراء هجمات صواريخ الفدائيين العرب فإنها لا تتردد فى القيام بهجمات جوية كاسحة ليس على مواقع الفدائيين فى الجنوب اللبنانى فقط ، ولكن على عموم لبنان كله .. ورسالة الردع هنا واضحة لا يمكن أن يخطئها أى إنسان .

ولكن ماذا عن (سلاح دمار) شامل تريد أن توفره ليكون الملجأ الأخير لك فى حالة تعرضك إلى خطر داهم مهدد الوجود ؟! .. ماذا لو كان هذا السلاح يمكن أن يكون له آثار مرتدة عليك أنت نفسك يا صاحب السلاح ؟! ماذا لو أنك بحيازتك هذا السلاح يمكنك أن تعرض نفسك لضغوط دولية قوية للتخلى عنه ؟! .. فى هذه الحالة يجب عليك أن تلجأ إلى ما يسمى باستراتيجية « الردع بالشك » بمعنى أنه يجب عليك أن تعطى إشارات قوية تتبعها رسائل واضحة لا لبس فيها (ولكنها غير رسمية) على أنك لديك السلاح الرادع ، وبأنك لن تتردد فى استخدامه إذا ما تطلب الأمر ذلك .. وفى هذه الحالة إذا ما احتجّتْ أى دولة على وجود هذا السلاح لديك

بحر الكتب
bahr.alktob

رسمياً ، فإنه ليس عليك سوى أن تزعم أن ما أشيع عن هذا السلاح ليس سوى افتراءات فنى مختبرات نووية مَوْتُور .. ومخبول .. إلخ .. ولكن بعد أن تكون قد أوصلت الرسالة المستهدفة إلى الدول الأهداف .. وهذا بالضبط ما حدث فى رواية الإسرائيلى (موردخاى فنانو) .

ففى تلك الفترة كانت إسرائيل تعلم أن بعض دول المنطقة - العراق وإيران وباكستان - قد قطعت شوطاً كبيراً على طريق تطوير سلاح نووى ، فى حين كانت كل من ليبيا والجزائر بصدر المحاولات الأولى فى هذا المضمار .. أيضاً فإن إسرائيل توافرت لها معلومات عن نجاح بعض الدول العربية فى تطوير أسلحة غير تقليدية كيماوية وبيولوجية ، فى حين كانت دولة عربية أخرى على طريق الإنتاج ، وكان لابد من توصيل رسالة تحذيرية قوية .. ولكنها غير مباشرة .

فيما بعد ، وعندما شعرت إسرائيل بأن هذه الرسالة لم تحقق سوى جزء من أهدافها ، كان عليها أن تقوى هذه الرسائل وتجعلها أقرب إلى الرسمية ، وذلك من خلال تلميحات غير قاطعة .. ولكن هذه المرة على ألسنة مسئوليها وكبار قادتها .. كل ذلك مع استخدام كل أسباب القوة الممكنة لكى تجهض أى محاولة فعلية لأى دولة عربية للوصول إلى هذا السلاح النووى ؛ فكانت عملية اغتيال عالم الذرة المصرى الفذ (الدكتور يحيى المشد) رحمه الله فى فرنسا وهو الذى كان مشرفاً على البرنامج النووى العراقى ، ثم تبع ذلك الضربة الجوية الإسرائيلية للمفاعل النووى العراقى فى العاصمة بغداد فى صيف عام ١٩٨٠م .

ولنقارن الاعتماد على « الآخرين » أى الطرف الوسيط أو « الهدف » أى الخصم نفسه فى الحصول على معلومات فى هذا الشأن ، وذلك فى شكل رسائل « ردع بالشك » .. وبين الحصول على هذه المعلومات من خلال مصادرك الوطنية من خلال ما قاله السيد / أمين هويدى الرئيس الأسبق للمخابرات العامة المصرية والذى بدأ حياته فى المخابرات فى عام ١٩٥٧م

بحر الكتب
bahr.alktob

واختتمها مديراً للجهاز فى عام ١٩٧٠م ، وذلك فى مقابلة خاصة مع المؤلف .

يقول السيد / أمين هويدى الخبير والكاتب الاستراتيجى الكبير :

« لم نعتمد فى حساباتنا على مجرد إشاعات ، أو معلومات طرف ثالث » .

ويستطرد هويدى لكى يكشف عن سر لم يذع من قبل حيث يقول :

« فى نهاية الخمسينيات وبعد أن وصلتنا معلومات فى هذا الشأن طلبت المخابرات العامة المصرية من القوات الجوية استطلاع مفاعل ديمونة النووى الإسرائيلى الواقع فى صحراء النقب وتصويره .. وبالفعل قامت القوات الجوية بالمهمة وتم تصوير المفاعل النووى الإسرائيلى بالكامل .. إلا أن إسرائيل بعد ذلك حولت المنطقة حول المفاعل إلى قلعة حربية منيعة .. وقد شاع فى ذلك الوقت أننا سنقوم بتوجيه ضربة جوية لهذا المفاعل .. إلا أن ذلك لم يحدث .. !! » .

المهم فى هذا الموضوع هو ضرورة اعتمادك على مصادرك الوطنية فى جلب المعلومات والاقتراب من « الهدف » حتى لا تقع فريسة معلومات منمقة ومرتبة بشكل يحقق مصالح وأهداف الطرف الآخر .. أيضاً فإن الاعتماد على مصادرك فى جلب المعلومة يتيح لك فرصاً أكثر ملاءمة لوضع خطط مضادة لما يحوزه الطرف الآخر من إمكانات مثل تطوير أسلحة غير تقليدية أقل تكلفة من الخيار النووى .. ولكنها مؤثرة على أمن هذا الطرف الآخر .. وبدون تلك المعلومات لن تستطيع اتخاذ مثل هذه الخطوات .

وتطبيقاً لذلك جاءت محاولتنا - التى هى الأولى من نوعها على الأقل من الناحية الصحفية على المستوى العربى - للاقتراب والالتقاء ومحاورة كبار القيادات الأمنية الإسرائيلية .

ولقد كان اختيارنا لهذه القيادات التى تولت هذه الأماكن الحساسة فى إسرائيل فى فترة تاريخية بدأت منذ قيام إسرائيل وحتى بداية السبعينيات

بحر الكتب
bahr.alktob

ونهاية الستينيات مقصوداً .. وكان القصد من ذلك الآتى :

أولاً : أن لحظة الميلاد هى أخطر اللحظات .. سواء كان ذلك بالتطبيق على النموذج الإنسانى ، أو على نموذج الدول .

ثانياً : أن لحظة الميلاد ولحظة الموت سواء فى النموذج الإنسانى ، أو نموذج الدولة هى الأكثر إحاطة بالأسرار والغموض .

ثالثاً : أن هذه القيادات ساهمت بشكل كبير فى ميلاد الدولة العبرية ، وكذا فى بنائها ، ووضع قواعد العمل وتقاليده داخل أروقة الأجهزة السرية فى إسرائيل .

رابعاً : أن مرور فترة طويلة على خروج هذه القيادات من مناصبها الرسمية - بالرغم من استمرار بعضهم فى الارتباط بالعمل السرى مثل (إيتسر هارئيل) الذى ما زال يحاضر لضباط المخابرات فى معاهدهم - يمكن أن يقلل من حساسية وضع جهاز التسجيل أمامهم .. الأمر الذى يمكن أن يكون عاملاً فى زيادة المصداقية فى كلامهم ، ومن ثم الاستفادة منه .

* * *

و .. مع ذلك فإن القبول المطلق لكل ما يقوله هؤلاء وترتيب نظريات عليه يمكن أن يؤدى فى بعض الأحيان إلى نتائج خاطئة .. فهذه القيادات ، وإن كانت خارج الخدمة الفعلية فإنها مرتبطة بما يسمى فى هذا المجال « يمين الصمت » وذلك بالنسبة لموضوعات بعينها ، فى حين أنه لا مانع - فى مواضع أخرى - من أن يلقى إليك هؤلاء بمعلومة فى موضوع معين مقصود بها إحداث تأثير معين .

هذا الجانب السلبى الذى لا يمكن تفاديه خلال هذه الحوارات من الممكن إحباطه من خلال إجراءات علمية وموضوعية وصحفية فى نفس الوقت مثال ذلك :

بحر الكتب
bahr.alktob

١ - تحليل مضمون الناتج من هذه الحوارات ، وملاحظة أى تناقضات فى داخلها على ألسنة الأشخاص موضع الحوارات .

٢ - مطابقة الناتج من هذه الحوارات بالواقع الفعلى .

٣ - محاولة استغلال التناقضات .. سواء كانت موضوعية ، أو شخصية « لانتزاع » المعلومة الصحيحة من الشخصيات موضع الحوارات .

وبتطبيق ذلك على ما نحن بصدده نجد مثلاً أن ما قاله قيادى الموساد السابق (شوموئيل توليدانو) :

« .. فور توقيع اتفاقيات السلام مع مصر صدرت الأوامر على الفور إلى أجهزة المخابرات فى إسرائيل : أوقفوا عملياتكم ضد مصر .. » .

أقول : نجد أن مثل هذه المعلومة بمطابقتها على ما يحدث فى الواقع من قضايا تخابر داخل مصر ، هى معلومة خطأ عن قصد .

فإذا ما عرفنا أن عمليات التجسس المتبادل بين الدول - حتى الصديقة منها - لا يمكن أن تتوقف فى أى وقت من الأوقات حتى فى زمن السلم .. تأكدنا من الخطأ المتعمد فى هذه المعلومة بما لا يمكن إنكاره .. الأمر الذى ينسحب بنفس الطريقة على قوله :

« .. نحن لا نتجسس على الدول الصديقة مثل فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة على وجه الخصوص .. فهذا لا يصح من الناحية الأخلاقية .. » .

فى هذا الموضع فإن معرفة حقيقة أن العمل فى هذا المجال السرى لا يعترف إلا بتأمين النفس ولو على حساب الآخرين حتى وإن كانوا أصدقاء يمكن أن يسهل علينا دحض هذه المقولة .

أيضاً عندما نستمع إلى الرئيس الأسبق للموساد (إيتسر هارئيل) وهو يؤكد أنه لم يكن يسمح بإيذاء أى مندوب مخابرات دولة أجنبية أو أى جاسوس يقع فى أيديهم فى سبيل استجوابه والحصول على معلومات منه

بحر الكتب
bahr.alktob

يدحضه على الفور كشف إسرائيل نفسها بشكل رسمى عن تقنين قيام أجهزة الأمن الإسرائيلية – الشين بيت – فى هذه الحالة وهى جهاز المخابرات الداخلى المسئول عن متابعة الجواسيس والقبض عليهم داخل إسرائيل بعمليات التعذيب للحصول على معلومات .. وقد صدر فى هذا الشأن قانون من لجنة الأمن القومى التابعة للكنيست الإسرائيلى فى بداية عام ١٩٩٥م ، وتم تمديده فى شهر يناير من عام ١٩٩٦م .

وبالنسبة لما يسمى بـ « يمين الصمت » فهناك نموذج واضح على ذلك .. عندما رفض توليدانو الإجابة على سؤال بشأن التطور الذى طرأ على « تكنيكات » أى أساليب العمل فى الموساد حيث قال :

« .. أجهزة المخابرات تتميز على بعضها البعض بتكنيكاتها .. كل جهاز يعمل على تطوير أسلوب عمل خاص به ، ويعد ذلك من أخطر أسرار كل جهاز ... » .

أيضاً فإن « يمين الصمت » هذا ينطبق على الحديث حول تفصيلات عمليات تخابر معينة .. ليس لخطورتها فى حد ذاتها .. ولكن بسبب أن الحديث عن تفصيلاتها يكشف عن أسلوب العمل .. وهذا الشىء لا تلتزم به قيادات المخابرات الإسرائيلية فقط .. ولكن تلتزم به قيادات المخابرات فى جميع أجهزة العالم كله .

إلا أن كل ذلك لا يعنى أن جميع ما تقوله هذه القيادات من قبيل الخداع والتضليل .. وإنما العكس هو الصحيح تماماً .. فنسبة المصداقية فيما ورد سابقاً كانت عالية .. وخاصة عندما تقترب من هذه القيادات وأنت مزود بقدر معقول من الحقائق والمعلومات حول موضوعات بعينها وتواجههم بها .. فإذا ما تم ذلك جنباً إلى جنب مع استغلال التناقضات الشخصية بين البعض منهم ، تعلو نسبة المصداقية بشكل يقترب من الكمال .

ولعل أبرز ما حدث فى هذا الصدد ذلك التناقض الشديد الذى وصل إلى حد تكذيب القيادى السابق فى الموساد « توليدانو » لرئيسه السابق

بحر الكتب
bahr.alktob

«إيتسر هارئيل» فى قضية المذابح والإرهاب الدموى الذى أقدمت عليه إسرائيل فى لحظات الميلاد - ميلاد الدولة - ضد الفلسطينيين بهدف ترويعهم وإجبارهم على الهرب بعيداً عن أراضيهم وتفريغ أراضى ما خلف الخط الأخضر من أصحابها .. أيضاً فإن التزود بمعلومات موثقة ووضعها أمام أعين المصدر يقلل من فرصته للمناورة إلى درجة الصفر أحياناً .

وفى هذا المجال نستشهد بمعلومة قيام فرع مؤسسة (سيمون فيزنتال) فى لوس أنجلوس بالولايات المتحدة بوضع خطة للتجسس على المشروع النووى الإيرانى .. وذلك تحت إشراف الدبلوماسى الأمريكى السابق (كينث تيمرمان) .. فعندما ووجه فيزنتال بالمعلومة كاملة بالأسماء والأماكن لم يسعه سوى الاعتراف بصحة المعلومة وتأكيدها .. وإن أنكر صلة مركزه بهذا المشروع ومعرفته به قبل بدايته .. وهذا شىء طبيعى ومنطقى .

ثانياً : وهو محاولة النظر إلى الذات من خلال عيون «الآخر» .. فإذا كان من المهم أن نقيم الذات بموضوعية فإنه لا يقل أهمية أن نتعرف على تقييم «الآخر» لنا .

ولا شك أن أفضل فترات يمكن أن نحصل خلالها على تقييم «الآخر» هى فترات مضت .. حيث تعلو فيها نسبة المصداقية إلى مستويات معقولة إلى حد كبير .

فعلى سبيل المثال تناولت الأجزاء الأربعة الماضية رؤى قيادات المخابرات الإسرائيلية لمشروع قومى فى منتهى الأهمية بدأته مصر وسبقت به الجميع فى منطقة الشرق الأوسط - بما فى ذلك إسرائيل نفسها التى نشهد هذه الأيام انطلاقتها التكنولوجية - فى النصف الثانى من الخمسينيات وطوال الستينيات .. هذا المشروع هو تطوير صواريخ أرض - أرض ذاتية الدفع .. وإذا ما استعرضنا تقييم الذات لهذا المشروع فإننا نجده سلبياً للغاية .. فى حين تكون نتيجة تقييم «الآخر» لنا فى منتهى الإيجابية والأهمية .

بحر الكتب
bahr.alktob

وبالطبع فإن تقييم الذات من جانبنا لهذا المشروع القومى الخطير الذى أهّلنا فى فترة قياسية لكى نقف على أعتاب تكنولوجيا الفضاء تعرض - مثله فى ذلك مثل العديد من المشاريع القومية الأخرى - إلى أهواء شخصية داخلية فى فترة ما بعد عبد الناصر وعهد الرئيس الراحل أنور السادات هوت بنفسها - وبالتالى بهذا المشروع العملاق - إلى الحضيض .

وفى هذا المضمار تلاقت الأهواء الشخصية الداخلية مع مصالح أجنبية خارجية معادية فى الإساءة .. ومن ثم إجهاض هذا الوليد المتوعد بمستقبل تكنولوجى ممتاز .

فى هذا المجال نعود إلى السيد / أمين هويدى مرة ثانية لنجده يقول :

(.. فى الخمسينيات بدأنا فى مصر مشروع تطوير صواريخ مصرية ١٠٠٪ بمساعدة علماء صواريخ ألمان .. الأمر الذى أثمر صاروخى (القاهر والظافر) .. كان المشروع من الخطورة والأهمية بحيث دفع إسرائيل إلى تخصيص عملية كبرى لمحاولة وقفه بما فى ذلك مطاردة واغتيال عدد من العلماء الألمان لإجبار الباقين للهرب من مصر .. إسرائيل كانت تعلم مدى خطورة هذا المشروع عليها .. حيث أننا كنا أول من طور صواريخ ذاتية الدفع فى منطقة الشرق الأوسط .. وقد نجحنا فى إطلاقها وكان يلزمنا قليل من الوقت لتطوير أجهزة توجيه هذه الصواريخ .. لكن المفاجأة المؤلمة لم تكن فى توجيه دعاية مضادة سلبية ضد هذا المشروع من جانب إسرائيل ، ولا من جانب أمريكا .. ولكنها جاءت من بعض القوى السياسية والكتاب فى الداخل .. لقد استهزأوا بعملنا هذا وأطلقوا عليه النكات .. بالرغم من أن الوطنية كانت تحتم عليهم احترام هذا العمل الذى كان بمثابة بِنيةٍ أساسية لتطوير صناعة صواريخ فضاء فائقة التقدم .. كان مفروضاً على من تولوا المسئولية من بعدنا أن يكملوا من حيث انتهينا .. لا أن يجهضوا هذا المشروع العظيم .. ليس بمعناه المادى فقط .. ولكن تحطيم صورة الابتكار المصرى وتحويله إلى نكتة سخيفة إذا ما سمعها الشباب يضحكون عليها .. ».

نعود مرة أخرى إلى تقييم « الآخر » لنا فى هذا الشأن فنجد أنه يؤكد ما ورد على لسان الخبير العسكرى الاستراتيجى الكبير السيد / أمين هويدى

بحر الكتب
bahr.alktob

الذى عاصر تلك الفترة .. بل وشارك فى صنع الأحداث فيها من خلال مواقعه المختلفة .. سواء فى جهاز المخابرات أو خارجه ..

وإذا كان تقييم « الآخر » هام بالنسبة لمشروع قومى مثل مشروع تطوير « صناعة صواريخ » فإن تقييم الذات ككل .. أى بالنسبة لموقع مصر وصورتها فى أعين « الآخر » يعد أمراً أهم بكثير .

ففى الوقت الذى تفاجأ فيه بعض الكتاب والسياسيين - الذين هم منا - يُقَيِّمُون مصر فى مرحلة الخمسينيات والستينيات بشكل سلبى للغاية يصل فى بعض الأحيان إلى حد « جلد النفس » على طريقة : « .. كل شىء كان أسوداً » نجد أن « الآخر » ممثلاً فى القيادات الإسرائيلية التى التقيناها على مدار أجزاء الكتاب الأربعة تتكلم بعكس لساننا (!!) .

وهنا نجد الجميع يتفقون على أن مصر كانت تهديداً حقيقياً لهم، وبأنها كانت تمثل خطراً داهماً عليها وعلى وجودها .. فمثلاً نجد البروفيسور الراحل (يهشوفاط هركابى) المدير الأسبق للمخابرات العسكرية الإسرائيلية يقول :

« .. لقد كنت أقدر عبد الناصر بحق .. ولو كنت مصرياً ، لعشقته .. » .

ولعل تقييم القيادات الإسرائيلية لنا لا يختلف كثيراً عن التقييم الذى يراه الخبير الاستراتيجى السيد / أمين هويدى الذى يقول :

« .. إسرائيل تتميز علينا بالقوة العسكرية .. أما نحن فنتميز عليها بالقدرة .. والقدرة هى مجموع عناصر القوة الاقتصادية مثل : المساحة .. والموارد الطبيعية .. والعمق السكانى والجغرافى .. والسوق .. ورأس المال .. والطاقة بأنواعها .. وغير ذلك من عناصر القوة التى تتوافر لمصر والدول العربية ولا تتوافر لإسرائيل التى تعرف بناء على ذلك أن الصراع على المدى البعيد ليس فى مصلحتها .. والمعروف أن القوة العسكرية تهدد الحدود .. فى حين أن القدرة تهدد الوجود .. إسرائيل مهتمة جداً بالسلام لأنها تعلم جيداً أنه

بحر الكتب
bahr.alktob

بدونه لن تحصل على شرايين الحياة الممتدة لها الآن من بترول تحصل عليه من مصر .. ومياه نيل تسعى للحصول عليها .. وغير ذلك من مقومات الحياة .. » .

.. وفى النهاية نقول : إن ما سبق كان محاولة لاستكشاف جانب غامض من « الآخر » .. واستكشاف جزء من الذات من خلال هذا « الآخر » الذى أهدى مقولته المأثورة التى أوردناها من قبل :

(إذا لم تؤمن بالمعجزات .. فأنت لست واقعياً !)

والى لقاء إن شاء الله تعالى مع الجزء الثانى من هذا الكتاب الذى لن يقل عنه فى الأهمية إن لم يزد عليه

* * *

بحر الكتب
bahr.alktob

شكر وتقديم واجبان

الحمد لله من قبل ومن بعد الذى يسر لى السبل والجهد والأشخاص الذين لم يألو جهداً فى مؤازرتى وتشجيعى على هذا العمل .. والحقيقة أنه بدون مثل هذه المؤازرة ماكان لهذا العمل أن يرى النور .. على الأقل بصورته الحالية .

ولعل الشكر فى المقام الأول يجب أن يوجه إلى جريدة الأهرام ورعاتها من قيادات صحفية على مستوى عال من الوعى الصحفى .. ذلك الوعى الذى أمدنى بالشجاعة والمثابرة والجلد لكى أواصل الجهد لاستكمال هذا الإنجاز الصحفى الغير مسبوق .

إلا أننى أود فى البداية أن أتوجه بخالص شكرى إلى كاتب مصر الأول الأستاذ / محمد حسنين هيكل .. لكلماته الرقيقة المشجعة .. فى وقت عزت فيه مثل هذه الكلمات فى أوساطنا الصحفية المليئة بغيوم المهنة ، ومتاعب صاحبة الجلالة .

أيضاً فإن الشكر والعرفان لازمان للكاتب الكبير الأستاذ / سعد الدين وهبه الذى لم يتردد لحظة فى الإقبال على بروفات الكتاب بالمراجعة الدقيقة والقراءة المتفحصة .. تمهيداً لما شرفنى به حين تفضل بتقديم الكتاب .

أيضاً فإن الشكر والتقدير يجبان للعديد من كتابنا الكبار على المساعدة غير المباشرة التى تمثلت فى كتاباتهم التى تحوى قيماً فكرية عالية والتى تمثل لى ولأمثالى مدرسة تنهل من معينها ، وتتزود بطاقاتها على طول طريقنا .. سواء فى مجال الصحافة أو فى معظم مناحى الحياة الأخرى .

والحقيقة أن قائمة هؤلاء الكتاب قائمة طويلة جداً الأمر الذى يعد مبشراً بالرغم مما يظهر من علامات قاتمة فى حياتنا سواء على الصعيد العام أو على الصعيد الخاص .. وأنا إذ أذكر ذلك يتدافع إلى ذهنى العديد من الأسماء الكبيرة التى أُوردُ بعضاً منها على سبيل المثال وليس الحصر وحسب الحروف الأبجدية .. هم الأساتذة :

إحسان بكر .. أحمد بهجت .. سلامة أحمد سلامة .. صلاح الدين حافظ

بحر الكتب
bahr.alktob

عادل حسين .. فهمي هويدى .. كامل زهيرى .. محمود المراغى .. وغيرهم كثيرون ممن يضيق المقام عن حصرهم كصحفيين وكتاب متميزين .

أيضاً فإن للبعض دين فى عنقى ممن أسرونى بعلمهم وغمرونى بتشجيعهم الدائم لى .. وفى مقدمتهم :

د. عمرو عبد السميع .. الكاتب الصحفى الأستاذ / عاطف الغمرى .. الأستاذ / محمد باشا نائب رئيس تحرير الأهرام وهو واحد من القليلين الذين يستطيعون تقييم الخبر ووضعه فى موضعه واختيار مناسبته ، كما أنه الرجل الذى لم يتوان لحظة عن الدفع بى وتحفيزى على الإجادة فى العمل .. فى وقت عز فيه مثل هذا التشجيع .. الكاتب الصحفى الكبير الأستاذ / عبد الوهاب مطاوع .. المفكر والاستراتيجى الكبير الأستاذ / أمين هويدى .. الأستاذ / أمين محمد أمين الرئيس الحالى والزميل السابق فى قسم الشئون العربية .. الأستاذ / عبد العظيم حماد لتشجيعه المتواصل لى .. والصحفى حازم عبد الرحمن .

أخيراً وليس بآخر الأستاذ الكبير / إبراهيم نافع الذى وإن عزت كلماته .. فإن أفعاله كانت تسبق كلماته وتشجيعه المتواصل لى مشكور غير منكور .. فلقد ظهر هذا جلياً عندما أحسست بدفء هذا التشجيع حين صدر كتابى الأول : « يوميات مراسل حربى فى البوسنة .. الملف السرى لإبادة شعب » .

وإذا كانت قائمة الشكر والعرفان قد ضمت العديدين ممن أسبغوا علىّ من علمهم وفضلهم الكثير ، فإن القائمة لابد وأن تضم آخرين ممن ساهموا مساهمة مباشرة فى الكتاب .. سواء فى شكل لمسات وإضافات فعلية ، أو من خلال المساعدات اللوجوستيكية والإدارية .

ويأتى على رأس قائمة هؤلاء الفنان ورسام الكاريكاتير الصحفى الكبير فرج حسن الذى أسهم وللمرة الثانية بأن يضفى قيمة فنية مضافة لهذا الكتاب وذلك بتصميمه للغلاف .. مما يعد مرآة صادقة لما يحتويه الكتاب بين دفتيه .. أدعو الله العلى القدير أن يحفظ يمينه .

أيضاً فإننى أتوجه بخالص شكرى وتقديرى إلى الصديق والأخ العزيز الأستاذ / محمد عبد البديع .. الذى أكاد أؤكد أنه بدون المساعدات القيمة التى قدمها لى – ليس فقط فى النمسا .. ولكن فى دول أوربية أخرى – بتسهيل إجراء الاتصالات والمقابلات الخاصة التى كان من الصعب

بحر الكتب
bahr.alktob

أن يخرج بدونها هذا العمل بصورته الراهنة .

فى الوقت نفسه ، لا يمكننى أن أغفل مساعدات الأخ العزيز والصديق الوفى الأستاذ / إسماعيل النعمان الذى لم يدخر جهداً فى التدقيق وإبداء الملاحظات القيمة طوال فترة هذا العمل الذى استغرق إعداده وجمع معلوماته ما يقرب من العامين ونصف العام .

وإذا كان الكتاب يتحدث عن « الآخر » .. وبالرغم من الخلافات الجذرية والجوهرية التى تفصل بيننا وبين هذا « الآخر » .. فإننى أجدنى مدفوعاً إلى شكره على صراحته المتوازنة فى العديد من مواضع الكتاب .. وخاصة القيادى الإسرائيلى السابق « شوموئيل توليدانو » و « إيتسر هارئيل » و « يهشوط هركابى » وغيرهم من مواطنيهم ممن كانوا طرفاً فى هذا الكتاب .. مع الاحتفاظ بحقنا فى الكفاح والجهاد لاستخلاص حقوقنا الشرعية « الإسلامية والعربية » والثابتة فى جميع الأراضى والمقدسات التى سلبوها منا وعلى رأسها بيت المقدس .

وإذا كان الفضل والشكر يجبان لله عزَّ وجلَّ أولاً وثانياً وثالثاً وأخيراً .. فإنهما لازمان كذلك للرجل الذى كان السبب الرئيسى فى أن يخرج هذا العمل إلى النور .. ذلك الرجل الذى أثبت لى أن عمل الناشر لا يجوز أن يقف فقط عند حدود التمويل والنشر والتوزيع – على الرغم من الأهمية الفائقة لكل هذه المراحل والتى بدونها لا يمكن للعمل أن يولد – أقول إنه أثبت لى أن دور الناشر يمكن أن يتجاوز ذلك كله إلى النقد والتدقيق فى كل معلومة يشتمل عليها الكتاب ، وإبداء الرأى بما لا يجور على حق الكاتب فى حرية التعبير .. ولكن بهدف إخراج العمل فى أفضل صورة تعود على القارئ بالنفع العميم .. فى هذا المقام أوجه التحية إلى الناشر « الحركى الحر » الأستاذ « حسن عاشور » أطال الله فى عمره وأدام توفيقه فى عطائه الغزير وجعل ذلك فى ميزان عمله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وأخيراً .. فإنى أؤكد أن كل من ذُكِرَتْ أسماءهم من قبل وغيرهم ممن لم يتسع المقام لتشريف هذا العمل بهم .. لهم نصيب فى الكتاب مثلما لكاتب هذه السطور .. والله تعالى من وراء القصد .

« المؤلف »

بحر الكتب
bahr.alktob

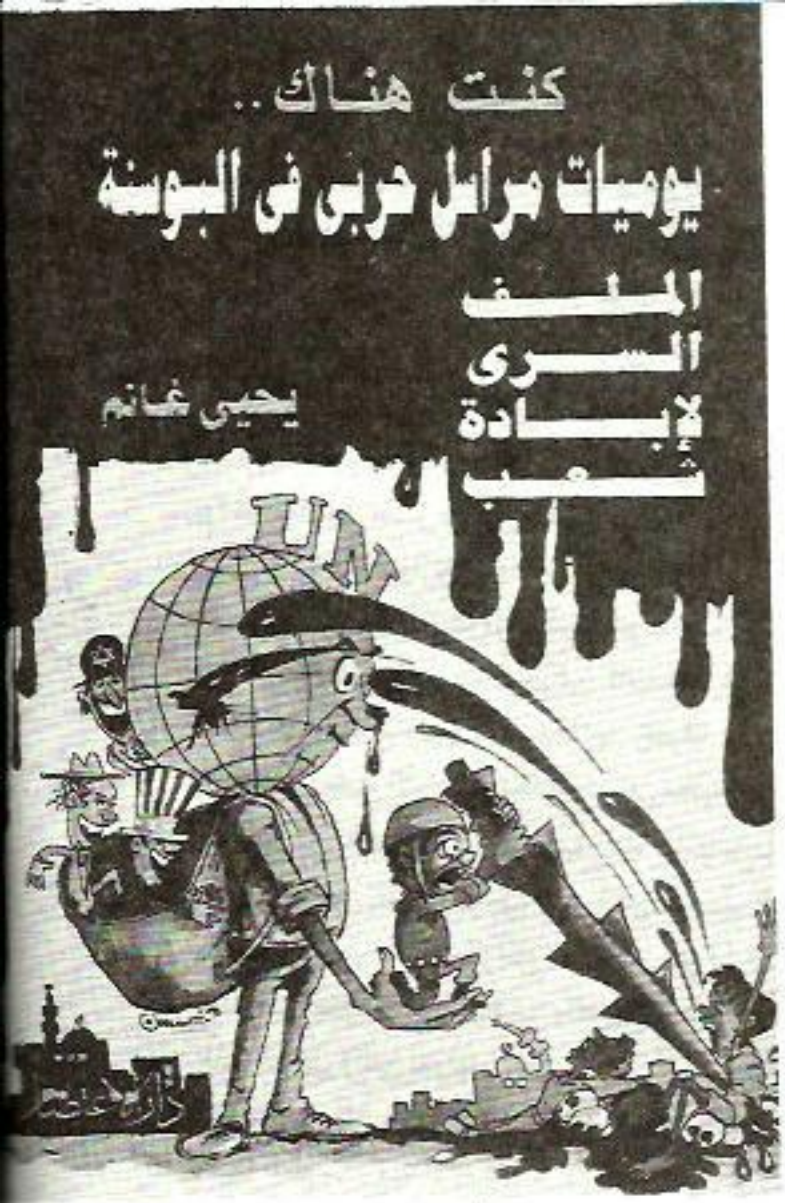

صدر للمؤلف
هذا الكتاب

لم تنل قضية من الإهمال والتجاهل واللامبالاة داخل أروقة مجلس الأمن وبقية المنظمات الدولية على مدى تاريخها الطويل مثل ما نالته « قضية المسلمين فى البوسنة والهرسك » .. حتى إن منظمة العفو الدولية وكل منظمات حقوق الإنسان قد شغلت نفسها أكثر من اللازم بممارسات التعذيب وإهدار حقوق الإنسان فى سجون مصر وتركيا دون أن تركز على عمليات التعذيب النفسى داخل معسكرات الاغتصاب أو الممارسات الصربية والكرواتية لعمليات القتل الجماعى أو الموت البطىء للمسلمين فى البوسنة .. فعلى مدى ما يقرب من عامين ظلّ مجلس الأمن ومنظمته الدولية يتقاذفان المشكلة كالكرة بين أرجل اللاعبين رغم وضوح الرؤية وعدالة القضية ، ورغم التحدى الصربى الصارخ والمتعنت ، ورغم الاعتداء المتكرر على الآمنين بكل أنواع الأسلحة التقليدية والمحرمة ، ورغم قرارات الإدانة الدامغة للعدوان الذى استهدف المدنيين العُزّل من النساء والشيوخ والأطفال .. حتى المرضى فى دور العلاج ، والجرحى فى المستشفيات !!

إن رجلاً أوربياً أو أمريكياً واحداً يُختطف فى أى بقعة من بقاع الأرض يمكن أن يقيم الدنيا ولا يقعدها فلا تهدأ دوائرهم ولا تستريح ضمائرهم إلى أن يعثروا عليه سالماً ولو تحركت الأساطيل فى البحر ، وانتشرت الطائرات فى الجو .. فإن حرمته مصونة ، وكرامته محفوظة ، وأمنه من أمن بلده .. أليس هو أوربى الهوية .. أو أمريكى الجنسية ؟!!

أما أن يوجه الصربيون مدافعهم صوب المدنيين فى القرى والمدن فيقتلوا الأبرياء ، ويجهزوا على الجرحى ، ويدمروا المنازل على السكان ، ويهدموا المساجد على العُبّاد ، ويهتكوا أعراض النساء ، ويصادروا قوافل الإغاثة إلى القرى والمدن المحاصرة .. فمن لم يمت بالسيف مات بغيره .. ومن لم يقتل بالرصاص قُتل بالجوع والمرض .

أما أن يُلقى المجرمون الصرب بحديثى الولادة من الأطفال فى خلاطات الأسمنت الدائرة حتى تختلط عجينة اللحم بعجينة الأسمنت .. وإن ترفقوا بهم فإنهم يضعونهم أحياء فى صناديق القمامة .. أما

بحر الكتب
bahr.alktob

أن يحدث هذا فإنه لا يحرك ساكناً لدى المنظمة الدولية .. ولا لدى السيد بطرس .. ولا لدى الوسيطين الدوليين .. ولا لدى البيت الأبيض .. السيد الجديد الذى يحكمنا ويحكمهم ويحكمكم .. اللهم إلا بعض التهديدات الأمريكية الهزيلة ، والاستنكارات الفرنسية الرذيلة ، وعبارات الشجب التى لا تسمن من جوع ، ولا تغنى من أمن .. وإنما هى ذر للرماد فى العيون ، وتصريحات للاستهلاك لا تغادر بصداها الألسنة والشفاه .. فالمذابح دائرة ، وخطة التطهير العرقى قائمة ، ومحاولة إبادة الجنس المسلم ماضية .. وقرارات مجلس الأمن غير ملزمة .. ولجان المتابعة تفتقر إلى القوة .. والقوة فى يد أمريكا .. وأمريكا محكومة بالفيتو الروسى .. وروسيا لا تريد انهيار الصرب ولا الكروات ضماناً لديونها القديمة !!

وعن قصة المسلمين فى البوسنة والهرسك والأحداث الجسام التى تعرضوا لها .. وحول هذه المأساة الإنسانية الغير مسبوقة فى التاريخ الحديث والقديم يطالعنا هذا الكتاب الذى سجل فيه الكاتب الصحفى والمراسل العسكرى لجريدة الأهرام فى البوسنة الأستاذ « يحيى غانم » الذى عمل طويلاً بقسم التحقيقات الخارجية قبل أن ينتقل إلى القسم الدبلوماسى .. سجل فيه كثيراً من الأحداث والوقائع على أرض المعركة ، وأجرى أهم الحوارات مع الأطراف المعنية من مدنيين وعسكريين .. بدءا من الرئيس « على عزت بيجوفيتش » .. ومروراً بالمرتزقة الذين يستأجرهم الصرب لقتال المسلمين .. وانتهاء ببعض الخنازير البشرية الذين اغتصبوا حراثر الفضليات من النساء والفتيات المسلمات !!

إن الملف الذى يفتحه الكاتب ليصبه فى هذا الكتاب « يوميات مراسل حربى فى البوسنة » يكشف كثيراً من المستور ، ويلقى الكثير من الأضواء على أخطر القضايا الدولية التى لفها الغموض ، كما أنه يشارك إلى حد كبير فى نزع القناع من على وجه الأمم المتحدة ومجلس الأمن ليبرز حقيقة المهمة المشبوهة للمنظمة الدولية ، ويفضح الدور الخيانى الذى كانت تقوم به قوات الحماية فى البوسنة .. وكيف أن أحد أبرز القيادات العسكرية فى قوات الحماية الدولية وهو الجنرال « ماكنزى » قد تورط هو الآخر فى أكثر من عملية اغتصاب داخل معسكرات اعتقال النساء المسلمات عندما افتضح أمر هذا الجرم الدولى فاكتفوا بترحيله إلى بلده (كندا) دون محاكمة عسكرية أو حتى مدنية .. إلى غير ذلك من الجرائم والفظائع التى تقشعر لها الأبدان ، ويشيب لها الولدان .. وبما أن الصرب والكروات لم يفرقوا فى جرائمهم بين الأهداف المدنية والأهداف العسكرية حتى فى أماكن العبادة فلم يُبق الصرب على مسجد واحد فى البوسنة والهرسك إلا هدموه ، ولا مؤسسة إسلامية إلا دمروها ، ولا مدرسة لتحفيظ القرآن إلا جعلوا عاليها سافلها ، فلم يفت المؤلف أن يرصد هذه المساجد بالاسم .. والموقع .. والتاريخ .. وعددها أكثر من ٦٠٠ مسجد من خلال سجلات « المشيخة الإسلامية » فى سراييفو فى الوقت الذى أثبت فيه المؤلف أن المسلمين لم يخدشوا كنيسة واحدة بطلقة خرطوش فضلاً عن اقتلاعها من جذورها .

وقبل أن نختم التعريف بالكتاب وأن نسجل بالشكر والتقدير هذا الجهد المبذول فى ثناياه .. نود أن نوجه تحية عاطرة إلى شخصيتين أوربيتين كان لهما قصب السبق فى التنديد بجرائم الصرب ضد المسلمين .. التحية الأولى نوجهها إلى الوزير الألمانى الذى استقال من منصبه الوزارى احتجاجاً على موقف أوربا من العدوان الصربى الأثيم !!

أما التحية الثانية فإننا نهديها إلى مجلة « سود دويتشة تسايتونج » إحدى كبريات الصحف الألمانية الأسبوعية التى طبعت عددها الأخير بالدم البشرى دعماً لحملة التضامن مع البوسنيات اللواتى تعرضن للاغتصاب !!

حسن عاشور

« دار الاعتصام »

بحر الكتب
bahr.alktob

كبار الكُتَّاب
يكتبون عن الكِتَاب

« يوميات مراسل حربى فى البوسنة .. الملف السرى لإبادة شعب »

كتب الأستاذ أحمد بهجت فى عموده اليومى « صندوق الدنيا » يقول :

يوميات مراسل حربى

كنت هناك.. يوميات مراسل حربى فى البوسنة.. الملف السرى لإبادة شعب.. هذا اسم الكتاب الذى صدر أخيرا ليحيى غانم.

والكتاب ثمرة تجربة مريرة وقاسية قام بها المؤلف وهو يغطى مأساة المسلمين فى البوسنة والهرسك، وذلك خلال عمله كمراسل حربى لجريدة «الأهرام».

يحكى يحيى غانم فى كتابه قصة ذهابه إلى سراييفو، وهى قصة مر فيها بعوائق ومعاناة حتى وصل بقدميه إلى الجحيم الذى يشتغل فى المدينة.

شاهد بعينيه كيف ينهمر القصف المدفعى من الصرب على المسلمين.. أحياء وأمواتا.. شاهد مقبرة تسقط عليها قذائف المدفعية، وشاهد المونى يتطايرون فى الهواء.. كان يظن أن المستشفى مكان آمن لن يضربه الصرب، ولكنه كان واهما، فالمستشفيات هدف رئيسى كالثكنات العسكرية تماما.. إذ المقصود هو الابادة.. وجرحى المستشفيات سبق ضربهم بالرصاص ولكنهم قاوموا ولم يموتوا، وانما خرجوا فقط. كان ينبغى عليهم ان يموتوا فليموتوا إذن.

شاهد يحيى غانم بعينيه، وسمع بأذنيه، واحس بقلبه حقيقة ما يفعل فى كتابته إلى الحد الذى يخرج فيه عن مهمته وهى جمع الحقائق إلى إبداء رأيه فيما يجرى إما حماسا او غضبا أو رفضا، وكان معذورا لخروجه هذا، فهو مراسل حربى، ولكن ما يجرى أمامه لم يكن حربا وانما كان مجزرة هدفها ابادة شعب باكمله.

شاهد يحيى غانم كيف يبيع بعض جنود وضباط الأمم المتحدة الطعام الذى أرسله العالم للمسلمين المحاصرين، شاهد كيف يبيعونه للنساء مقابل السلاسل الذهبية والاساور التى يرتدينها.

شاهد هذا كله وسمع بأذنيه من مفتصب قبض عليه كيف كان يلهو باغتصاب المسلمات، وكيف كان الصرب يذبحون أسراهم.

والكتاب يعطى القارئ صورة صادقة لما جرى فى البوسنة والهرسك، وهى صورة واقعية وامينة تسندها الافلام والارقام.

ولعل اهمية الكتاب انه اول كتاب يصدر من مراسل عربى عن البوسنة والهرسك، وهو مراسل عاش مخاطر عديدة رأى فيها الموت وحدق فى وجهه، ولكن هذا كله يهون جوار الثمرة التى عاد بها وهى الحقيقة.

أحمد بهجت

بحر الكتب
bahr.alktob

كتب الدكتور مصطفى محمود يقول :

على عزت بيجوفيتش

في كل يوم يكسب المقاتل العنيد على عزت بيجوفيتش احترامي اكثر فاكثر .. فنحن امام طراز من القادة العظام من امثال «هوشي منه» لايضع سلاحه امام الجبروت ولايحنى امام التهديد.

رجل عنيد صلب لايتراجع ولايضعف ولايتردد ولايهادن ولايداهن رغم أن الموت يحاصره والصواريخ تتساقط عليه والقنابل تتفجر حوله.

ان وحشية الصرب التي بلغت اقصى مداها لم تثنه لأحد في البوسنة اختيارا .. فما دام الموت قادما فلنقابله بشرف.

ان قلة الزاد وضعف العتاد ليسا ذريعة لقبول الذل.

ان كل العائدين من البوسنة يقولون ان القسوة والعذالة الصربية لم تقتل الاسلام هناك وانما بعثته من مرقده عاتيا عصيا واصام البأس والموت وعدم النصرة من الدول الاسلامية اتجهت كل القلوب الى الله وحده..

كلهم يقولون .. الله وحده هوالقادر على أن ينجدنا .. وسوف يجعل لنا مخرجا، وفي ايمان عجيب يركعون ويسجدون ويصلون ويحملون المصاحف، وفي ايمان عجيب يقبلون في هدوء كل ماتاتي به المقادير .. ولا يخشون انكسارا ولايابهون بهزيمة .. ويقولون نحن نقاتل لان قتال الشر واجب ومايجري علينا هو امر الله ونحن نقبله

وفي ساعات الفراغ يشعلمون العربية ويحفظون القرآن .

وفي وسط الموت والدمار تستمر الحياة في سراييفو .. الجامعات مفتوحة والطلبة يذهبون لتلقى العلم .. والموظفون يذهبون الى مكاتبهم بانتظام رغم انهم لايتقاضون رواتبهم .. والأطفال يلعبون الكرة في الملاعب ..

ويسقط القتلى ويدفنون .. والأحياء ياكلون حشيش الأرض اذا لم يجدوا ما ياكلونه .. وتمضي الحياة في اصرار وكان لاشيء حدث

وفي كتاب يحيى غانم المراسل الحربي للاهرام .. «كنت هناك» يقرأ القارىء صورة مشرقة لشعب بطل سوف يظل صامدا مقاتلا لعشرين شتاء قادما.

وبين الصفحات المشتعلة .. يشعر القارىء .. ان الاسلام الغائب سوف يعود .. وسوف يملأ الدنيا نورا من جديد .

د. مصطفى محمود

* * *

كتب الأستاذ كامل زهيري في عموده اليومي « من ثقب الباب » يقول :

عن ثقب الباب

هذا صحفي رفض أن يجلس القرفصاء . كما كان يجلس الكاتب المصري الفرعوني القديم . ولكنه صحفي من الجيل الجديد رأى أن الانتقال إلى الاحداث ونقل صورة امينة للقراء ، مهما كانت الصعوبات ، شرف لا يناله كثير ممن يكتبون ولا يقرأون .. أو يتحركون .

فقد ذهب الصحفي الشاب يحيى غانم إلى البوسنة في صيف ٩١ لتغطية الحرب بين الصرب والكروات . ثم ذهب ثانية في صيف ٩٢ مع اشتعال الحرب داخل جمهورية البوسنة والهرسك ، وعاد للمرة الثالثة إلى قلب سراييفو في شتاء ٩٣ ، لينقل الينا اخيراً في كتاب جديد أو وحيد صورة دامية لم يستطع أن يخفي بين سطوره عواطفه أو دموعه .

وهذا الكتاب « كنت هناك . يوميات مراسل حربي في البوسنة . الملف السري لابادة شعب » يكشف عنوانه الطويل الذي يشبه أصرخات المتوالية ، عن مأساة مروعه وحرب ابادة : دينية وعرقية مروعة ودامية . والمأساة أن المأساة مستمرة . ويرصد المؤلف لأول مرة قائمة بـ ٦٠٠ مسجد من سجلات المشيخة الاسلامية في سراييفو اصابها الدمار في هذه الحرب المجنونة التي تدور في قلب أوربا . ومن هذه الجوامع جامع الغازي خسرف بك ، وجامع السلطان ، وجامع المغربية في سراييفو ، وجامع السلطانة اسماء في مدينة بانيا ، وجامع السلطان في مدينة لوتشا ، والمسجد الاثري القديم « كاراجوز » في مدينة موستار . وبعضها اقيم مع بداية القرن السادس عشر . وبعضها دمر تماماً بالقصف الصربي المجنون وسوى بالأرض في تلك الحرب العرقية المجنونة !

ويعقد يحيى غانم فصلاً من الفصول الحادية والعشرين في كتابه « لابطال .. ليسوا من ورق » ، للمؤلف المشرف للكتيبة المصرية في سراييفو المشاركة في قوات الأمم المتحدة . وتتكون الكتيبة من ٤١٦ بطلاً مصرياً ، اقام بينهم ، ونقل صورة امينة للجنود والمهندسين والاطباء الذين يتميزون بالكفاءة والاخلاص معاً .

ولكن المأساة أن المأساة مستمرة . والمذابح لا تتوقف . وعجز الأمم المتحدة حتى عن حماية قوافل الاغاثة عجز فاضح مفضوح . وقد ترددت امريكا لان البداية غير النهاية . والتزمت بقية الدول الصمت . وكما يقول خير الدين سومون مستشار الرئيس البوسني علي عزت بيجوفتش :

– لقد حضرت القمة الاسلامية المصغرة التي عقدت في بداية ٩٣ ووجدت الاغلبية يتحدثون ويتكلمون ، في الوقت الذي نقتل فيه ، وتغتصب نساؤنا وبناتنا .

وقد اعلن المجتمعون انهم سيمنحون المعتدي مهلة ١٥ يوماً للتدخل في حالة عدم تنفيذ قرارات الأمم المتحدة ...

وكانت هذه القمة في بداية ٩٣ ونحن الآن في نهايتها .

وهذا الكتاب الجديد جدير بالقراءة .

كامل زهيري

بحر الكتب
bahr.alktob

كتبت جريدة الشعب القاهرية تقول :

الملف السري لإبادة شعب

محاولة إبادة شعب البوسنة المسلم صفحة سوداء في كتاب «الحضارة» الغربية.. وجرائم الصرب التي تحاول أن تسجل رقما قياسيا في مجال انتهاك آدمية البشر.. لم يشهد التاريخ هذا الحجم الواسع من الاغتصاب المتعمد والجماعي للنساء.. ولكنه حدث في أواخر القرن العشرين.. وتحت رعاية الحضارة التي تحاول أن تلقننا دروسا في حقوق الانسان والديمقراطية..

والأستاذ الزميل/ يحيى غانم المحرر الدبلوماسي بصحيفة الأهرام.. قام بفرض كفاية عن الصحفيين المسلمين في مصر وغيرها.. وعاش فترات طويلة في ظل حصار سراييفو.. وتعرض للموت من أجل القيام بهذه الفريضة.. التي تخلت عنها معظم وسائل إعلام المسلمين التي اكتفت بنقل ما يتفضل به الإعلام الغربي. وكتاب الزميل يحيى غانم «يوميات مراسل حربي في البوسنة» كتاب كتبه مؤلفه بمداد من الدم والدموع.. وهو شهادة له ووسام على صدره.. وعلى صدر الصحافة المصرية التي مثلها.. وهو في نفس الوقت شهادة إدانة دامغة مكتوبة وسط دخان الحرائق.. وشظايا القذائف.. ودماء الحرائر.. شهادة إدانة دامغة لحضارة الغرب الصربية التي تتبجح بالحديث عن التهديد الإسلامي لحضارة النور والحرية المزعومة.. والكتاب يستحق أن يقرأ كله.. وأن نعيد نشره كله.. ولكننا آثرنا أن نبدأ بعيدا عن التحليلات.. بقصة المغتصبات المسلمات.. واللائي التقى بأحدهن الزميل يحيى غانم.. لعلها تكون صرخة توقظ ما تبقى من حياء وإيمان حكام المسلمين.. وهي أساساً صرخة لجموع المصريين كي يستجيبوا لنداءات لجنة الإغاثة بنقابة الأطباء للمعاونة في التخفيف عن أهلنا في البوسنه.. في موسم الشتاء القاتل..

بعد أن وفقني الله عز وجل لاختراق العاصمة البوسنوية سراييفو بعدة أيام توافرت لدى معلومات مؤكدة بشأن كتب كل من أجهزة دعاية الصرب وافتراءات الإعلام الغربي على المسلمين.. فقد تأكدت بالدليل القاطع من وجود معسكرات اغتصاب جماعية تضم آلافا من السيدات المسلمات في الأراضي التي احتلها الصربيون. واللائي مازلن حتى كتابة هذه السطور يغتصبن وتنتهك أعراضهن.. إلا أن المشكلة التي واجهتني تمثلت في ذلك القرار الذي اتخذته حكومة البوسنه بفرض حظر أمني على إجراء لقاءات صحفية.. سواء مع المجرمين الصربيين المغتصبين ممن وقعوا في الأسر أو مع بعض الضحايا من المغتصبات.

والحظر الأمني له أسبابه الوجيهة التي لا يمكن لمثلي أن يفندها أو أن يعارضها، إلا أن الكشف عن هذه المأساة بجميع أبعادها لا يقل أهمية عن تلك الدواعي الأمنية.. كان ذلك دليلي وكانت تلك حجتي التي حملتها عن اقتناع في محاولة لاقناع مسئولي البوسنه لاستثنائي من هذا الحظر الأمني.

بحر الكتب
bahr.alktob

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة
الإهـداء	٣
تقـديم بقلم سعد الدين وهبة	٧
مقـدمة المؤلف : السير على ألغام صحفية	١١
مقـدمة الجزء التمهيـدى : التضليل والتزوير الدولى	٢٣
الجزء التمهيـدى : حملة تضليل مخابراتية ضـد السادات لتغيير مستقبل مصـر والشرق الأوسط	٢٧
الجـزء الأول	
لقـاء مـع جاسـوس	٤١
الطريق إلى بيت المقدس	٧٢
الجـزء الثـانى	
الجلوس إلى الذئب	٨٥
المواجهة	٩٧
الجـزء الثـالث	
مطـاردة كلب صيد !!	١٣١
الفصـل الأول : السينما .. والجاسوسية	١٣٣
ملف أوديسا	١٣٩
الفصل الثـانى : ميليشيات يهـوذا .. تطارد سوريا !!	١٤٥

بحر الكتب
bahr.alktob

الموضـــوع	الصفحة
الفصـل الثالث : إسحاق شامير .. يطارد أيخمان فى مصر !!	١٥٧
الفصـل الرابـع : صائد النازيين يتجسس على المفاعل الإيرانى	١٨١
الجـزء الرابـع	
الجلوس فى (أمـان)	١٩٣
عودة إلى اللقاء مع الجنرال هركابى	٢١٣
أخيراً .. وليس آخراً	٢١٩
شكر وتقدير واجبان	٢٣١

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٣٠٦/ ١٩٩٦م

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع فخر الدين شبرا القاهرة
الرقم البريدى ـ ١١٢٣١

بحر الكتب
bahr.alktob

كلمة الناشر

ليس هذا الكتاب من تأليف الكاتب الصحفى والمحرر الدبلوماسى بصحيفة الأهرام الأستاذ «يحيى غانم» .. ولا هو ترديد لما يقال ويُشمَعُ حول الصراع العربى الإسرائيلى .. ولا هو ترجمة لما يذاع وينشر عن الدولة العبرية بكل أجهزتها الأمنية منذ أن كانت فكرة فى دماغ «هيرتزل» ثم انتقلت إلى «حاييم وايزمان» ثم تلقفها «ديفيد بن جوريون» ليطبقها على أرض الميعاد .. ولكن هذا الكتاب حوار حىّ ، وحقائق ملموسة استمع إليها «يحيى غانم» من أطرافها الأصليين الذين تولّوا أعلى المناصب فى الموساد ، وتقلدوا أرفع المراكز فى أجهزة الأمن العسكرى الإسرائيلى .. لم يكن هذا الحوار بالمراسلة .. ولا عبر الهاتف أو الفاكس ، ولا عن طريق اللقاءات العابرة أو المؤتمرات المحددة .. ولكن كان على أرض الواقع فى حيفا .. ويافا .. والقدس .. وتل أبيب .. بل تم داخل بيوتهم ، وأمام مكاتبهم بعد تنسيق تام ، ووفق مواعيد محددة !!

من كان يظن أن «يحيى غانم» سيقتحم هذا العالم الغامض المعقّد ، وأن يخوض غماره المليد بالغيوم فيجلس وجهاً لوجه أمام أساطين المخابرات فى العالم من أصحاب الذراع الطويلة وأكثرهم خطورة وتأثيرًا ؟!!

من كان يظن أن «يحيى غانم» سيأتى عليه يوم يتوجه فيه إلى تل أبيب قاصدًا «فيلا هارئيل» مؤسس «جهاز الموساد» فيضغط على زر جرس الفيلا وهو يحمل بيده آلة التصوير ، كما يحمل بين جنبيه قلباً جسوراً لا يتردد فيُفْتَحُ له الباب السحرى ليجد أمامه الرجل الذى أُسنِدَ إليه فى يوم من الأيام أمن إسرائيل فى الخارج ، ثم يستقبله بنفسه مرحبًا ليقوده إلى غرفة مكتبه فيضع يحيى غانم فى ثبات ورباطة جأش جهاز التسجيل أمام رجل المخابرات العتيد الذى تعوّد أن يُثبتَ هو أمام الناس أجهزة التصنت وآلات التسجيل ؟!!

هذا ما فعله «يحيى غانم» مع هذه الرموز التى ما زال أصحابها حتى الآن أحياء يرزقون !!

إن هذه العجالة لا تستطيع أن تقدم كتاباً يشتمل على كثير من الأسرار والخبايا من خلال هذا الحوار الهادئ الذى دار بين الكاتب وبين الأطراف الأساسية من رجالات الموساد الذين طافوا بالقارات الست يحللون خبراً ، أو يُقيّمون حدثاً ، أو يبحثون عن معلومة يمكن أن تضيف جديداً إلى كيان إسرائيل ، أو تُجنّب الدولة العبرية أى ضرر أو مكروه .. ولكنها محاولة تلقى الضوء على بعض أسرار النزاع العربى الإسرائيلى خلال حقبة يقترب زمانها من أربعين عاماً دون حل .

لقد أراد المحاور فى حواره مع هذه الرموز أن يكون موضوعياً مستفيداً من الفرص الذهبية التى أتاحها له هؤلاء المسئولين الذين تحكمهم الحيطة والحذر ، ويلفهم الكتمان .. نعم حاول المحاور أن يكون موضوعياً فى حواره فلم يشأ أن يصف الدولة العبرية بما تعوّد الناس أن يصفوها به من التسلط والاغتصاب وسلب الأرض وتصفية الجنس العربى على وجه العموم .. والجنس الفلسطينى على وجه الخصوص .. فإن المحاور هنا يحاول أن يجلّى الحقيقة ، ويستكشف الغامض ليصل إلى الحلول العادلة .. فهو لم يترك فى حواره شاردة ولا واردة تتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى إلا وحاور بشأنها الأطراف المسئولة التى ألمت ببواطن الأمور ، وملكت خزانة الأسرار .. كل ذلك دون مهاترة أو إسفاف وإنما خلال حوار جاد ، نبيل المقصد ، عفيف اللفظ ، طاهر اللسان .

وأما ما ورد على لسان أحد الزملاء أصحاب الزوايا الثابتة فى بعض صحفنا اليومية الذى يردد فيها بعض المزاعم الإسرائيلية من أن العرب هم الذين هربوا من أرضهم بعد قيام الدولة اليهودية وأن إسرائيل لم ترغمهم على ترك ديارهم وأموالهم فإن الكاتب المحاور قد فنّد هذه المزاعم فى حواره ، ودحضها فى وضوح لم يستطع معه المسئول المخابراتى أن يعلق بكلمة واحدة .. لأن ذلك يخالف التاريخ .. والتاريخ لا يملكه أحد .

وإذا كان هذا الكتاب قد صدر قبل مرور أسبوعين على ظهور نتائج الانتخابات النيابية الإسرائيلية التى جاءت بزعيم الليكود والذى قوبل فوزه بعدم الارتياح فإنى أؤكد من خلال دراستى لتطور الأحداث فى الدولة العبرية أن إسرائيل ليس فيها حمائم أو صقور .. وإنما هم أمة متماسكة .. خططهم متناسقة .. وهدفهم واحد .. ورغم معاهدات الصلح ، واتفاقات الحكم الذاتى فما زالت لافتتهم مرفوعة أمام مدخل الكنيست تستفز الزائر بهذه العبارة : «ملك إسرائيل من النيل إلى الفرات» ومن يدرى .. لعلهم يغيرون خرائطهم مع المطامع والأماني فيستبدلونها بعبارة أخرى تقول : «ملك إسرائيل من المحيط إلى الخليج» .. وإلى صفحات الكتاب .

حسن عاشور

بحر الكتب
bahr.alktob